

مَا لَتَعْرِفُهُ عَنْ

الْفَتْوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

وَدَوْرُ الشَّيْعَةِ فِيهَا



تَقْرِيرُ الْأُبْحَاثِ
الشَّيْخُ يَا سِرَ الْحَبِيبِ

ما لا تعرفه عن
الفتوحات الإسلامية
ودور الشيعة فيها

هوية الكتاب

العنوان: ما لا تعرفه عن الفتوحات الإسلامية ودور الشيعة فيها.

بيانات الإعداد والإنتاج:

الجهة المنتجة: لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب
الإخراج الفني: لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب
تصنيف الكتاب: تاريخي
الطبعة: الأولى

المواصفات الفنية للنسخة:

نوع النسخة: إلكترونية
حجم الصفحة: A5
عدد الصفحات: [٣٤٠] صفحة
تاريخ الإنتاج: ربيع الآخر ١٤٤٨ هـ - ٢٠٢٦ م
⚠ جميع الحقوق محفوظة
حقوق الطبع والنشر محفوظة للجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب.

المنصة الرسمية المعتمدة:

لمتابعة جديد الإصدارات والآثار، تفضلوا بزيارة صفحة اللجنة الوحيدة والرسمية على التليجرام:

@turathalhabib 

مَا لَا تَعْرِفُهُ عَنْ الْفُتُوحَاتِ الْإِسْلَامِيَّةِ ودور الشيعة فيها

تقريرًا لأبحاث

الشيخ ياسر الحبيب

لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب

الطبعة الأولى 1448-2026 هـ



لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب

تأسست: صفر الأخر ١٤٤٥ هـ

Committee for Preserving and Publishing the

Works of Sheikh Yasser al-Habib

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
وعلى آله آل الله واللعنة على أعدائهم أعداء الله

عائشة

- فهرس المحتويات -

تقديم.....	١٨
كذبة فتح فارس على يد عمر بن الخطاب! كان الجبان المرعوب	
من الفرس!.....	٢٣
امتحان الأوصياء في حياة الأنبياء وبعد وفاتهم.....	٢٤
الموطن الرابع: المشاورة في غوامض الأمور.....	٢٧
الشورى العمرية وحب الإمارة.....	٢٨
الموقف من سيرة الشيخين وتسوية العطاء.....	٣١
تناسي الجراح وتقديم المصلحة الإسلامية العليا.....	٣٣
رعب عمر بن الخطاب من الفرس وحقيقة الفتوحات.....	٣٦
دلائل النبوة في الخندق وموقف المنافقين.....	٤٠
حشود الأعاجم في نهاوند ورعب عمر!.....	٤٣
دفع الأفسد بالفساد والاصطفاف لحماية بيضة الإسلام.....	٤٦
حقيقة قادة الفتوحات ودور الشيعة.....	٤٧

شكوى الأمير (عليه السلام) من قريش وتبيان الحقائق..... ٤٨

السَّكَّارَى بِعَمْرٍ! يَظُنُّونَهُ فَاتِحَ فَارِسٍ وَقَدْ كَانَ نَادِمًا عَلَى أَنَّهُ بَعَثَ

إِلَيْهَا جَنْدًا!..... ٥٣

حقيقة الفتح المزعوم وأثر التلقين..... ٥٤

مفهوم الفتح وتهافت نسبة الفتح إلى عمر..... ٥٧

شواهد الخوف والجزع عند المواجهة..... ٥٨

توثيق الروايات وإلزام المخالفين بمبانيهم..... ٦٣

الدور الفعلي لأمير المؤمنين في تسيير الفتوح..... ٦٦

الحقوق المضیعة والعداء التاريخي..... ٧١

عمر بن الخطاب وعقدته النفسية خوفًا من الفرس..... ٧٥

موقف عمر من مواصلة الفتوحات الإسلامية..... ٧٦

الدوافع الحقيقية والمحفزون لاستمرار الفتوحات..... ٨٠

شخصية الأحنف بن قيس وتقييم الفاتحين..... ٨٣

حوار الأحنف بن قيس مع معاوية..... ٨٧

إجبار الناس على لعن أمير المؤمنين (عليه السلام)..... ٩١

خطورة الركون إلى الظالمين وسوء العاقبة..... ٩٣

رافضة! ولكنهم في صدارة الفتوحات! المقداد نموذجًا..... ٩٥

مدخل البحث..... ٩٦

إشكالية مشاركة الرافضة تحت راية الجائر..... ٩٧

المقداد بن الأسود: فارس الإسلام وحامل لواء الجهاد..... ١٠٠

أحداث الشورى والتأسيس للمحاضرة السياسية..... ١٠٣

التهديد بالثورة وتفنيد تدليس البرزنجي..... ١١٣

وقفة مع الكذاب البرزنجي!..... ١١٤

النصوص المغيبة من تاريخ الشورى ومفهوم الطاعة..... ١١٥

فضائل المقداد في مصادر الفريقين..... ١١٩

حقيقة العلاقة بين المقداد وعثمان عند وفاته..... ١٢٢

تهافت المذهب المخالف ورصانة مذهب أهل البيت..... ١٢٥

أبطال الفتوحات هم أيضًا أبطال الثورة على عثمان بن عفان!..... ١٢٩

معركة اليرموك والدور المغيب لمالك الأشتر..... ١٣٠

مالك في ميزان التراجم البكرية: بين الإشادة والطعن..... ١٣٤

شهادة النبي لمالك الأشتر بالإيمان..... ١٣٩

مأزق الفرقة البكرية: أبطال الفتوحات هم قتلة عثمان..... ١٤١

الموقف الحقيقي لعلي (عليه السلام) من عثمان بن عفان..... ١٤٤

ازدواجية المعايير وتأصيل النصب في تقييم الرجال..... ١٤٨

طليق من الطلقاء .. لكنه من الشيعة الفاتحين العظماء..... ١٥١

بيان بطولات رجال الشيعة في الفتوحات..... ١٥٢

سياق النشأة الاستثنائية لهاشم بن عتبة المرقال..... ١٥٤

بطولات هاشم المرقال في الفتوحات والإجحاف بحقه..... ١٦٥

ثبات هاشم المرقال على الولاية وتفنيد شبهات البترية..... ١٧١

تفاصيل قتال هاشم المرقال واستشهاده في ملحمة صفين..... ١٧٧

الدروس التربوية والبدنية في الوطن المهدوي..... ١٨٣

فتوحات نشر التوحيد والإيمان؟ أم فتوحات اغتصاب الحور

الحسان؟..... ١٨٥

طمس المشاركة الشيعية في الفتوحات وإشكالية الشرعية..... ١٨٦

قرينة الاستئذان: رواية عبد الله بن مسعود..... ١٨٩

حرمة الدخول في حكومات الجور!..... ١٩٣

دوافع الأبرار في المشاركة..... ١٩٧

جهاد أبي ذر الغفاري: بين الثغور ومقارعة الجور الداخلي..... ١٩٨

حادثة اغتصاب يزيد بن أبي سفيان..... ٢٠٠

مهزلة الفتوحات: سعيد بن عثمان بن عفان في سمرقند..... ٢٠٣

الغنائم والشهوات: الهدف الحقيقي خلف ستار الفتوحات..... ٢٠٥

الأصل في انتشار الإسلام: الدعوة بالتي هي أحسن!..... ٢٠٦

عمر يستعين بالمتنبئين الكهنة في الحروب ثم يسمونها "فتوحات

إسلامية".....! ٢٠٩

نماذج من آيات طليحة المزعومة وإسقاطه للسجود..... ٢١٣

التحالفات القبلية وتصدي السلطة للمتنبئين..... ٢١٦

العودة للإسلام والموقف في عهد السلطة القرشية..... ٢٢٠

تناقضات تاريخية حول مصير طليحة..... ٢٢٢

مناقشة استدراك سبط بن الجوزي ودعوى الإجماع..... ٢٢٤

تعدد طرق الرواية ودحض شبهة التفرد وتشابه الأسماء..... ٢٢٥

طليحة في نهاوند: استعانة السلطة بالكهنة المتنبئين..... ٢٢٨

المعايير الشرعية لتقييم الفتوحات وحركات المقاومة..... ٢٣٢

لماذا كانت «الفتوحات الإسلامية» مرفوضة عند الإمام الباقر (عليه

السلام)؟!..... ٢٣٩

الإجماع على جلالة الإمام الباقر (عليه السلام) وإمامته..... ٢٤٠

رسالة الإمام الباقر (عليه السلام) إلى خلفاء بني أمية..... ٢٤٢

التعليقة الأولى:..... ٢٤٣

التعليقة الثانية:..... ٢٤٤

مفهوم تضييع الجهاد وافتقاده للشرائط..... ٢٤٥

التعليقة الثالثة:..... ٢٤٥

الجرائم المرتكبة في الفتوحات: حادثة تونس أنموذجاً!..... ٢٤٩

دور الشيعة التاريخي في تحرير الشعوب..... ٢٥٦

سنة الاستئثار بالفيء ومخالفتها لسنة المصطفى ﷺ..... ٢٥٨

موقف سائر الأئمة (عليهم السلام) من فتوحات الجور..... ٢٦١

فتوحات إسلامية، أم جرائم ضد الإنسانية؟! عهد أبي بكر مثلاً..... ٢٦٧

في حقيقة الفتوحات الإسلامية وضوابطها..... ٢٦٨

وصايا النبي (صلى الله عليه وآله) في الحرب..... ٢٧٠

كيف تكون الدعوة إلى الإسلام قبل القتال؟..... ٢٧٣

من يملك حق الجهاد؟..... ٢٧٥

متى يكون القتل شهادة؟..... ٢٨٣

٢٨٨	شروط القتال ليست شعارًا
٢٩٣	ماذا نجد في صفحات التاريخ؟
٢٩٤	وقائع العراق في عهد أبي بكر
٢٩٩	وقعة أليس ونهر الدم
٣٠٣	الطعام على الدماء
٣٠٤	موقف أبي بكر من وقائع خالد
٣٠٥	أمغيشيا: التدمير بعد انقضاء القتال
٣٠٧	الغنائم والدافع إلى القتال
٣٠٨	من التاريخ إلى مفهوم الفتوحات
	عمر بن الخطاب.. عهد التخط والإبادة الجماعية واستباحة الأعراس.

٣١٢	منهج السيرة التيمية والتخط في إدارة الدولة
٣١٤	واقعة فتح "رام هرمز" وسبي النساء الحوامل
٣٢٤	إبادة مدينة «عرب سوس» والتخط الإداري
٣٣١	التحليل الفقهي والاستدلال بدليل الأوزاعي
٣٣١	أولاً: التخط في عدم التثبت والتحقيق الشرعي

ثانياً: شمول العقاب للبيغاء والأبرياء (أخذ العامة بجرم الخاصة)....

٣٣٢

ثالثاً: تدمير العميرة والبيئة بدون وجه شرعي..... ٣٣٤

رابعاً: التناقض في الخيارات المطروحة (المكافأة أو الإمهال) .. ٣٣٥

خامساً: التعدي والضرب والتهديد بالصلب بلا حق..... ٣٣٥

مسؤولية إسقاط الرموز وتنزيه الإسلام..... ٣٣٦

تقديم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أظهر الحق بفضله، وبَدَدَ الظلمات بنور هدايته، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم ومبغضهم ومغتصبي حقوقهم إلى قيام يوم الدين.

أما بعد؛

فإن تاريخ الأمة الإسلامية لم يخلُ يومًا من محاولات التزييف والتزيين، وتغليف الوقائع الحساسة بسرديات تلقينية تباعد عن روح المنهج العلمي والتوثيق التاريخي المجرد. ولعلَّ من أكثر الملفات التي أحاطت بها الأكاذيب وسادها التلقين المضلل هو ملف ما يُسمى بـ «**الفتوحات الإسلامية**» وما اكتنفها من خفايا وأسرار تتعلق بشرعيتها، ودوافع الفاتحين الحقيقيين، والواقع النفسي والسياسي للقيادات التي نُسبت إليها تلك الفتوح.

لقد دأبت المدرسة الحاكمة عبر القرون على تقديم صورة نمطية ومبسطة لأحداث الفتوحات، حيث صُوّرت كأنها حركة عسكرية محضة خالية من أبعاد السياسة والعقيدة، وتُنسب الفضل والسبق فيها إلى رجالات السقيفة والشورى، بينما عُيبت بحجم هائل التضحيات الحقيقية والدور المحوري لأعلام الإيمان من أتباع أهل البيت (عليهم السلام).

إن القراءة السطحية للتاريخ أدت إلى مغالطات كبرى، جعلت الكثيرين يعتقدون أن حركات الفتوح كانت منزهة عن الأغراض الدنيوية والمكاسب المادية، وأغفلت الموقف الشرعي والأخلاقي والنفسي للصحابة والتابعين العارفين بحق العترة الطاهرة ممن شاركوا في الميدان لمراعاة المصالح الإسلامية العليا وحفظ الكيان الإسلامي من الاستئصال.

من هذا المنطلق، يأتي هذا الكتاب تقريرًا لأبحاث سماحة الشيخ الحبيب أعزه الله، والتي ألقاها في جلساته البحثية لعام ١٤٤٧ هـ - ٢٠٢٦ م - وتحديدًا من الجلسة ١٣٣ إلى الجلسة ١٤٣ - ليكون قبسًا يُسلط الضوء على خفايا التاريخ المغيبة، ويفكك البناء الروائي القائم على التلميع والتضليل، ويقدم للباحث والمنصف قراءة دقيقة تفك الارتباط الشرعي والعقائدي بين

الانتصارات العسكرية في الفتوح وبين إعطاء الشرعية لمن
تصدوا للسلطة بغير حق.

تكتسب هذه الجلسات البحثية أهمية استثنائية للغاية؛
نظرًا لما تطرقت إليه من قضايا شائكة وأمور خفية تخص
الفتوحات الإسلامية، وتكشف حقيقتها وضوابطها الشرعية،
ودور الشيعة والرافضة الأبرار الذين كانوا في صدارة الميادين
وحملوا لواء الجهاد الحقيقي.

إن هذا العمل التوثيقي يهدف إلى إحداث مراجعة نقدية
عميقة للوعي الجمعي، وتبيان الموقف الإمامي والأخلاقي من
تلك الحقبة الفاصلة في تاريخ الأمة، لتنجلي الحقائق ويتبين
الخيوط الأبيض من الخيط الأسود في التاريخ الإسلامي.

و هذا التقرير يضع بين يدي القارئ والباحث المنصف وثيقة
تاريخية وعقائدية تفكك التلقين، وتدعو إلى قراءة التاريخ بعين
البصيرة والتحقيق، سائلين المولى عز وجل أن يجعل هذا
الإصدار سببًا لإفاقة الغافلين وتبيين الحق للضالين، إنه سميع
مجيب.

لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب

ربيع الآخر ١٤٤٨هـ

كذبة فتح فارس على يد
عمر بن الخطاب! كان
الجبان المرعوب من
الفرس!

امتحان الأوصياء في حياة الأنبياء وبعد وفاتهم

روى شيخنا الصدوق (عليه الرحمة) في كتاب (الخصال)،
بسنده عن مولانا أبي جعفر الباقر (صلوات الله عليه) قال:

«أتى رأس اليهود عليّ بن أبي طالب (عليه

السلام) عند منصرفه عن [من] وقعة النهر وان

وهو جالس في مسجد الكوفة، فقال: يا أمير

المؤمنين! إنّي أريد أن أسألك عن أشياء لا

يعلمها إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ. قال: سل عما بدا

لك يا أخا اليهود؟ قال: إنّنا نجد في الكتاب أنّ

الله عزّ وجلّ إذا بعث نبيّاً أوحى إليه أن يتّخذ

من أهل بيته من يقوم بأمر أمته من بعده، وأن
يعهد إليهم فيه عهدًا يحتذي عليه ويعمل به
في أمته من بعده، وأن الله عز وجل يمتحن
الأوصياء في حياة الأنبياء ويمتحنهم بعد
وفاتهم، فأخبرني: كم يمتحن الله الأوصياء في
حياة الأنبياء؟ وكم يمتحنهم بعد وفاتهم من
مرة؟ وإلى ما يصير آخر أمر الأوصياء إذا رضي
محتنهم؟».

أي ما هي عاقبة أمر هذا الوصي وكيف تختتم حياته إذا
نجح في هذا الامتحان؟
و هذا الحوار جرى بعد عودة أمير المؤمنين (عليه السلام)
من الحرب الأهلية الثالثة (وقعة النهروان).
فقال له علي (عليه السلام):

«والله الذي لا إله غيره، الذي فلق البحر
لبني إسرائيل وأنزل التوراة على موسى (عليه
السلام)، لئن أخبرتك بحق عما تسأل عنه
لتقرن به؟ قال: نعم».

أي لئن أجبتك إجابات صحيحة مطابقة لما بين يديك من التوراة والكتب السالفة، فهل ستسلم وتدعن؟

« إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَمْتَحِنُ الْأَوْصِيَاءَ فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ لِيَبْتَلِيَ طَاعَتَهُمْ، فَإِذَا رَضِيَ طَاعَتَهُمْ وَمَحْنَتَهُمْ، أَمَرَ الْأَنْبِيَاءَ أَنْ يَتَّخِذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ فِي حَيَاتِهِمْ وَأَوْصِيَاءَ بَعْدَ وَفَاتِهِمْ، وَيَصِيرُ طَاعَةُ الْأَوْصِيَاءِ فِي أَعْنَاقِ الْأُمَمِ مِمَّنْ يَقُولُ بِطَاعَةِ الْأَنْبِيَاءِ..

ثُمَّ يَمْتَحِنُ الْأَوْصِيَاءَ بَعْدَ وَفَاةِ الْأَنْبِيَاءِ (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ) فِي سَبْعَةِ مَوَاطِنَ لِيَبْلُو صَبْرَهُمْ، فَإِذَا رَضِيَ مَحْنَتَهُمْ، خَتَمَ لَهُمْ بِالسَّعَادَةِ لِيَلْحَقَهُمُ بِالْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ أَكْمَلَ لَهُمُ السَّعَادَةَ».

وقد عدد أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) تلك المواطن بتفصيل في هذا الحديث الطويل. ومحل الشاهد هنا هو الموطن الرابع من المواطن التي امتحن بها أمير المؤمنين

(عليه السلام) بعد استشهاد النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وهو موطن يحتاج منا إلى تركيز عميق.

الموطن الرابع: المشاورة في غوامض الأمور

يقول (عليه السلام) لرأس اليهود:

«وأما الرابعة يا أخا اليهود، فإن القائم بعد

صاحبه...»

والمقصود بالقائم بالأمر بعد صاحبه الذي مضى هو عمر بن الخطاب.

«كان يشاورني في موارد الأمور فيصدرها

عن أمري، ويناظرني في غوامضها فيمضيها عن

رأبي».

فلولا علي لهلك عمر؛ إذ لم يكن يمتلك الدراية لحل تلك المشكلات العويصة، فكان يلجأ إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الذي يشير عليه بالحق، فيصدر القوم عن أمره ويمضون عن رأيه. تخيلوا أن هذا الموقف كان من أشد الأمور التي امتحن بها أمير المؤمنين (عليه السلام).

ثم يمضي (عليه السلام) فيقول:

« وكان من فعله أن ختم أمره بأن سَمَى
قومًا أنا سادسهم، ولم يستوني بواحد منهم،
ولا ذكر لي حالًا في وراثَةِ الرسول ولا قرابة ولا
صهر ولا نسب، ولا لواحد منهم مثل سابقة من
سوابقي، ولا أثر من آثاري، وصيّرَها شوري بيننا،
وصيّر ابنه فيها حاكمًا علينا، وأمره أن يضرب
أعناق النفر الستّة الذين صيّر الأمر فيهم إن لم
ينفذوا أمره.. وكفى بالصبر على هذا - يا أخا
اليهود - صبرًا».

لقد امتحن أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذا الموطن
بكظم الغيظ على أشد ما يكون، والصبر على هذا الحيف.

الشّورى العمريّة وحب الإمارة

يقول (عليه السلام):

«فمكث القوم أيامهم كلّها كلّ يخطب

لنفسه».

ففي تلك الأيام الثلاثة التي تشاوروا فيها، زعم كل واحد من هؤلاء الستة (عبد الرحمن بن عوف، سعد بن أبي وقاص، طلحة، الزبير، وعثمان) أنه أولى بالأمر من بعد عمر، وصار يعدد مآثره.

يقول (عليه السلام):

«وأنا ممسك عن إن سألوني عن أمري،
فناظرتهم في أيامي وأيامهم، وآثاري وآثارهم،
وأوضحت لهم ما لم يجهلوه من وجوه
استحقاقي لها دونهم، وذگرتهم عهد رسول
الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إليهم، وتأكيد
ما أگده من البيعة لي في أعناقهم».

فقد ذگرهم ببيعة غدير خم، ولكن ما الذي دعاهم إلى
التقدم عليه؟

يجيب (عليه السلام):

«دعاهم حبّ الإمارة، وبسط الأيدي
والألسن في الأمر والنهي، والركون إلى الدنيا،

والاقتداء بالماضين قبلهم إلى تناول ما لم
يجعل الله لهم».

إنها شهوة الإمارة، وشهوة أن يكون المرء أمرًا ناهيًا يُسمع
له ويطاع؛ تمامًا كما نرى اليوم تناحر أمراء العرب وحكامهم
على السلطة. كما دفعهم الاقتداء بمن سبقهم (أبي بكر
وعمر)؛ فكان أحدهم كسعد بن أبي وقاص يحدث نفسه بأنه
يحق له التقدم ما دام قد سبقه غيره.
يقول (عليه السلام):

«فإذا خلوت بالواحد ذكرته أيام الله،
وحذرت ما هو قادم عليه وصائر إليه».

كان يعظ الواحد منهم مذكرًا إياه بأنه ليس له من الأمر
شيء، وأن البيعة في عنقه منذ يوم الغدير. فبماذا كانوا
يجيبون؟
يقول (عليه السلام):

«التمس مني شرطًا أن أصيرها له بعدي».
فكان أحدهم يبدي استعدادَه للتصويت لصالح علي (عليه
السلام) بشرط أن تؤول الخلافة إليه من بعده.

يقول (عليه السلام):

«فلما لم يجدوا عندي إلا المحجة البيضاء،
والحمل على كتاب الله عز وجل ووصية
الرسول (صلى الله عليه وآله)، وإعطاء كل
امرئ منهم ما جعله الله له ومنعه ما لم
يجعل الله له؛ أزالوها عني إلى ابن عفان طمعًا
في الشحيح معه فيها».

لقد رفض أمير المؤمنين (عليه السلام) مساومتهم، وأبى
أن يعطيهم ما ليس لهم بحق، فمالوا إلى عثمان الذي أبدى في
البداية تسامحًا في إشراكهم في السلطة وجعلها تداولية، حتى
إذا استتب له الأمر وثبتت أقدامه وأقدام بني أمية بعد ست
سنين، استأثر بها.

الموقف من سيرة الشيخين وتسوية العطاء

كان من شروطهم أيضًا السير بسيرة الشيخين. فقالوا له:
نبايعك على كتاب الله وسنة نبيه (صلى الله عليه وآله) وسيرة
الشيخين أبي بكر وعمر. فقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

«أما كتاب الله وسنة نبيه فنعم، وأما سيرة

الشيخين فلا»^(١).

وهنا يبرز تساؤل مهم: يتصور بعض البسطاء أن سيرة أبي بكر وعمر كانت تمثل العدل، ولذلك اشترطوها.

لكن الحقيقة والواقع أنهم اشترطوا هذه السيرة لأنها كانت تفضلهم على غيرهم في العطاء، بحجة سابقتهم، مما يتيح لهم الإثراء وتكديس الأموال من بيت المال على حساب سائر المسلمين.

أرادوا تقييده بذلك، لكن أمير المؤمنين (عليه السلام) رفض. ولما تولى الحكم فعلياً، ساوى بينهم وبين سائر المسلمين في العطاء، فغضبوا وانقلبوا عليه؛ إذ لم يتقبل أحدهم كالزبير -وهو ابن عمه رسول الله- أن يتساوى نصيبه مع نصيب عبد حبشي حديث العهد بالإسلام.

حتى إن عقيلاً، أخا علي (عليه السلام)، لم يتحمل هذه العدالة المطلقة والتسوية في العطاء، فشق عليه ذلك.

(١) انظر وضوء النبي للشهرستاني ج ٢ ص ١٩٠؛ وبألفاظ متقاربة في البداية والنهاية لابن كثير ج ٧ ص ١٦٥ وسبل الهدى للصالحى الشامى ج ١١ ص ٣٧٧.

وفي نهاية هذا الخبر الطويل، أسلم رأس اليهود على يد أمير المؤمنين (عليه السلام) من ساعته، ولم يزل مقيمًا إلى جواره في صحبته ونصرتة حتى قُتل أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخذ ابن ملجم (لعنه الله). فأقبل رأس اليهود حتى وقف على الإمام الحسن (عليه السلام) والناس حوله وابن ملجم بين يديه، فقال يخاطب الإمام الحسن:

«يا أبا محمد، اقتله قتله الله، فإني رأيت في الكتب التي أنزلت على موسى أن هذا أعظم عند الله عز وجل جرماً من ابن آدم قاتل أخيه، ومن القدار عاقر ناقة ثمود»^(١).

تناسي الجراح وتقديم المصلحة الإسلامية العليا

لنُعُد إلى التركيز على الموطن الرابع الذي امتحن فيه أمير المؤمنين (عليه السلام)، حين قال:

«كان يشاورني في موارد الأمور فيصدرها عن أمري ويناظرني في غوامضها فيمضيها عن رأيي».

(١) الخصال للصدوق ص ٣٦٤-٣٨٢.

هذا امتحان عظيم؛ فحين يحدد (عليه السلام) أربعة عشر امتحاناً (سبعة في حياة النبي وسبعة بعده)، فهذا لا يعني أنه لم يُمتحن إلا هذه المرات، بل امتحن عشرات ومئات المرات، ولكن هذه هي الامتحانات الكبرى العظام. تخيلوا قسوة هذا الامتحان: أن يقبل علي (عليه السلام) على نفسه إسداء النصح والإرشاد للذين ظلموه وانتهكوا حرمة. هل يتحمل الإنسان العادي تسوية كهذه؟

أن يأتي إليك من ظلمك، وانتهك حرمتك، وضرب زوجتك الطاهرة (صلوات الله عليها)، وأراد قتلك، وهو الحاكم وأنت رأس المعارضة، وقد وقع في مشكلة عويصة تحير فيها، فتدوس على مشاعرك وآلامك، وتضحى، وتسدي له النصح لتخرجه من ورطته، فيستتب له الأمر ثم ينسب الفضل لنفسه لا إليك! لقد كان على أمير المؤمنين (عليه السلام) في تلك اللحظات أن يتغاضى عن كل تلك الجراح العميقة. لقد أراد القوم قتله، وقد سماهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بـ "كلاب أصحاب النار".

ونذكر هنا ما جاء في كتاب (الاحتجاج) لسلمان الفارسي (رضوان الله عليه) حين قطع خطبة أبي بكر في أول جمعة، محتجاً على الهجوم على الدار، حيث قال:

«اللّٰه أكبر، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهاتين الأذنين وإلا صمّتا، يقول: بينا أخي وابن عمي جالس في مسجدي مع نفر من أصحابه إذ تكبسه جماعة من كلاب أصحاب النار يريدون قتله وقتل من معه...». فهمّ به عمر بن الخطاب ووثب إليه، فقام أمير المؤمنين (عليه السلام) وأخذ بمجامع ثوبه ثم جلد به الأرض. ثم قال له: «يا ابن صهاك الحبشية، لولا كتاب من الله سبق وعهد من رسول الله تقدم، لأريتك أينما أضعف ناصراً وأقل عدداً». ثم التفت إلى أصحابه وقال: «انصرفوا رحمكم الله، فوالله لا دخلت المسجد -مسجد النبي- إلا كما دخل أخوأي موسى وهارون (عليهما السلام) إذ قال له أصحابه: ﴿فَأَذْهَبَ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾. والله لا

دخلته إلّا لزيارة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو لقضية أقضيها»^(١).

وفي مثل هذه القضايا المهمة والخطيرة، لا يجوز لحجة أقامها رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يترك الناس في حيرة؛ لأن القوم لم يكونوا يحسنون التصرف، لا عمر ولا عثمان ولا طلحة ولا الزبير. ولم يكن عجزهم مقتصرًا على الفتوى والقضاء، بل شمل المخاطر الكبرى التي هددت الكيان الإسلامي برمته.

رعب عمر بن الخطاب من الفرس وحقيقة الفتوحات

من تلك الموارد الخطيرة، ما بلغه عمر من تحشد الفرس بجيش عرمرم لغزو بلاد المسلمين والوصول إلى المدينة المنورة لاستئصال الإسلام.

كان الأمر مرعبًا له إلى أقصى حد، ولم يعرفوا كيف يتصرفون، فلجأ هذا الطاغية ومن معه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي بيده الحل والحكمة والتخطيط العسكري السليم. فأشار عليه (عليه السلام) بما يحفظ الكيان الإسلامي،

(١) الرواية بتمامها في الإحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٨٦-٢٠٣.

فنجنا الإسلام وبدلاً من أن يغزو الفرس، غزاهم المسلمون حتى
فُتحت بلاد فارس.

ثم نُسب الفضل بعد ذلك كله لعمر! واليوم نسمع من أهل
الخلافة أن "عمر فاتح الفرس"، وأن الشيعة يعادونه حقداً
لكونه حطم إمبراطوريتهم المزعومة!

وهذا كلام يُضحك به على الصبيان ومن لا عقل لهم؛
فالتاريخ يثبت أن التشيع لم يترسخ في فارس إلا بعد ألف سنة
تقريباً. لقد فتحت فارس أعينها على الإسلام العمري البكري،
ولولا الفرس لما قامت قائمة لهذا المذهب؛ فهم من أضلوا له
وقعدوا ورووا وحدثوا.

أما التشيع فمهدده عربي، وقبائل العرب هي التي غلب
عليها التشيع ثم انتقل منها إلى بلاد فارس تدريجياً.

فحين تشييعت عائلة صفي الدين الأردبيلي الشافعي
المتصوف^(١)، خرج من سلالته الشاب ذو النزعة العسكرية
إسماعيل الصفوي، فقام بثورة وأسس حكماً وأعلن التشيع في
البلاد. هذه هي القصة التي حدثت قبل نحو 400 إلى 500 عام

(١) تنتسب الدولة الصفوية إلى صفي الدين إسحاق الأردبيلي، المتوفى سنة 735هـ،
وهو شيخ صوفي شافعي المذهب، لم يكن إماماً اثني عشرياً. وقد أسس في أردبيل
طريقة صوفية عرفت بالطريقة الصفوية، ثم اتسع نفوذها في أذربيجان وما جاورها =

فقط، وطوال ألف عام قبلها كانت الغالبية في تلك الديار على المذهب البكري، وكانت مساجد إيران وتكايها تصدح بمدائح عمر.

فهل يعقل بعد ألف سنة أن يستفيقوا فجأة ويقولوا "لدينا ثأر مع عمر ونريد إرجاع المجوسية ولهذا نتحل التشيع؟" إنها سرديات تشبه القصص الخيالية.

إن مقولة أن عمر هو فاتح بلاد فارس لا تعدو كونها كذبة كبرى. قد يتعجب البعض لأن بلاد فارس فتحت "زمنياً" في عهده، ولكن هل هو الفاتح المخطط والمهتم؟

= حتى أصبحت من أبرز الطرق الصوفية نفوذاً في المنطقة. وبعد وفاة صفى الدين، تعاقب على زعامة الطريقة عدد من ذريته، ومن أبرزهم الشيخ جنيد، الذي بدأ يحوّل الطريقة من حركة صوفية إلى حركة ذات طابع سياسي وعسكري، واتجه إلى التشيع. ثم جاء بعده ابنه الشيخ حيدر، فزاد من تنظيم أتباعه وتسليحهم، واشتهر أتباعه بالقبعات الحمراء ذات الاثنتي عشرة شريحة، رمزاً للأئمة الاثني عشر (عليهم السلام)، ومن هنا عرفوا باسم «القلباش». وفي سنة 907هـ، ظهر إسماعيل بن حيدر، الذي استطاع أن يجمع أتباع الطريقة القزلباشية، ويدخل تبريز، ويعلن نفسه شاهاً، مؤسساً الدولة الصفوية. وقد أعلن التشيع الإمامي الاثني عشري مذهباً رسمياً للدولة، ثم عمل على نشره في إيران، مستعيناً بعلماء الإمامية الذين قدموا إليها من العراق والبحرين وجبل عامل وغيرها. وهكذا، فإن الدولة الصفوية لم تنشأ بوصفها دولة شيعية منذ عهد صفى الدين الأردبيلي، بل بدأت بطريقة صوفية شافعية، ثم تطورت عبر أجيال إلى حركة سياسية وعسكرية، حتى تحولت في عهد الشاه إسماعيل إلى دولة شيعية إمامية.

الفتاح يجب أن تكون لديه همة ونية لفتح البلاد. لكننا نكتشف أن ابن الخطاب كان مرعوبًا من فتح فارس.

روى الطبري في تاريخه عن محمد والمهلب وعمر أنهم قالوا في شأن أهالي البصرة والأهواز الذين دفعوا الخراج:

«كان المسلمون بالبصرة وأرضها- وأرضها

يومئذ سوادها، والأهواز على ما هم عليه إلى

ذلك اليوم، ما غلبوا عليه منها ففي أيديهم،

وما صولحوا عليه منها ففي أيدي أهله، يؤدون

الخراج ولا يدخل عليهم، ولهم الذمة والمنعة-

وعميد الصلح الهرمزان وقد قال عمر: حسبنا

لأهل البصرة سوادهم والأهواز، وددت أن بيننا

وبين فارس جبلا من نار لا يصلون إلينا منه ولا

نصل إليهم»^(١).

هذه الكلمة تنسف أكذوبة أنه كان فاتحًا. فلو كان مهتمًا

بنشر الإسلام حقًا، فكيف يعبر بمثل هذا التعبير ويطلب أن

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٧٩.

يقف عند حدود الأهواز، متمنيًا وجود حاجز من نار يمنع التواصل مع فارس إلى الأبد؟

دلائل النبوة في الخندق وموقف المنافقين

لو كان عمر قريبًا من رسول الله (صلى الله عليه وآله) ووزيرًا له كما يزعمون، فكيف نسي النبوءات المتعددة التي بشر بها النبي بأن الله سيفتح له بلاد فارس؟

أخرج أحمد بن حنبل في مسنده، عن البراء بن عازب، حديثه عن غزوة الخندق، وفيه أنَّ المسلمين واجهوا صخرةً صلبةً استعصت على المعاول، فلم تنفع فيها ضرباتهم. فنزل إليها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فضربها ضربةً فكسر ثلثها، ثم قال:

«الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا». ثم ضرب الثانية فكسر الثلث الثاني وقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا». ثم ضرب الثالثة فقلع بقيتها وقال:

«اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتَ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهُ إِنِّي

لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا»^(١).

وأخرج البيهقي في (دلائل النبوة) حديثاً مشابهاً عن كثير بن عبد الله المزني، يذكر فيه تخطيط النبي للخنديق، واختلاف المهاجرين والأنصار في سلمان، وقول النبي: «سلمان منا أهل البيت»؛ وهو أعظم وسام يتمناه أنبياء الله.

وتذكر الرواية أن النبي (صلى الله عليه وآله) لما ضرب الصخرة برقت منها ثلاث برقات أضاءت المدينة كالمصباح في ليل مظلم، وكبر تكبيرة فتح، وأخبرهم أن جبريل أعلمه أن أمته ظاهرة على قصور الحيرة ومدائن كسرى، وقصور الشام، وقصور صنعاء، وبشرهم بالنصر ثلاث مرات.

هذا الحدث العظيم المشهود، أين كان عمر منه؟ إن قلتم لم يسمع به، فهذا ينفي دعوى قربه والتصاقه بالنبي. وإن قلتم سمعه، فهذا أمر؛ فكيف يستحل بعد هذه البشارة القاطعة أن يتمنى جبلاً من نار بينه وبين فارس؟

أليس هذا دليلاً على عدم تصديقه بنبوءة رسول الله ورعبه من الفرس؟

(١) مسند أحمد بن حنبل برقم ١٨٦٩٤.

لقد استبشر المسلمون المؤمنون وقالوا: "الحمد لله، موعود صادق"، (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ). لكن ماذا قال المنافقون؟ قالوا:

«يخبركم محمد أنه يبصر من يشرب قصور
الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم، وأنتم
تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن
تبرزوا؟». فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَإِذْ يَقُولُ
الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا
اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا) [الأحزاب: ١٣]^(١).

ومن هم هؤلاء المنافقون؟ يروي ثقة الإسلام الكليني في
(الكافي) عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حادثة الصخرة:
«فقال أحدهما لصاحبه: يعِدنا بكنوز كسرى
وقيصر وما يقدر أحدنا أن يخرج يتخلى»^(٢).

(١) راجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤١٨.

(٢) الكافي الشريف للكليني ج ٨ ص ٢١٦.

وقد نقل العلامة المجلسي هذه الرواية في (بحار الأنوار)
وقال في بيانها:

«والضمير في (أحدهما) راجع إلى أبي بكر

وعمر»^(١).

حشود الأعاجم في نهاوند ورعب عمر!

إن عمر لم يكن مهتمًا بفتح فارس، بل كان مرعوبًا.
يصف ابن أعثم في (الفتوح) تحشد الأعاجم في نهاوند،
وجمعهم جيشًا مهولًا من الري وسمنان وهمدان وأصفهان
وفارس وأذربيجان، بلغ قوامه مائة وخمسين ألف مقاتل،
بالإضافة إلى نيف وسبعين فيلاً، بهدف استئصال الإسلام
وطمس ذكره. فلما ورد كتاب عمار بن ياسر إلى عمر بن
الخطاب يخبره بذلك، يقول ابن أعثم:

«وقعت عليه الرعدة والنفضة حتى سمع

المسلمون أطيّط أضراسه».

أصابه الهلع والجبن وصار ينادي:

(١) بحار الأنوار للمجلسي ج ٢٠ ص ٢٧٠.

«أين المهاجرون والأنصار؟ ألا فاجتمعوا

رحمكم الله وأعينوني»^(١).

قام طلحة والزبير وعثمان وعبد الرحمن بن عوف يشيرون عليه بخطط متخبطة، حتى قام أمير المؤمنين (عليه السلام) وحسم الأمر بخطبة بليغة عظيمة نقلها الرضي في نهج البلاغة برقم (146).

لقد أشار البعض على عمر بأن يخرج بنفسه لقيادة الجيش، لكن أمير المؤمنين (عليه السلام) وجَّهه تكتيكياً للبقاء، قائلاً:

«إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه

بكثرة ولا قلة، وهو دين الله أظهره، وجنده

الذي أعدّه وأمدّه حتى بلغ ما بلغ، وطلع حيث

طلع، ونحن على موعود من الله، والله منجز

وعده، وناصر جنده، ومكان القيم بالأمر مكان

النظام من الخرز يجمعه ويضمه، فإن انقطع

النظام تفرَّق وذهب، ثم لم يجتمع بحذافيره

أبداً، والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون

(١) الفتوح لابن اعثم ج ٢ ص ٢٩١.

بالإسلام، وعزيزون بالاجتماع، فكن قطبًا،
واستدر الرحى بالعرب، وأصلهم دونك نار الحر،
فإنك إن شخصت من هذه الأرض انتقضت
عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون
ما تدع وراءك من العورات أهم إليك مم بين
يديك، إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا:
هذا أصل العرب، فإذا قطعتموه استرحتم،
فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم
فيك».

ثم طمأنه (عليه السلام) وبدد رعبه قائلاً:

«وأما ما ذكرت من مسير القوم... فإن الله
سبحانه هو أكره لمسيرهم منك، وهو أقدر
على تغيير ما يكره. وأما ما ذكرت من عددهم،
فإننا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة، وإنما كنا
نقاتل بالنصر والمعونة».

ثم أشار عليه بتعيين قائدين هما: حذيفة بن اليمان
والنعمان بن مقرن. فأنفذ عمر ذلك عن رأي أمير المؤمنين
(عليه السلام).

دفع الأفسد بالفاسد والاصطفاف لحماية بيضة الإسلام

هنا تتجلى مروءة أمير المؤمنين (عليه السلام) وسموه
وعظمته، وتقديمه للمصلحة الإسلامية العليا.

كان بإمكانه أن يترك عمر يذهب ليُقتل ويستريح منه، لكنه
نظر إلى الخطر الوجودي الذي يتهدد الإسلام بهجمة لا تفرق
بين مسلم وآخر. وهذا منهج نستلهمه اليوم؛ فقد تضطرك
الظروف للوقوف في خندق واحد مع من ظلمك أو اختلف
معك عقديًا وسياسيًا. فحين يصرح العدو الغربي، المدفوع
بالتطرف واليمين والصهيونية المسيحية، بأنه يستهدف
استئصال الهوية الإسلامية والهيمنة المطلقة على منطقتنا، لا
يجوز للمؤمن أن يقف مكتوف الأيدي متشمئًا بحجة خصومته
مع النظام الحاكم القائم (كالنظام البتري في إيران على سبيل
المثال).

بل يقتضي الواجب الشرعي دفع الأفسد بالفاسد،
والاصطفاف لحماية بيضة الإسلام ومقدساته حتى لا يذهب

ذكر محمد (صلى الله عليه وآله). وهذا تمامًا ما فعله أمير المؤمنين (عليه السلام) حين تسامى عن جراحه وأسدى النصح لذلك الطاغية.

حقيقة قادة الفتوحات ودور الشيعة

إن الفضل في هذه الانتصارات يعود لأمير المؤمنين (عليه السلام) الذي خطط لها وبعث أصحابه وشيعته الأبرار إلى ميادينها؛ كمالك الأشتر، وحذيفة، وعمار، وأبي ذر، والمقداد، وسلمان، وهاشم المرقال، وأبي أيوب الأنصاري، وعثمان بن حنيف، وصعصعة بن صوحان، وحجر بن عدي، وعمرو بن الحمق الخزاعي. هؤلاء هم من فتحوا بلاد فارس، بينما كان القادة الرسميون كسعد بن أبي وقاص يتصفون بالجبن، كما يروي الطبري عن يوم القادسية:

«وقاتل المسلمون يومئذ وسعد في القصر

ينظر إليهم معتصمًا...»^(١).

وكذلك كان حال ولاتهم في الشام، فقد كانت فتوحاتهم ميدانًا للسكر واللهو، وسباقًا إلى الجواري والغنائم، حتى غلبت

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٨١.

عليهم مطامع الدنيا وشهواتها، فغدت البلاد المفتوحة بما فيها من الأموال والنساء غايةً يتنافسون في الظفر بها. هؤلاء هم أصحابهم، في حين أن الفتوحات الحقيقية التي نقلت وميض الإسلام كانت بتخطيط وتوجيه علي (عليه السلام).

شكوى الأمير (عليه السلام) من قريش وتبيان الحقائق

رغم أن الانتصارات تحققت بمشورته، كان (عليه السلام) يحرص على ألا يُظهر ما يُفسّر كإقرار كامل بشرعية غاصبي حقه. ولما طالبه عمر بمرافقته إلى الشام ليكتسب شرعية بظهوره معه، رفض علي (عليه السلام). وقد روى ابن أبي الحديد في (شرح النهج) شكوى عمر لابن عباس من ذلك. قال ابن عباس:

«خرجت مع عمر إلى الشام في إحدى خرجاته، فانفرد يومًا يسير على بعيره، فاتبعته. فقال لي: يا بن عباس أشكو إليك ابن عمك، سألته أن يخرج معي فلم يفعل، ولم أزل أراه

واجداً. فيم تظن موجدته؟ قلت: يا أمير المؤمنين إنك لتعلم. قال: أظنه لا يزال كئيباً لفوت الخلافة. قلت: هو ذاك، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أراد الأمر له».

فحين قال له ابن عباس إن علياً يزعم أن رسول الله أراد الأمر له، أجاب عمر بكفره وبطبيعة عقيدته الجبرية:

«يا بن عباس وأراد رسول الله الأمر له، فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى؟ إن رسول الله أراد ذلك وأراد الله غيره، فنفذ مراد رسوله، أوكل ما أراد رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان؟»^(١).

مستخفاً بإرادة النبي ومتذرعاً بالجبر الإلهي لتبرير غصبه. ولذلك كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يتظلم من قريش، كما في (شرح النهج) أيضاً قائلاً:

«اللهم إني أستعديك على قريش، فإنهم أضمروا لرسولك (صلى الله عليه وآله) ضروباً

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١٣ ص ٧٨.

من الشر والغدر، فعجزوا عنها وحلت بينهم

وبينها، فكانت الوجبة بي والدائرة علي...».

ولما سأله سائل: لو كان لرسول الله (صلى الله عليه وآله)

ولد ذكر بالغ، أكانت العرب تسلم إليه أمرها؟ أجابه:

«لا، بل كانت تقتله إن لم يفعل ما فعلت.

ولولا أن قريشًا جعلت اسمه (صلى الله عليه

وآله) ذريعة إلى الرياسة وسلماً إلى العز والإمرة،

لما عبدت الله بعد موته يومًا واحدًا، ولارتدت

في حافرتها... ثم فتح الله عليها الفتوح فأثرت

بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمخمصه،

فحُسن في عيونها من الإسلام ما كان

سمجًا...».

ثم أشار إلى قلب الحقائق وتجيير الفتوحات لغير أهلها

قائلًا:

«ثم نُسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها

وحُسن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند

الناس نباهة قوم وخمول آخرين. فكنا نحن
ممن حمل ذكره وخبث ناره... ومضت السنون
والأحقاب بما فيها، ومات كثير ممن يعرف
ونشأ كثير ممن لا يعرف، فظنوا أن الفضل
لأولئك».

هذا هو التاريخ الحقيقي، وهذا هو امتحان الأوصياء، حيث
تحمل أمير المؤمنين (عليه السلام) ما لم يتحملة بشر،
ليحفظ للإسلام كيانه وللدين بقاءه، قائلاً في ختام شكواه:

«اللهم إنك تعلم أنني لم أرد الإمرة ولا علو
الملك والرئاسة، وإنما أردت القيام بحدودك
والأداء لشرعك ووضع الأمور في مواضعها
وتوفير الحقوق على أهلها والمضي على منهاج
نبيك وإرشاد الضال إلى أنوار هدايتك»^(١).

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢٠ ص ٢٩٨.

السَّكَّارَى بِعَمْرٍ! يَظُنُّونَهُ
فَاتِحَ فَارِسٍ وَقَدْ كَانَ نَادِمًا
عَلَى أَنَّهُ بَعَثَ إِلَيْهَا جُنْدًا!

حقيقة الفتح المزعوم وأثر التلقين

لعل بعض من قرأ ما ذكرناه في مبحثنا السابق -والذي كان بعنوان «كذبة فتح فارس على يد عمر بن الخطاب! كان الجبان المرعوب من الفرس!»- يستغرب من هذا الطرح؛ إذ يظن أن إنجاز هذا الفتح على يد عمر يُعد من المسلّمات التاريخية التي لا يتطرق إليها الشك، فيتساءل: كيف يُدّعى أن هذا الأمر مجرد أكذوبة؟

والجواب عن ذلك يكمن في آفة "التلقين"؛ فهذا التلقين المتوالي هو الذي يحجب عن المتلقي المستغرب كثيرًا من الحقائق التاريخية، مما يجعل تصوراتهِ باطلة، وأحكامه على الوقائع التاريخية خاطئة. إن الباحث عن الحقيقة ملزم بالإلمام

بمصادرها والإحاطة بجوانبها وما يُؤثر عنها. أما مَنْ يُلقِّن أمرًا ما -ولنفرض أنه كان لهذا الشيء نصيب من الصحة- وتُخفى عنه في المقابل حقائق كثيرة، فلن يكون تصويره متكاملًا عن تسلسل الأحداث ولا عن الحدث ذاته، ولن يأتي حكمه إلا مشوبًا بالغفلة عن تلك المعطيات، ومن ثم يكون حكمًا باطلًا.

إن قضية فتح فارس على يد عمر -كما يزعمون وكما يُلقِّنون أبناءهم- هي أكذوبة تاريخية. وقد عرضنا في مبحثنا الماضي من الحقائق ما يبطل هذا الوهم، ويثبت أن الرجل لم يكن بصدد فتح بلاد فارس البتة، ولم يصرف همته إلى ذلك.

فالمشكلة إذن تكمن في هذا التلقين؛ إذ يُلقِّن المخالفون منذ نعومة أظفارهم بطولات وهمية لشخصيات تُعدُّ لبنات أساسية في المعتقد البكري، وفي طليعتها شخصية عمر. يُلقِّن الناشئ منذ الصغر أنه رجل تقي صالح، مبشِّر بالجنة، وفارس مغوار، وبطل الأبطال الذي لا يهاب في الله لومة لائم، وأنه فاتح البلاد ومنها بلاد الفرس المجوس كما يزعمون.

وفي سياق الشحن الطائفي والعداء، يُلقِّنون أن سبب حقد الشيعة على عمر هو كونه فاتح بلادهم إيران؛ وكل هذه أكاذيب وترهات تُبنى عليها الأحكام دون اطلاع على التاريخ بأسره وبكل جزئياته ليأتي الحكم عادلًا ومنصفًا.

ولو أُتِيحَ لَهُمْ اكْتِشَافُ هَذِهِ الْحَقَائِقِ الْمَخْفِيَةِ، لَعَلَّمُوا أَنَّ مَا لَقِّنُوهُ يَأْتِي عَلَى الْعَكْسِ تَمَامًا مِنَ الْحَقِيقَةِ. لَكِنِهَا السَّكْرَةُ؛ فَهُمْ سَكَارَى بِعَمَرٍ، وَقَدْ جُعِلُوا يَسْكُرُونَ بِهِ، وَيَنْطَبِقُ عَلَيْهِمْ قَوْلُهُ تَعَالَى: (وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) [الحج: 3].

وَفِيهِمْ يَصَدَّقُ قَوْلُهُ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ * كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) [الحج: 4-5].

وَمِنْ بَابِ الشَّيْءِ بِالشَّيْءِ يُذَكَّرُ، فَقَدْ جَاءَ فِي خَبَرٍ أَخْرَجَهُ صَاحِبُ (كَنْزِ الْفَوَائِدِ) الْكِرَاجَكِيُّ الطَّرَابِلْسِيُّ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ * ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)، قَالَ:

«هُوَ الْأَوَّلُ ثَانِي عِطْفِهِ إِلَى الثَّانِي وَذَلِكَ لِمَا

أَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَمِيرَ

الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَمًا لِلنَّاسِ، وَقَالَ:

وَاللَّهُ لَانْفِي بِهَذَا لَهُ أَبَدًا»^(١).

(١) كَنْزِ الْفَوَائِدِ لِلْكِرَاجَكِيِّ ص ١٦٩.

يجادلان في الله بغير علم، ويثني أحدهما عطفه للآخر ليضل عن سبيل الله. وإن القوم لسكرارى بهذه الشخصية، ووظيفتنا في مثل هذه الجلسات أن نحاول إفاقتهم من سكرتهم.

مفهوم الفتح وتهافت نسبة الفتح إلى عمر

حين عبّرنا عن أن فتح فارس على يد عمر يُعدّ "كذبة"، لم نكن نردّ حقيقة أن البلاد قد فُتحت في عهده. فلنُتأمل هذه النقطة جيّدًا: نحن لا نقول إن الكذبة تكمن في أن فارس لم تُفتح في عهده، بل هي قد فُتحت في عهده زمانياً، لكننا نقول إنها لم تُفتح "على يده".

إذ ما المفهوم من القول بأن بلادًا ما قد فُتحت على يد فلان؟ المعنى ينحصر في أمرين: إما أن يكون هو القائد العسكري الميداني الذي وضع الخطط الحربية وقاتل بشجاعة واستبسال فأنجز الفتح، وإما أن يكون -إن لم يشترك ميدانيًا- قائدًا سياسيًا وضع همته في هذا السبيل، وبعث البعوث، وحرك الجيوش، وحرّض جنده وشجّعهم ودفعهم لفتح تلك البلاد، بحيث لولا بعثه وتحريكه لما فُتحت. والحقيقة أن عمر لم يكن أيًا من هذين؛ فهو لم يشارك عسكريًا بنفسه في فتح

هذه البلاد، خلافاً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي كان يقاتل مع أصحابه، وخلافاً لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الذي كان يقاتل مع أصحابه، بل كان عمر جالساً في مأمته بالمدينة.

فإن قيل: إذن هو من الصنف الثاني، أي أنه هو من دفع الناس وشجعهم على الفتح، أجبت بأن الحقائق التاريخية التي حشدناها سابقاً والتي سنتمم حشدها، تبديد هذا التصور من أساسه. فالرجل لم يكن ساعياً إلى فتح بلاد فارس إطلاقاً، بل كان خائفاً مرعوباً من الفرس.

شواهد الخوف والجزع عند المواجهة

لقد أورد المؤرخون أنه لما بلغه أن الفرس قد جمعوا جيشاً جرازاً قوامه مئة وخمسون ألفاً في نهاوند لقتال المسلمين، لم يُبدِ شجاعة وثباتاً كما يتوهمون وكما هي الصورة المرسومة عنه، ولم يقل: "أيها المسلمون لقد وعدنا الله الناصر ووعدنا رسوله (صلى الله عليه وآله) فتح فارس"، بل على العكس تماماً؛ وقعت عليه الرعدة والنفضة، وصار ينتفض ويرتعد حتى سمع المسلمون أطيط أضراسه من الخوف والفرع. هذا ما أورده ابن أعثم الكوفي في كتاب (فتوح البلدان) :

«وقعت عليه الرعدة والنفضة حتى سمع

المسلمون أطيأ أضرأسه».

و أصابه الهلع والجبن وصار ينادي:

«أين المهاجرون والأنصار؟ ألا فاجتمعوا

رحمكم الله وأعينوني»^(١).

وعليكم بتبين هذه الحقائق من مصادر التاريخ بأنفسكم، ولا تكونوا كالنيام الذين يضحك عليهم شيوخ الضلال والكهنة بما يخالف التاريخ، ولا تكتفوا بما يُلقى على المنابر وفي الفضائيات أو ما ترّوج له موجة صانعي المحتوى عبر وسائل التواصل. بل اذهبوا وقرأوا السرد التاريخي كاملاً، وما قبله وما بعده، لتكتمل لديكم الصورة.

وقد أطلق عمر مقولته الشهيرة في هذا السياق، والتي يتفاخر بها بعض البكريين الحاقدين على الشيعة والمناوئين لإيران اليوم، ظناً منهم أنها منقبة، حيث يقولون: انظروا، لقد قال سيدنا عمر:

(١) الفتوح لابن اعثم ج ٢ ص ٢٩١.

« وددت أن بيننا وبين فارس جبلا من نار لا

يصلون إلينا منه ولا نصل إليهم»^(١).

وهم يريدون بذلك ذمّ الفرس، ولا يعلمون أنهم بتكرارهم لهذه المقولة إنما يثبتون خوار صاحبهم وجبنه، وأنه يتمنى حازماً نارياً يعصمه منهم لعدم قدرته عليهم.

وقد ورد هذا الخبر في (تاريخ الطبري)، وسبق أن أشرنا إليه.

الندم المستمر بعد تحقق الفتح نضيف في هذا المبحث أمراً عجباً. فقد يبرر البعض موقف عمر قبل الفتح بحجة تهيبه لشدة بأس الفرس، لكن الغريب أنه حتى بعد انكسار شوكتهم وتحقق الفتح في أصقاع فارس وتوابعها كخراسان، بقي مرعوباً خائفاً، ومتحدثاً هذه المرة لا عن جبل من نار، بل عن "بحر من نار" يتمناه فاصلاً بين الطرفين!

بالعودة إلى (تاريخ الطبري)، نقرأ:

«كتب الأحنف إلى عمر بفتح خراسان»

-وهو فاتح منتصر يبتهج ويشكر الله- فقال

عمر:

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٧٩.

«لوددت أنني لم أكن بعثت إليها جنداً..

ولوددت أنه كان بيننا وبينها بحر من نار!»

ومع هذا التصريح الصريح بالندم على إرسال الجند طيلة حياته، يأتيك البكري الجاهل ليزعم أنه فاتح بلاد فارس، بينما الفاتح المزعوم يقول: أنا نادم على أنني بعثت إليها جنداً!
وتمضي الرواية لتبين موقف أمير المؤمنين، إذ يقول علي (صلوات الله عليه):

«ولم يا أمير المؤمنين؟ -وهي رواية عامية

طبعاً- قال: لأن أهلها سينقضون -أو سيفضون-

منها ثلاث مرات فيجتاحون في الثالثة، فكأن

يكون ذلك بأهلها أحب إلي من أن يكون

بالمسلمين».

وهذه دعوى لا يساندها التاريخ، ومن أين له هذا العلم؟
أبوحى من الله أبلغ به أم نبأ من رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟!

ثم يروي الطبري بسنده عن أبي الجنوب يشكري عن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) قال:

«لما قدم على عمر فتح خراسان -أي وصل إليه النبأ- قال: لوددت أن بيننا وبينها بحرًا من نار. فقال علي: وما يشتد عليك من فتحها فإن ذلك لموضع سرور؟ قال: أجل، ولكني...» إلى آخر الحديث السابق^(١)..

فانظروا إلى المُشكّر بعمر، المسكين الذي يظن أن عمر فاتح بلاد فارس وتوابعها، ولا يدري أن صاحبه قال بعد الفتح متندّمًا:

«وددت أن أين بيننا وبينها بحرًا من نار لا نصل إليهم ولا يصلون إلينا».

فهل هذه مقولة قائد إسلامي شجاع مهتم برفع راية التوحيد ونشر الإسلام؟

إن تمنيه جدارًا أو بحرًا من نار يعني عدم مبالاته ببقاء القوم مجوسًا يعبدون النار، ويعني كذلك أنه لا يقيم وزنًا لما أنبأ به المصطفى (صلى الله عليه وآله) من بشارات بفتح فارس والروم كما سمعه أصحابه باستفاضة.

(١) تاريخ الطبري ج٤ ص١٦٨..

وهذا يؤكد أن الرجل لم يكن لصيقًا برسول الله (صلى الله عليه وآله) كما يزعمون، وإلا لسمع واستبشر، لا أن يتندم ويتمنى العزلة التامة عنهم.

توثيق الروايات وإلزام المخالفين بمبانيهم

قد يُعترض بأن هذه الروايات في (تاريخ الطبري) تنتهي إلى سيف بن عمر التميمي، وهو مطعون فيه بالكذب، بل وصفه بعضهم بالدجال.

ولرد على ذلك نقول: أولاً: نُلزم القوم بما أُلزموا به أنفسهم. فلطالما احتجوا بروايات سيف بن عمر متى ما وافقت أهواءهم، ومن أبرز ذلك رواياته حول الشخصية الأسطورية المفتعلة (عبد الله بن سبأ) الذي يزعمون أنه مؤسس التشيع.

ونحن هنا لا ننفي احتمال وجود شخص مهممل بهذا الاسم على هامش التاريخ، بل ننفي تلك الشخصية الأسطورية المضخمة التي تجول في الأمصار من مصر إلى مصر، وتقود ثورة عظمى يشترك فيها كبار الصحابة كعمار بن ياسر رضوان الله عليه، وتقتل عثمان، وتؤسس معتقداً جديداً، وتكون المحرك الخفي خلف الحروب الأهلية الكبرى كحرب الجمل، لتبرئة الباقين كعائشة وطلحة والزبير!

إن إصرارهم على وجود هذه الخرافة يستند أساسًا إلى روايات سيف بن عمر التميمي. فما دمتم تحتجون به هناك، لزمكم قبول روايته هنا في تمني عمر ألا يبعث جنْدًا لفارس. ثانيًا: إن هذه المقولة لم تنفرد بطريق سيف بن عمر، بل لها طرق أخرى لا تمر عبره.

فقد جاء في (مسند الشاميين) للطبراني بسند ينتهي إلى مكحول عن سعيد بن المسيب قال:

«لما فُتحت أداني خراسان بكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف فقال: ما يبكيك يا أمير المؤمنين وقد فتح الله عليك مثل هذا الفتح؟ فقال: وما لي لا أبكي؟ والله لوددت أن بيننا وبينهم بحرًا من النار».

وهنا يذكر الراوي تعليقًا آخر لبكائه، زاعمًا أنه سمع رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول:

«إذا أقبلت رايات ولد العباس من عقار خراسان -أو عقاب خراسان- جاؤوا بنعي

الإسلام، من سار تحت لوائه لم تنله شفاعتي يوم القيامة»^(١).

وقد يُقال إن هذا الخبر موضوع للقدح في بني العباس؛ ونحن نرجح وضعه بالفعل، لكن الأخبار الموضوعة تُبنى غالبًا على أصل ثابت مشهور، فيأتي الوضّاع إلى حقيقة مشهورة ليلصق بها زيادة مختلفة بقصد التوجيه.

فعمر صدرت عنه المقولة الثابتة خوفًا من الفرس وتوقعًا لانتفاضتهم، فجاء الوضّاع ليبرر بكاءه بخبر رايات بني العباس. وهذا تمامًا كما فُعل بحديث: "أنا مدينة العلم وعلي بابها"، إذ أضافوا إليه وضّعًا لحرف مساره فقالوا: "وأبو بكر أرضها، وعمر حيطانها، وعثمان سقفها، ومعاوية مفاتيحها!"، ليصنعوا مدينة لها سقف لا تُفتح إلا بمفتاح معاوية!

فالباحث التاريخي الحصيف يستجلي الحقيقة الثابتة التي ارتكز عليها الوضع، وهي هنا تمني عمر العزلة وبكاؤه عند الفتح. ثالثًا: هناك طريق آخر في (مصنف ابن أبي شيبة) بسند رجاله ثقات عن ربعي بن حراش عن عمر بن الخطاب قال:

(١) مسند الشاميين برقم ١١٩٠.

«اتركوا هؤلاء الفطح الوجوه ما تركوكم،

فوالله لوددت أن بيننا وبينهم بحرًا لا يطاق»^(١).

وقوله "الطحح الوجوه" وصف للوجوه الممثلة والممسوحة، وقد يُقصد بهم الفرس أو الترك، والشاهد هو إثبات مقولته المتكررة برغبته في العزلة التامة وبحر لا يُطاق بينه وبينهم.

إذن، لا يسع أحدًا أن ينكر أن عمر كان خائفًا مرعوبًا، ولم يكن راغبًا في الفتوحات، بل كان يتمنى جبالًا وبحارًا من نار تفصله عنهم. وما يُوضع من زوائد لمحاولة إعطائه صفة الفراسة واستشراف الغيب -كتنبئه بعمر بن عبد العزيز ليمرر العدل- ليس محل بحثنا هنا، بل غايتنا إثبات بطلان فرية كونه الفاتح الشجاع؛ فالفاتح هو من يحث جنده ويبتهج بالنصر، لا من يتندم على تحقيقه.

الدور الفعلي لأمير المؤمنين في تسيير الفتوح

السؤال المحوري إذن: كيف فُتحت هذه البلاد؟ وكيف تغير الموقف الذي ألجأ عمر للفتح وهو غير راغب فيه البتة؟

(١) مسند ابن أبي شيبه (برقم ٣٧٧٤٧).

الحقيقة أن الفضل كله يرجع إلى مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه).

وهاك الخبر في (فتوح البلدان) لابن أعتم؛ حيث يسوق المؤرخ سياقًا تاريخيًا لتقدم أبي موسى الأشعري وفتحه بلاد كرمان موضعًا موضعًا حتى بلغ مغازة خراسان. فكتب أبو موسى لعمر يخبره بما فتح الله عليه، وأنه يريد التقدم إلى خراسان، وأرسل إليه بالخمس. قسم عمر الخمس في المدينة، ثم كتب إلى أبي موسى كتابًا يقول فيه:

«أما بعد، فقد ورد علي كتابك يخبرني بما فتح الله على يديك من أرض فارس وكرمان وأنت تريد التقدم إلى بلاد خراسان، فمهلاً أبا موسى في ذلك! فانظر إذا ورد عليك كتابي هذا فَوَلِّ على كل بلد مما فتح الله عز وجل على يديك رجالاً يرتضيه المسلمون وارجع إلى البصرة فأقم بها!

وذّر عنك خراسان فلا حاجة لنا بها يا ابن قيس، ما لنا ولخراسان وما لخراسان ولنا!

ولوددت أن بيننا وبين خراسان جبلاً من حديد
وبحاراً وألف سدّ، كل سدّ مثل سدّ يأجوج
ومأجوج!«.

تأملوا هذا الأمر بالانسحاب الفوري وإيقاف الفتح! وتأملوا
هذه العقدة النفسية المتأصلة تجاه الفرس! وهي عقدة نراها
اليوم تتجلى عند أبنائه البكرين، الذين يُذلّهم الصهيو
والأمريكي والروسي -الذي دكّ أراضيهم وقتل أطفالهم- فلا
يحركون ساكناً، ولكنهم يمتثلون غلاً وحقداً على الإيرانيين
لسبب وحيد: أنهم دخلوا في التشيع.

ولو تشيّع المصريون اليوم -كما كانوا في عهود سابقة-
لوجّهوا سهام عداؤهم نحوهم أيضاً. وبوادر ذلك جلية؛ فحين
رفع خطيب مصري في العيد صوته متوسلاً: "اللهم بحق
فاطمة وأبيها وبعلمها وبنيتها والسر الكامن فيها"، قامت قيامة
القوم ورموه بالشرك والبدعة، وشنّوا حملة على الأزهر وعلى
حليفهم السيسي، بينما لا يرون بأساً بتوسل خطبائهم الوهابية
وأذيانهم بالبهاائم والتيوس قائلين: "اللهم ارحمنا ببهائمنا"
معتبرين إياه عين التوحيد!

عودة إلى سياقنا؛ هذا هو من يسمونه الفاتح!

يطلب من قائده الانسحاب لبناء جدار عازل بينه وبين فارس، كالجدار العازل الذي يبنيه الكيان الصهيوني! فأين الأكاذيب والبطولات المفتعلة كقصة "يا سارية الجبل" التي صوروها وكأنه يدير المعركة عن بُعد عبر الأقمار الصناعية؟

إنها قيادة ترتعد في مأمنها ولا تهتم بهداية الأمم إلى نور الإسلام. ولو كان عمر في زماننا، لكان رعيديًا خوًافًا يطالب بحواجز من نار تحميه من إسرائيل وإيران وكل القوى، مكتفيًا برقعته الجغرافية الضيقة .

تستمر الرواية قائلة:

«فقال له علي بن أبي طالب كرم الله وجهه:

ولمَ ذلك يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر رضي

الله عنه: لأنها أرض بَعُدت عنا جدًّا ولا حاجة

لنا بها». فقال علي كرم الله وجهه: «فإن كانت

قد بَعُدت عنك خراسان، فإن لله عز وجل

مدينة بخراسان يقال لها مرو أسسها ذو

القرنين... لا تؤخذ عنوة أبدًا ولا يفتحها إلا

القائم من آل محمد».

وأخذ أمير المؤمنين يصف له المدن وما فيها وما سيجري عليها، فذكر: خوارزم، وبخارى، وسمرقند، والشاش، وفرغانة، وأبي جاب (أبيورد)، وبلخ، وطالقان (ورجالها المؤمنون أنصار المهدي)، وترمز، وواشجرد، وسرخس، وسيستان (سجستان)، وسوج، ونيسابور، وجرجان، وقومس، والدامغان، وسمنان، وطبرستان، والري (وما يصيبها من فتن وحصار وقتل). (ونبه مجددًا أننا لا نلتزم بكل تفاصيل ونبوءات هذه الرواية العامة، إلا أن الشاهد منها هو فحواها الإجمالي).

«فلما سكت علي (عليه السلام)، قال عمر:

«يا أبا الحسن، لقد رَغِبْتَنِي فِي فَتْحِ

خِراسان!».

فقال علي (عليه السلام):

«قد ذكرت لك ما علمتُ منها مما لا شك

فيه، فالة عنها وعليك بغيرها، فإن أول فتحها

لبنى أمية وآخر أمرها لبني هاشم»^(١).

(١) فتوح البلدان لابن اعثم ج ٢ ص ٣١٩.

ثم أشار عليه بإمضاء مسير الجيوش. وبالفعل، فقد فُتحت تلك الامتدادات في العهد الأموي، وصارت لاحقًا لدول هاشمية وزيدية استمرت عقودًا.

إذن، الجامع الثابت أن أمير المؤمنين (عليه السلام) هو مَنْ رغبه ودفع الجيوش لإكمال الفتح، ولولا تدخله لانسحب الجيش إلى البصرة.

الحقوق المضیعة والعداء التاريخي

هنا نستذكر ما أورده ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة)، حيث كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول:

«اللهم إني أستعديك على قریش، فإنهم أضمرُوا لرسولك (صلى الله عليه وآله) ضروبًا من الشر والغدر، فعجزوا عنها وحلت بينهم وبينها، فكانت الوجبة بي والدائرة علي... ثم فتح الله عليها الفتوح فأثرت بعد الفاقة، وتمولت بعد الجهد والمخمصة، فحسن في عيونها من الإسلام ما كان سمجًا، وثبت في قلوب كثير منها من الدين ما كان مضطربًا...

ثم نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها وحسن
تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكد عند الناس
نباهة قوم وخمول آخرين، فكنا نحن أهل
البيت ممن حمل ذكره وخبث ناره وانقطع
صوته وصيته حتى أكل الدهر علينا وشرب،
ومضت السنون والأحقاب، ومات كثير ممن
يعرف، ونشأ كثير ممن لا يعرف»^(١).

فيا أيها الباحث، كُن ممن يعرف، ولا تنخدع بأوهام
التلقين.

لقد دفع أمير المؤمنين (عليه السلام) نحو فتح تلك البلاد
لعلمه الغيبي بأن هذه الأمة الفارسية، وإن بقيت ألف عام في
غياهب الملة البكرية، فإن الله سيوفقها لولاية أهل البيت
(عليهم السلام) لتكون من أنصارهم.

وهذا ما تحقق؛ فبعد ألف عام تشيعت تلك البلاد وخرج
منها العلماء الأفاضل، وصمدوا في مواجهة الاستكبار العالمي
والحروب الكونية المشنة عليهم بأفتك الأسلحة من قبل

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢٠ ص ٢٨٩.

الأمريكان والصهاينة، صامدين بحبهم لأهل البيت، مصداقًا لقوله (صلى الله عليه وآله):

«لو كان الدين في الثريا لناله رجال من

فارس»^(١).

والملة البكرية مدينة لعلماء فارس (كالرازي والزمخشري والطبري والبخاري) في فقههم وكلامهم وحديثهم، ولولاهم لانقرضت بكريتهم، فليس لديهم اليوم من علماء سوى جهال كالعرعور وعثمان الخسيس والفوزان.

ويجب أن يُفهم أن حقدنا على عمر بن الخطاب ليس لكونه -زيقًا- فاتح بلاد فارس! فأجداد الإيرانيين الشيعة كانوا لألف سنة بكريين، فكيف لم يحقدوا عليه، ولماذا لا يحقدون على مالك الأشر وعمار بن ياسر اللذين اشتركا في فتح بلادهم؟ ولماذا لا يحقدون على رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهو صاحب الدعوة؟

بل إن من أدخل التشيع لبلاد فارس هم العرب (كقبيلة الأشعريين التي هاجرت إلى قم ونشرت التشيع في بلاد ناصبية).

(١) أخرجه البخاري برقم (٢٥٤٦).

إن عداونا لعمر سببه الحقيقي تطاوله على رسول الله (صلى الله عليه وآله) في رزية الخميس، وتآمره على حياته في العقبة، ومشاركته في سمه، ثم هجومه على دار بضعة المصطفى فاطمة الزهراء عليها الصلاة والسلام وانتهاكه لحرمتها.

وسببه تزييفه للإسلام بإدخاله عقائد وثنية ومجوسية كالتكفير (التكثف) في الصلاة؛ فهذه صلاة المجوس أمام النيران كما فصلناه في سلسلة «الجاهلية الثانية»^(١) و«عمر بن الخطاب: عادل أم ظالم»^(٢).

لقد أدانه النبي (صلى الله عليه وآله) بأنه فرعون أمّتي، وأدانت الزهراء (عليها السلام) التي لم تكن ترد (عليه السلام)، وأدانه الأئمة الأطهار من الحسن إلى المهدي (صلوات الله عليهم).

(١) وهي سلسلة الليالي الرمضانية مع الشيخ الحبيب لعام 1436هـ (2015م).
(٢) وهي الجلسات البحثية مع الشيخ الحبيب لعام 2016م، والمكونة من 12 حلقة.

عمر بن الخطاب وعقدته
النفسية خوفاً من الفرس

موقف عمر من مواصلة الفتوحات الإسلامية

مر معنا في المباحث السابقة أن الطاغية الثاني، عمر بن الخطاب (عليه لعائن الله)، لا يمكن أن يوصف بأنه فاتح لبلاد فارس أو غيرها بالمعنى الحقيقي للكلمة؛ وذلك لأنه لطالما ثبّط المسلمون عن مواصلة هذه الفتوحات، ولطالما أمرهم بالانسحاب والتراجع.

فقد كتب إلى أبي موسى الأشعري بعدما فُتحت فارس وكرمان، كما ورد في (فتوح البلدان) لابن أعثم:

«أما بعد فقد ورد عليّ كتابك يخبرني بما

فتح الله على يديك من أرض فارس وكرمان،

وأنتك تريد التقدم إلى بلاد خراسان، فمهلاً أبا

موسى في ذلك، فانظر إذا ورد عليك
كتابي هذا، فول على كل بلد مما فتح الله عز
وجل على يديك رجلاً يرتضيه المسلمون،
وارجع إلى البصرة فأقم بها، وذّر عنك خراسان
فلا حاجة لنا بها . يا ابن قيس: مالنا ولخراسان
وما لخراسان ولنا ! ولوددت أن بيننا وبين
خراسان جبلاً من حديد وبحاراً، وألف سد كل
سد مثل سد يأجوج ومأجوج»^(١) .

فهنا نجد أن الطاغية الثاني قد أمر أبا موسى الأشعري
بالانسحاب إلى البصرة، وعدم مواصلة الفتح إلى خراسان.
وعلمنا سابقاً أن الذي ألجأه إلى فتح خراسان وحمله عليه، أو
شجعه عليه، هو مولانا أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)،
ولولا ذلك لما فُتحت خراسان.

والحقيقة أن أوامر عمر بالانسحاب كانت كثيرة، وبمراحل
سابقة قبل فارس وكرمان وما حولهما، فضلاً عن خراسان.
وفي كل مرة كان يكرر مقولته السخيفة:

(١) فتوح البلدان لابن أعثم ج ٢ ص ٣١٩.

ليت بيننا وبينهم جبلا من نار، أو بحرا من نار، أو سدا وألف سد، ونحو ذلك مما يومئ إلى مدى تهيبه وتخوفه من ملاقاته العدو.

ومن أوامره بالانسحاب ما جاء في (تاريخ الطبري)، حيث يقول:

«وكتبوا إلى عمر بفتح جلولاء، وبنزول

القعقاع حلوان».

وحلوان هذه ليست التي في مصر، وإنما هي التي تقع في إيران على طريق كرمانشاه وتلك المناطق، بينما تقع جلولاء ضمن الحدود الجغرافية الحالية لدولة العراق، وتجتاز الحدود الإيرانية بامتدادها لتقع حلوان. فكتبوا إلى عمر أن النصر قد تحقق بفتح جلولاء وبنزول القعقاع -وهو القعقاع التميمي المعروف- حلوان، واستأذنه في اتباع هؤلاء الفرس والإجهاز عليهم بعدما وقعت عليهم الهزيمة وانكسروا.

فأبى عمر، وما قال لهم واصلوا الفتح، بل قال:

«لوددت أن بين السواد وبين الجبل

سدا»^(١)!

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٨.

والجبل هنا يقصد به المناطق الإيرانية، والسواد هو أرض العراق، إذ تُسمى أرض السواد.

وفي لفظ (تاريخ ابن مسكويه)، يقول:

«لوددت أن بين السواد وبين الجبل سدا من

نار».

وهو دائما ما يكرر هذه العبارة الجبابة في موارد متعددة قبل الفتح وبعده، فيقول:

«لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم، حسبنا

من الريف السواد»^(١).

فانتبهوا أيها المغتربون والمخدوعون بعمر، فهو يقول: لا شأن لي ببلاد فارس أصلا، حسبنا أرض العراق تكفيننا، إني آثرت سلامة المسلمين على الأنفال.

إذن، لم يكن الرجل راغبا بفتح فارس أصلا، فكيف تزعمون أنه فاتحها وتنسجون له بطولات وهمية؟

بل حتى بعدما فُتحت أراضٍ منها، منع من التقدم وأمر بالانسحاب. ولا ينبغي لمتفذك أو متنطع أن يقول إن هذه

(١) تاريخ ابن مسكويه ج ١ ص ٣٦٥.

الأوامر كانت انسحابا تكتيكيا لإعداد العدة لشن هجوم جديد! فهذا التبرير لا يستقيم مع صراحة كلامه في طلب التحاجز التام: «لا يصلون إلينا ولا نصل إليهم».

فالانسحاب التكتيكي يفترض أنك ستحمل من جديد لتصل إليهم، أما هو فكان يتهيب ملاقات العدو، ولديه عقدة نفسية من الفرس والأعاجم. إن هذا كله يثبت أنه لم يكن إلا جبانا، ولا يصدق عليه أنه قائد الفتوحات كما يزعمون.

الدوافع الحقيقية والمحفزون لاستمرار الفتوحات

إن هذه الفتوحات كانت تجري باندفاع المسلمين في الميادين، لا بتخطيط من عمر بن الخطاب، الذي طالما غضب على الفاتحين.

ومثال ذلك غضبه على العلاء بن الحضرمي، القائد العسكري الذي جمع أهل البحرين وعبر بهم البحر وفتح بلاد فارس، فلما علم عمر غضب وأمرهم بالرجوع. فكيف جرت إذن هذه الفتوحات؟

جرت باندفاع من المسلمين أنفسهم، وبعدهما حمل عمر عليها وألجئ إلى الموافقة من قبل أشخاص أبرزهم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

ومن هؤلاء القادة الذين غيروا موقفه: الأحنف بن قيس التميمي.

نقرأ في (تاريخ الطبري)، عن محمد وطلحة والمهلب وعمر، قالوا:

«قالوا أذن عمر في الإنسياح سنة سبعة

عشر في بلاد فارس وانتهى في ذلك إلى رأي

الأحنف بن قيس».

ومعنى هذا أنه طوال السنوات الخمس السابقة من حكمه (من سنة 12 إلى سنة 17 للهجرة) لم يأذن للجنود بالانتشار، وإنما أذن بناء على رأي الأحنف.

يقول الطبري:

«وعرف فضله وصدقه، وفرق الأمراء

والجنود، وأمر على أهل البصرة أمراء، وأمر على

أهل الكوفة أمراء، وأمر هؤلاء وهؤلاء بأمره،

وأذن لهم في الإنسياح سنة سبع عشرة

فساحوا في سنة ثمان عشرة».

وما كان رأي الأحنف؟

يذكره الطبري في تاريخه، حيث قال لعمر:

«يا أمير المؤمنين أخبرك أنك نهيتنا عن
الانسياح في البلاد وأمرتنا بالاعتصام على ما في
أيدينا وإن ملك فارس حي بين أظهرهم وإنهم
لا يزالون يساجلوننا ما دام ملكهم فيهم ولم
يجتمع ملكان فاتفقا حتى يخرج أحدهما
صاحبه وقد رأيت أنا لم نأخذ شيئاً بعد شيء إلا
بانبعاثهم وأن ملكهم هو الذي يبعثهم ولا يزال
هذا دأبهم حتى يأذن لنا فالمسيح في بلادهم
حتى نزليه عن فارس ونخرجه من مملكته وعز
أمته فهناك ينقطع رجاء أهل فارس ويضربوا
جأشاً».

فبين له أن وقف المناوشات يتطلب القضاء على ملك
الفرس لتقطع مادتهم.

فقال له عمر:

«صدقني والله، وشرحت لي الأمر عن حقه

ونظر في حوائجهم وسرحهم»^(١).

وقدم عليه الكتاب باجتماع أهل نهاوند (المعركة العظيمة) وأهل مهرجانقذق وأهل كور الأهواز إلى رأي ملكهم الهرمزان، فكان ذلك سبب إذنه لهم بالانسياح.

شخصية الأحنف بن قيس وتقييم الفاتحين

مَن هو الأحنف بن قيس التميمي؟ لنسلط الضوء على هذه الشخصية.

نقرأ في (رجال الكشي) رواية تفيد بأن الأحنف بن قيس وفد إلى معاوية لما تم له الأمر، ومعه جارية بن قدامة، والحتات بن يزيد (وهو مصحف في المطبوع بـ"الحاباب بن يزيد").

فقال معاوية للأحنف يقرعه:

«و روي أن الاحنف بن قيس وفد الى

معاوية و جارية بن قدامة و الحباب بن يزيد

فقال معاوية للأحنف: أنت الساعي على أمير

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٨٩.

المؤمنين عثمان، و خاذل أم المؤمنين عائشة،

و الوارد الماء على علي بصفين؟».

فقد اتهمه بثلاث جرائم في نظره: التحريض على عثمان حتى قُتل، وخذلان عائشة، وإزاحة جيش معاوية عن الماء في صفين لتوريده لأمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

وهنا وقفة: يتصور بعض السذج أن الفاتحين لفارس كانوا جميعا على شاكلة طواغيتهم، والحال أن فيهم أمثال الأحنف ومالك الأشتر وعمار وسلمان.

فإذا كنتم تفخرون بالفاتحين، فهذا الرجل بشهادة معاوية هو من الثائرين على طاغيتكم عثمان، وهو بغى وخروج بحسب المعتقد البكري؛ فهل يشفع له فتحه أم تحبط جريمته مآثرته؟ لا يوجد بكري تجرد من العقلانية يقول إن فتح فارس يغفر له قتله لعثمان.

وقد يحتجون بأهل بدر، ولكن من منهم شارك في قتل عثمان سوى محاولاتهم تبديد حقيقة اشتراك أمثال عبد الرحمن بن عديس البلوي (ممن بايع تحت الشجرة) وعمرو بن الحمق الخزاعي في قتله!

فإذا قاتم إن فتح فارس لا يشفع لأحنف ذنبه بقتل عثمان، فنحن نقول الكلام ذاته في الذين تجرؤوا على حرمة رسول الله (صلى الله عليه وآله) في بضعته فاطمة الزهراء (عليها السلام).

هب أن أبا بكر وعمر والمغيرة وخالد بن الوليد (الذين كانوا فرارين جبناً، ولم يبرز خالد إلا في صف المشركين بأحد) كانت لهم مآثر؛ فبمجرد أن يتعدى أحدهم عتبة بيت الزهراء، بل بمجرد أن يلوح عمر قائلاً: «وإن!»^(١).

فهذه الكلمة بحد ذاتها تمحو كل مآثرة وتحبط كل أجر وتهوي بقائلها إلى جهنم. هذا هو الميزان الشرعي، فلا تحدثني عن الفتوحات أمام انتهاك حرمة الزهراء (عليها السلام). وقد يُطرح تساؤل مستند إلى حديث:

«إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل البر

والفاجر»^(٢).

والجواب: نحن نرفض الزعم بأن تلك الفتوحات حققت عزة الإسلام، لأن ما صُدّر كان "إسلام السقيفة" المشوه.

(١) الامامة والسياسة ج ١ ص ٣٠.

(٢) مجمع الزوائد ج ٥ ص ٣٠٦.

ولكن تنزلاً بفرض صحة ذلك، فلا يمتنع أن يجري على يد فاجر كخالد بن الوليد، والبر كمالك الأشتر. فالتقييم يجب أن يكون شمولياً.

لا تقل لي: خالد فتح العراق، وتتغاضى عن اقتحامه دار الزهراء، واغتصابه امرأة مالك بن نويرة في الليلة التي قتله فيها وهو ينطق بالشهادتين، وجعله لرؤوس المسلمين أثافيٍّ لقدور الطبخ!

وهذا الخلل في التقييم مستمر اليوم؛ فصدام يرمي صاروخاً على أراضي الاحتلال فيصبح في نظرهم مبشراً بالجنة، ويلحقون به نظام خامنئي لمجرد انتحاله التشيع، متغافلين عن الظلم والاعتقالات والتعذيب والاغتصاب في نظام البعث ونظام خامنئي.

ويأتيك أبله يمتدح آل سعود لعمارة الحرمين وطباعة المصحف بأموال نفط الشيعة ووضع أسمائهم النجسة لتقترن التلاوة بلعنهم؛ متغافلين عن الجرائم الكبرى كتقطيع جمال خاشقجي إرباً إرباً في إسطنبول فلا يُعرف له قبر، ونشر الخمر والفجور على يد محمد بن سلمان.

متى تكونون عقلاء ذوي نظرة شمولية؟ تطالبون باحترام عمر كفاتح دون نقد علمي لجبنه، وتتغاضون عن جرائمه!

حوار الأحنف بن قيس مع معاوية

نعود إلى تتمة رواية (الكشي)، حيث أجاب الأحنف عن تهم معاوية قائلاً:

«أما أمير المؤمنين عثمان فأنتم معشر
قريش حضرتموه بالمدينة والدار منا عنه
نازحة... وكنتم بين خاذل وقاتل، فعلام
تؤنبوننا نحن؟» .

وأما تهمة خذلانه لعائشة فقال:

«وأما عائشة فإني خذلتها في طول باع
ورحب سرب، وذلك أني لم أجد في كتاب الله
إلا أن تقر في بيتها، فعلام تلومني في ذلك؟» .

فالأحنف لم يجد لعائشة تكليفاً إلا (وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا
تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى) [الأحزاب: 34]، فلما عصت ربها
خذلها.

فعائشة (عليها اللعنة) قدمت البصرة تغوي الناس، تطوف
على البيوت مع حاشيتها وشبيحتها، حتى أغوت كعب بن سور،

العابد وسيد قومه، الذي سد بابه أولاً، فاستعطفته حتى علق المصحف برقبته ودافع عنها حتى قُتل؛ ووقف أمير المؤمنين (عليه السلام) على جيفته متأسفاً على علمه الذي خذله.

أما الأحنف، فرفض إغواءها، وخير أمير المؤمنين بين أن ينصره بأربعمائة سيف، أو يكف عنه أربعة آلاف سيف من قومه، فأمره أمير المؤمنين بالثاني. وأما قتالهم لمعاوية فلأنه أراد قطع رقابهم عطشا بمنع الماء.

وتستمر الرواية لتكشف شراء معاوية للذمم؛ فأمر للأحنف بخمسين ألف درهم، مع أن الأحنف وجارية كانا يريان رأي العلوية، وأعطى الحتات (وكان يرى رأي الأموية) ثلاثين ألفاً! فعاتبه الحتات قائلاً: تعطي الأحنف ورأيه في موالاة علي خمسين ألفاً وتعطيني ثلاثين؟ فأجابه معاوية:

«يا حتات، إنني اشتريت بها دينه». فرد

الحتات: «وأنا فاشترِ مني ديني! فأتمها له و

الحقه بالأحنف».

ومات الحتات بعد أسبوع فاسترد معاوية المال لنفسه وحبسه عن ورثته.

فقال الفرزدق يرثي الحتات ويخاطب معاوية:

أَتَأْكُل مِيرَاثَ الْحَبَابِ ظِلَامَةً
وَمِيرَاثَ حَرْبٍ جَامِدٍ لَكَ ذَائِبُهُ
أَبُوكَ وَعَمِي يَا مَعَاوِيَةَ أَوْرَثَا
تِرَاثًا فَيَخْتَارُ التِّرَاثَ أَقْرَبُهُ
وَلَوْ كَانَ هَذَا الدِّينَ فِي جَاهِلِيَّةٍ
عَرَفْتُ مِنَ الْمَوْلَى الْقَلِيلَ جَلَائِبُهُ
وَلَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ فِي غَيْرِ مُلْكِكُمْ
لَأَدَيْتُهُ أَوْ غَصَصْتُ بِالْمَاءِ شَارِبُهُ
فَكُم مِّنْ أَبٍ لِّي يَا مَعَاوِيَةَ لَمْ يَكُنْ
أَبُوكَ الَّذِي مِّنْ عَبْدٍ شَمْسٍ يَقَارِبُهُ^(١)

وهذا مذكور في مصادر المخالفين، كـ (الكامل في التاريخ) لابن الأثير، حيث أعطاهم مائة ألف وأعطى الحتات سبعين ألفاً، فلما راجعه قال معاوية:

(١) رجال الكشي ج ١ ص ٣٠٤.

«إني اشتريت من القوم دينهم، ووكلتك إلى
دينك ورأيك في عثمان». فقال الحتات: «وأنا
فاشتر مني ديني»^(١).

هذا هو تاريخ معاوية، يا من تلمعون ذا الأستاذ! كان يشتري
الأديان بالمال السياسي.
وفي (أسد الغابة) لابن الأثير، أن الحتات عاتبه بقوله:

«فضلت عليّ محرقاً ومخذلاً»، يقصد
بالمحرق جارية بن قدامة لإحراقه دار ابن
الحضرمي (الخارجي على أمير المؤمنين)،
وبالمخذل الأحنف لخذلانه الناس عن عائشة
وطلحة والزبير.

وفيه ذكر لقصيدة الفرزدق التي يفخر فيها بنسبه، لكنه
يتصاغر أمام النبي وآله (صلوات الله عليهم) قائلاً لمعاوية:

«وما ولدت بعد النبي وآله

كمثلي حَصَانٌ في الرجال يقاربه»^(٢).

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٣ ص ٦٤.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير برقم ١٠٠٠.

وهذا يثبت استقرار الاعتقاد في نفوس المسلمين بأنه لا يتقدم أحد في الفضل على النبي وآله؛ فيا لتعاسة الزمان الذي يُقدم فيه طليق ابن طليق، أو ابن صهاك الزانية (أجلكم الله) على آل رسول الله!

إجبار الناس على لعن أمير المؤمنين (عليه السلام)

للأحنف موقف آخر مع معاوية، ذكره الأندلسي في (العقد الفريد). قام رجل شامي في مجلس معاوية فخطب، وختم بلعن علي (عليه السلام)، وكانت تلك خطبة الشام الرسمية. فاعترض الأحنف:

«يا أمير المؤمنين، إن هذا القائل لو يعلم أن رضاك في لعن المرسلين لعنهم، فائق الله ودع عنك عليا، فقد لقي ربه... وكان والله ما علمنا المبرِّز بسبقه (أو بسيفه)، الطاهر خُلِقَ، الميمون نقيبته، العظيم مصيبتة».

فقال له معاوية مجبرا:

«أيُّم الله لتصعدن المنبر فلتلعننه طوعا أو كرها». فقال الأحنف: «إن تعفني فهو خير لي،

وإن تجبرني فوالله لا تجري فيه شفتاي أبدا...
 أما والله لأنصفنك، أصدد المنبر فأحمد الله...
 ثم أقول: إن معاوية أمرني أن ألعن عليا، وإن
 عليا ومعاوية اختلفا... فإذا دعوت فأؤمنوا
 رحمكم الله: اللهم العن الفئة الباغية، والعن
 الباغي منهما على صاحبه... لا أزيد حرفا ولو
 كان فيه ذهاب نفسي»^(١). فأعفاه معاوية.

واستمرت مأساة لعن أمير المؤمنين ثمانين سنة، حتى ظن
 الجهال اللعن من مقومات الصلاة، فكان الرجل ينساه فيعود
 للمسجد ليعيد صلاته لا عتًا!
 وبلغ التشويه حده حين قُتل أمير المؤمنين (عليه السلام)
 في المحراب، فتساءل الشاميون المخدوعون: «أَعْلِيٌّ
 يصلي؟!».

ويشهد لذلك ما رواه الذهبي في (سير أعلام النبلاء)، عن
 الأوزاعي إمام أهل الخلاف:

«ما أخذنا العطاء حتى شهدنا على علي

(١) العقد الفريد ج ٤ ص ١١٣.

بالنفاق وتبرأنا منه وأخذ علينا بذلك الطلاق

والعتاق»^(١).

الله أكبر! عليّ الذي يُعرف به الإيمان والنفاق، يُشهد عليه
بالنفاق لأجل المال!

خطورة الركون إلى الظالمين وسوء العاقبة

رغم مواقف الأحنف المبدئية، إلا أن قبوله لأموال معاوية
(وهي مال المسلمين الذي يُفترض أن يكون تحت ولاية
المعصوم) أدى به إلى سوء العاقبة.

فمن يقبل مالا يعلم أنه رشوة لشراء دينه تسوء عاقبته.
فقد دار الزمان وأرسل إليه الإمام الحسين (عليه السلام)
يستنصره فخذله، فاستحق اللعن: «ولعن الله أمة خذلتكم».

بل وانضم في كبره إلى مصعب بن الزبير لمحاربة المختار،
وُنقل عنه تنكره لماضيه قائلاً: آل معاوية يعرفون كيف
يحكمون (أي بالمال)، وآل علي لا سياسة لهم^(٢)!

(١) سير أعلام النبلاء ج ٧ ص ١٣٠.

(٢) فعلى المؤمن أن يحترس من أموال الطواغيت؛ كالسيد "الشمس الخراساني"
الذي رفض أموال خامنئي قائلاً لمندوبه: "تريدون شراء ديني كما فعل عثمان".

أما أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلما جاءه أخوه عقيل يطلب زيادة من بيت المال، قرب إليه حديدة محماة فضج من ألمها، فقال له (صلوات الله عليه):

« ثكلتك الثواكل يا عقيل أتئن من حديدة
أحماها إنسانها للعبه، وتجرني إلى نار سجرها
جبارها لغضبه ! أتئن من الأذى ولا أئن من
لظى؟ ».

هكذا تكون المبدئية والنجاة من أموال الظلمة.
وخلاصة القول: إن الأحنف بن قيس، ذا الميول العلوية، هو
الذي أثر على عمر وحمله على فتح بلاد فارس، ولولاه ولولا
الاندفاع الإسلامي لما تحققت الفتوحات في عهد عمر الذي
سيطرت عليه عقدة الخوف من الفرس.

رافضة! ولكنهم في صدارة
الفتوحات! المقداد نموذجًا

مدخل البحث

تطرقنا في الفصل الماضي إلى شخصية الأحنف بن قيس التميمي، الذي أشرنا إلى أنه كان ممن حمل الطاغية الثاني عمر بن الخطاب -عليه لعائن الله- على مواصلة الفتوحات واختراق بلاد فارس.

إذ كان ابن الخطاب -كما بينا- مرعوبًا لا يرى إمكانية مواصلة هذه الفتوحات، بل وبلغ به الأمر أن أمر جيوش المسلمين بالانسحاب إلى البصرة رغم ما حققوه من انتصارات، فكان الأحنف بن قيس من جملة من ضغطوا عليه لمواصلة الانتشار العسكري.

وعلمنا تاليًا أن الأحنف كان من الساعين على عثمان بن عفان، أو ممن جلبوا عليه في الثورة، وأنه انحاز بعد ذلك إلى أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فقاتل بين يديه، حتى اتهمه معاوية -لعنه الله- بأنه ممن خدّل الناس عن عائشة.

هذا كله مع عدم إغفالنا لسوء عاقبة الرجل في آخر أمره كما فصلنا سابقاً. إن التطرق إلى هذه الشخصية يفتح الباب واسعاً للبحث في مسألة بالغة الأهمية، ألا وهي: مشاركة الرافضة في الفتوحات الإسلامية.

إشكالية مشاركة الرافضة تحت راية الجائر

نحن نتحدث هنا عن رجال أفذاذ، سواء كانوا من صحابة النبي (صلى الله عليه وآله) أو من التابعين، كانت لهم مواقفهم الرافضية المشهودة، ولكنهم مع ذلك شاركوا في هذه الفتوحات. ويمثل هذا الأمر إشكالية عويصة؛ إذ كيف للمرء الذي لا يعتقد بشرعية الحكم القائم، ويرى أن السلطة مسلوقة من أصحاب الحق الشرعي - وهم آل النبوة (صلوات الله عليهم)، المتمثلين حينها في أمير المؤمنين علي (عليه السلام) - أن يشارك في فتوحات عسكرية تحت راية هذا الحكم؟

إن التفسير الوافي لهذه النقطة سيأتي مفصلاً في الفصول المقبلة، حيث سنبين أن محصلة المعطيات التاريخية والروائية تفيد بوجود ترخيص لهؤلاء من قبل إمام زمانهم أمير المؤمنين (عليه السلام) بالمشاركة في هذه الفتوحات،

حرصًا على المصلحة الإسلامية العليا، وتغليبا للحكمة التي تقتضي ألا يُترك الغزاة على ما هم عليه.

فمن المعلوم أنهم يقاتلون تحت إمرة حاكم جائر، ويرتكبون إثر ذلك خروقات شرعية فادحة؛ فإذا تُركوا وشأنهم زادت هذه الخروقات وتفاقت، أما إذا صوحبوا من قبل رجال خيرين أفذاذ من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) وأصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإن هذه الخروقات ستقل بلا شك، ويمكن تداركها وتقويم مسارها.

بيد أننا في هذا الفصل سنتخذ أنموذجا فريداً لأولئك الرجال الأبطال، وهو رجل عُرف بالرفض الصريح، ليكون مدار بحثنا ودراستنا. ومما يفيدنا في تعداد هذه الشخصيات الكبيرة، هو تفنيد تلك الأكذوبة التي يروجها المخالفون حين يزعمون أن الشيعة لم يكن لهم دور في الفتوحات إطلاقاً، وأن بأسهم كان مسلطاً على الإسلام والمسلمين فحسب!

إن منشأ هذا الاتهام لا يخلو من جهل مطبق أو تحامل أعمى. فالذي يقرأ التواريخ، بما فيها التواريخ البكرية التي سطورها بأيديهم، يلحظ أسماء لامعة ونجومًا بارزة في سماء الجهاد، ينتسبون إلى التشيع بلا أدنى شك، ومعروفون بولائهم لعلي وأهل البيت (عليهم السلام)، بل وعُرفوا بالرفض الصريح

للحكومة السقيفية وما تلاها من وضع انقلابي على أهل بيت النبوة. وهؤلاء الرجال لم تتلخ سيرهم العطرة بما تلطخت به سير غيرهم من الظلم والدناءة والخروقات الشرعية في الحروب، بل كانوا مُثلاً علياً في الجهاد، وفي مراعاة القيم والموازن الإسلامية والأخلاقية.

إن استعراضنا لهذه الشخصيات يساعد في دحض هذه الشبهة الخرقاء، ويبين بوضوح أن الشيعة لا مشكلة لديهم مع الفاتحين متى ما كانوا مؤمنين ملتزمين بالقيم والموازن الإسلامية. وهذا يسقط تلك الغرية التي يشيعها المخالفون بأن الشيعة يحقدون على عمر بن الخطاب لأنه فتح بلاد فارس؛ فنقول لهم: إذا كان الأمر كذلك، فلماذا لم يحقد الشيعة على القادة الفاتحين الذين كانوا في قلب الميدان، والذين فتحوا بلاد فارس والروم ومصر وأزالوا الإمبراطوريات، وهم رجال ينتسبون إلى التشيع والرفض؟

لماذا موقف الشيعة إيجابي ومبجل تجاه شخصيات كالمقداد بن الأسود الكندي (رضوان الله عليه) الذي كان في طليعة الفاتحين؟

لماذا يُجلّ الشيعة ويعظمونه ويتبركون بتسمية أبنائهم باسمه؟ فكفوا يا معشر المخالفين عن ترديد هذه التهم

السخيفة المعلبة التي صاغها كهنتكم لصد الناس عن التشيع، والتي لا تقنع من له أدنى اطلاع على حقائق التاريخ.

المقداد بن الأسود: فارس الإسلام وحامل لواء الجهاد

إن شخصية المقداد بن الأسود الكندي (أو المقداد بن عمرو الكندي، نسبة إلى أبيه، وإنما سمي بابن الأسود لأنه تربى في حجر الأسود بن عبد يغوث فتبناه) تستدعي منا الوقوف إجلالاً. فهو أول فارس في الإسلام؛ أي أنه أول من قاتل على فرس ولم يكن راجلاً. ففي "السنن الكبرى" للنسائي، وفي "مسند أحمد" عن علي (عليه السلام) قال:

«ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد

رضي الله عنه»^(١).

وفي "الطبقات الكبرى" لابن سعد عن القاسم بن عبد الرحمن قال:

«أول من عدا به فرسه في سبيل الله

المقداد»^(٢).

(١) السنن الكبرى للنسائي برقم ٨٢٣ وكذا مسند أحمد برقم ١٠٢٣.

(٢) الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ١٦٢.

رافضة! ولكنهم في صدارة الفتوحات! المقداد نموذجًا ■ ١٠١

هذا الرجل الحائز على هذا الوسام العظيم، كان في طليعة الفاتحين حتى بعد الانقلاب السقيفي؛ فقد شهد فتح مصر كما يذكر ابن عبد البر في "الاستيعاب"، وشهد فتح اليرموك.

ويُنقل في فتوح الشام أنه كان يشجع المقاتلين في أجواء الحرب وصخبها بتلاوة سورة الأنفال، وهي سورة الجهاد التي تضمنت آياتها أحكام القتال والحث عليه، فكان يتلوها لتطمئن النفوس وتحمس للنزال.

ولقد ظل هذا البطل حريصًا على الجهاد حتى أواخر أيام حياته. ففي "سير أعلام النبلاء" للذهبي، نجد رواية عن أبي راشد الحبراني قال:

«وافيت المقداد فارس رسول الله - (صلى

الله عليه وآله) - بحمص على تابوت من توابيط

الصيارفة قد أفضل عليها من عظامه».

أي أنه كان جالسًا على صندوق للصيارفة، ورغم كبر حجم الصندوق، إلا أن أطراف المقداد كانت تفيض عنه لضخامة هيكله وبنيانته الجسدي (رضوان الله عليه).

يقول الحبراني:

«رأيته يريد الغزو، فقلت له: قد أعذر الله

إليك».

أي أنك أصبحت معذورًا لكبر سنك وترهلك، ولأنك فارس رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذي شارك في كل غزواته يوم بدر وما بعدها بلا استثناء ولم يفر قط، وشاركت في الفتوحات لاحقًا، فيسعك القعود الآن.

فأجابه المقداد بكلمة خالدة:

«أبت علينا سورة البحوث: (انْفِرُوا خِفَافًا

وَثِقَالًا) [التوبة: 41]»^(١).

وسورة البحوث، لمن لا يعرفها، هي سورة التوبة (براءة)، وسميت بالبحوث لأنها تبحث وتُنقّب وتكشف وتفضح المنافقين.

وكما هو معلوم، فإن سور القرآن الكريم قد يكون لها أكثر من اسم، وبعض أسمائها توقيفية وبعضها غير ذلك، ومن المؤسف أن كثيرًا من هذه الأسماء ذات الدلالات العميقة مجهولة عند عموم المسلمين.

(١) سير أعلام النبلاء ج ١ ص ٣٨٤.

الشاهد هنا أن المقداد استشعر التكليف الدائم بالنفر والجهاد المتمثل في هذه الآية، ولم يقعد عن ذلك حتى وهو في أواخر أيامه، رغم كونه رجلاً رافضياً تجلّى رفضه في المصادر البكرية والشيعية على حد سواء.

أحداث الشورى والتأسيس للمحاضرة السياسية

تجلّى ذروة المواقف الرافضية للمقداد في أحداث الشورى التي أعقبت مقتل الطاغية الثاني. فقد أورد الطبري في تاريخه رواية طويلة جمع فيها أسانيد متعددة:

« حدثني عمر بن شبة قال حدثنا علي بن محمد عن وكيع عن الاعمش عن إبراهيم ومحمد بن عبدالله الانصاري عن ابن أبي عروبة عن قتادة عن شهر بن حوشب وأبي مخنف عن يوسف بن يزيد عن ابن عباس بن سهل ومبارك بن فضالة عن عبيدالله ابن عمر ويونس بن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون الاودي»^(١).

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٩٢.

في قصة أصحاب الشورى، يذكر الطبري تفاصيل مثيرة. فبعد أن حصر عمر الخلافة في ستة (علي (عليه السلام)، عثمان، سعد، طلحة، الزبير، وعبد الرحمن بن عوف)، وأمر بضرب أعناقهم إن لم يتفقوا خلال ثلاثة أيام، تصدر عبد الرحمن بن عوف المشهد وأصبح بمثابة المتحدث الرسمي للمجلس.

خاطب عمار بن ياسر (رضوان الله عليه) عبد الرحمن بن عوف قائلاً:

«إن أردت ألا يختلف المسلمون فبايع علياً».

هذا هو منطق البحث عن الوحدة الإسلامية الحقيقية باجتماع الكلمة على صاحب الحق الشرعي والأفضل والأسبق. فسانده المقداد بن الأسود قائلاً:

«صدق عمار، إن بايعت علياً قلنا سمعنا وأطعنا».

(وأرجو الانتباه هنا إلى عبارة المقداد، فستكون لنا معها وقفة).

في المقابل، أخرج الطرف الآخر قرنه كقرن الشيطان، ممثلًا في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، الذي قال رادًا على عمار:

«إن أردت ألا تختلف قريش فبايع عثمان».

لاحظوا البون الشاسع بين المنطقيين! منطق عمار ينظر إلى "المسلمين" كافة، ومنطق ابن أبي سرح ينظر إلى "قريش" فقط، ولا يكثرثون لبقية المسلمين.

إنه مسعى خبيث لتحويل الإسلام إلى دين قبلي وعنصري تحتكره النخبة القرشية، التي تحمل ثارات وأحقادًا دفينه تجاه أمير المؤمنين علي (عليه السلام).

وقد انضم شيطان آخر لابن أبي سرح، وهو عبد الله بن أبي ربيعة، فقال:

«صدق، إن بايعت عثمان قلنا سمعنا وأطعنا».

فاستشاط عمار؛ يقول الراوي:

« فشم عمار ابن أبي سرح وقال: متى كنت تنصح المسلمين؟ ».

وهذا الشتم من عمار الخلق المتأدب بآداب الإسلام يدلنا على أن السب ليس قبيحاً أو حراماً بالمطلق، بل يكون حسناً بل واجباً في حق أمثال هؤلاء الخبثاء.

فمن هو ابن أبي سرح هذا؟ إنه ذلك الخبيث الذي ارتد في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله). كان قد جاء مدعيًا الإسلام ليدس نفسه، فأوكله النبي (صلى الله عليه وآله) بكتابة الوحي، لكنه ارتد وعاد إلى مكة زاعماً إبطال النبوة والقرآن، قائلاً:

«لا يدري محمد ما يقول، يملي عليّ سميحاً

بصيراً فأكتب عزيزاً حكيماً فلا يعترض».

فأنزل الله فيه قرآناً يفضحه: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) [الأنعام: 94].

وقد أورد الطبري في تفسيره أن هذه الآية نزلت في اثنين: مسيلمة الكذاب، وعبد الله بن أبي سرح^(١). فتخيلوا أن هذا الرجل جعله الله قريباً لمسيلمة الكذاب!

(١) تفسير الطبري ج ١١ ص ٥٣٣.

وفي يوم فتح مكة، كان هذا الخبيث من القلائل الذين أهدر النبي (صلى الله عليه وآله) دماءهم، وأمر بقتلهم ولو وُجدوا متعلقين بأستار الكعبة، مستثنياً إياهم من العفو العام دلالة على فرط دناءته. فكيف نجا؟

لقد تدخل الطاغية الثالث عثمان بن عفان -بحكم القرابة- فجاء به إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ثلاث مرات يخرجه ويستأمنه له. وكان النبي (صلى الله عليه وآله) حياءً كريماً، فسكت في الأولى والثانية، ثم اضطر لقبوله في الثالثة، لكنه عاتب أصحابه لاحقاً قائلاً: "أما كان منكم أحد يذهب إليه فيقتله؟

فعن سعد بن أبي وقاص:

«لما كان يوم فتح مكة اختبأ عبد الله بن سعد بن أبي سرح عند عثمان بن عفان، فجاء به حتى أوقفه على النبي (صلى الله عليه وآله) -فقال: يا رسول الله، بايع عبد الله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً كل ذلك يأبى، فبايعه بعد ثلاث، ثم أقبل على أصحابه فقال: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم إلى هذا حيث رأي

كففت يدي عن بيعته فيقتله؟ فقالوا: ما ندري
يا رسول الله ما في نفسك، ألا أومأت إلينا
بعينك؟ قال: (إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له
خائنة الأعين)»^(١).

هذا المرتد الذي كاد للإسلام، يُستوزر لاحقًا في عهد عثمان
ويُعطى خمس إفريقية ويصبح واليًا على المسلمين يصلي
بهم! وكأن البلاد قد غُدمت من الصالحين وأهل الكفاءة حتى
لا يُؤلّى عليهم إلا رجل من أقاصي الحضيض والانحطاط، وهذا
من أبرز الأسباب التي أشعلت ثورة المسلمين على عثمان
لاحقًا. إلى جانب توليته للوليد بن عقبة -الذي سماه القرآن
فاسقًا- واليًا على الكوفة، فصلى بالناس وهو سكران! إنها حقًا
من مآسي التاريخ الإسلامي التي يجب أن يستفيق المسلمون
اليوم ليعرفوا حقيقتها وحقيقة هؤلاء الحكام.

نعود إلى رواية الطبري، حيث اشتد الجدل، وقال عمار:

«أيها الناس، إن الله عز وجل أكرمنا بنبيه
وأعزنا بدينه، فأني تصرفون هذا الأمر عن أهل
بيت نبيكم؟».

(١) صحيح سنن أبي داود برقم ٤٣٥٩.

فانبرى له رجل من بني مخزوم مستخفاً وقال:

«لقد عدوت طورك يا ابن سمية، وما أنت

وتأمير قريش لأنفسها؟».

لاحظوا هذا الاستحقار لعمار الذي ملئ إيماناً، بالتعبير بأمة (سمية) رضوان الله عليها، متناسين أنها أول شهيدة في الإسلام، بل وسبقت زوجها ياسراً في نيل وسام الشهادة. لكن الميزان عند هؤلاء ظل ميزاناً قبلياً عنصرياً متأصلاً من الجاهلية، يحتقر عماءً لأن أسرته كانت من الموالى والعبيد عند قريش، متجاوزين ميزان التقوى. وكل هذا يحدث في الزمن الذي يزعم المخالفون البلهاء أنه "خير القرون"!

هنا تدخل سعد بن أبي وقاص موجهاً كلامه لعبد الرحمن بن عوف:

"أفرغ قبل أن يفتتن الناس".

فاستدعى عبد الرحمن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) وعرض عليه الخلافة بشرط:

«العمل بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة

الخليفتين من بعده».

فرفض أمير المؤمنين (عليه السلام) قائلاً:

«أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي

وطاقتي».

(وفي رواية أخرى أنه قبل الكتاب والسنة ورفض سيرة
الشيخين رفضاً قاطعاً). فانتقل عبد الرحمن إلى عثمان الذي
قبل الشرط فوراً، فبايعه.

عندها نطق أمير المؤمنين (عليه السلام) بكلمته التاريخية
الفاضة:

«حبوته حبة دهر، ليس هذا أول يوم

تظاهرت فيه علينا، فصر جميل والله

المستعان على ما تصفون. والله ما وليت

عثمان إلا ليرد الأمر إليك، والله كل يوم هو في

شأن».

إن قوله (عليه السلام): «ليس هذا أول يوم تظاهرت فيه

علينا» يمثل إدانة صريحة وخطيرة في تاريخ الطبري، تثبت أن

علي بن أبي طالب (عليه السلام) يعتبر يوم السقيفة وتولية أبي

بكر وعمر تظاهراً وظلماً وانقلاباً على أهل البيت.

وهذا هو عين ما يقوله الشيعة! فعلي (عليه السلام) يتظلم ويصرّح بظلامته، وأنت أيها المسلم بالخيار: إما أن تصدق عليّا المطهّر من الرّجس بنص آية التطهير:

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: 34]، وبذلك تتبرأ من ظالميه، أو أن تكذبه فتكذب القرآن وتخرج من دينك.

كما أن أمير المؤمنين (عليه السلام) فضح الدوافع المصلحية الدنيئة لعبد الرحمن بن عوف بقوله: «والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك».

إنها دنيا المصالح وتبادل المنافع، وهذا يحاكي ما نشهده في زماننا المعاصر من محاصصات سياسية مقبّية، كما في العراق مثلاً، حيث تُقسّم المناصب والوزارات وفق توافقات مصلحية لا علاقة لها بالكفاءة.

بينما المنهج المحمدي والعلوي لا يعترف بهذه المحاصصات، بل يقدم "الأكفأ والأتقى والأصلح"، ولو كان شاباً يافعاً لا يتجاوز السابعة عشرة من عمره، كأسامة بن زيد الذي

ولَّاه رسول الله (صلى الله عليه وآله) قيادة الجيش ولعن من تخلف عنه، أو كعتاب بن أسيد الذي ولَّاه على مكة وهو شاب^(١)

(١) وما أشبه الليلة بالبارحة؛ فما نشهده اليوم من تناقضات لدى من يدَّعون تحكيم الشريعة يشبه تمامًا انحرافات الأوائل. خذوا على سبيل المثال المدعو "الجولاني"، الذي ملأ الدنيا ضجيجًا بأنه خرج لرفع راية التوحيد وإعادة عهد الصحابة وتطبيق شرع الله، فإذا به اليوم يفتتح الملاعب لثُقام فيها حفلات الرقص الخليع والغناء والموسيقى بحضوره! لكن من سخریات القدر أن يعترض عليه البكريون ويقيمون الدنيا ولا يقعدونها، متناسين أن الجولاني إنما يعيد بالفعل "عهد الصحابة" كما يزعم! فإذا كان قد فعل ذلك، فقد سبقته حفصة بنت عمر بن الخطاب، التي كانت من ذوات السهرات والحفلات، حيث جمعت نسوة من بنات الطلقاء يضربن بالدفوف في دارها، وينشدن الأغاني في هجاء وسب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ثم خرجن إلى طرقات المدينة يرقصن ويغنين تشفيًا! « شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ١٣ ص ٨ ». والآنكى من ذلك، ما ترويه عائشة -كذبًا وافتراءً على رسول الله (صلى الله عليه وآله)- في كتب الصحاح، من أن النبي (صلى الله عليه وآله) أباح إقامة حفلة راقصة لوفد من الحبشة يزفنون ويرقصون داخل المسجد النبوي الشريف « أخرجه مسلم (892) »! بل وتدَّعي أنه حملها على كتفه ووضع خده على خدها لتتفرج عليهم! فإذا كنتم تقبلون بهذه الروايات في أمهات كتبكم، وتعدون هاتين المرأتين صالحتين، فلماذا تنكرون على الجولاني أفعاله التي هي أدنى مما زعمتم أنه حدث في مسجد رسول الله؟ (ونحن هنا بطبيعة الحال لسنا في مقام الدفاع عن الجولاني، بل في مقام كشف التناقض وفضح سخرية القدر).

التهديد بالثورة وتفنيد تدليس البرزنجي

نعود إلى رواية الشورى. فبعد أن بايعوا عثمان، خرج علي (عليه السلام) وهو يقول:

«سيبلغ الكتاب أجله».

هنا انبرى المقداد ليخاطب عبد الرحمن بن عوف بكلمات صارمة:

«يا عبد الرحمن، أما والله لقد تركته من

الذين يقضون بالحق وبه يعدلون».

فرد عبد الرحمن متعذرًا بالاجتهاد، فقال المقداد مقالته العظيمة:

«ما رأيت مثل ما أوتي إلى أهل هذا البيت

بعد نبئهم! إنني لأعجب من قريش أنهم تركوا

رجلاً ما أقول إن أحداً أعلم ولا أقضى منه

بالعدل. أما والله لو أجد عليه أعواناً...»^(١).

لقد توقفت رواية الطبري عند هذا الحد (لو أجد عليه أعواناً)، وهي عبارة خطيرة تؤكد أن المقداد يرى هؤلاء

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٣٢.

الانقلابيين مستحقين للقتال، وأنه مستعد لإعلان الثورة المسلحة لو توفر له الأنصار.

وقفة مع الكذاب البرزنجي!

وهنا نأتي إلى الوقفة الأولى مع الدجال المدعو «حمد طاهر البرزنجي»، الذي ألف كتابًا بعنوان «صحيح وضعيف تاريخ الطبري».

لقد حاول هذا الرجل تضعيف هذه الرواية الخطيرة زاعمًا أن الطبري ركب الأسانيد وخلطها، وأن طريق عمر بن شبة (صاحب أخبار المدينة وشيخ البخاري) أورد الرواية مختصرة خالية من هذه «النكارة الشديدة» (أي خالية من كلام علي الفاضل لهم، وشمع عمار لابن أبي سرح، وتهديد المقداد)! وأدعى البرزنجي أن هذه التفاصيل من وضع أبي مخنف المتهم بالكذب.

لكن بالرجوع إلى كتاب "أخبار المدينة" لابن شبة نفسه (باب مقتل عمر بن الخطاب وأمر الشورى)، نجد أن الرواية مثبتة بتمامها وبطولها وبكل تفاصيلها الدقيقة التي أنكرها البرزنجي^(١)!

(١) راجع أخبار المدينة لابن شبة ج ٣ ص ٩٢٧.

مما يكشف بجلاء حجم التدليس والاحتيال الذي يمارسه هؤلاء للتعمية على حقائق التاريخ التي تقوي حجة الشيعة.

النصوص المغيبة من تاريخ الشورى ومفهوم الطاعة

أما الوقفة الثانية، فتتعلق بالتحريف والحذف الذي طال مقالة المقداد في رواية الطبري وابن شبة.

فلمعرفة النص الكامل غير المبتور، يجب الرجوع إلى كتاب «السقيفة وفدك» للجوهري، حيث ينقل أن المقداد بن عمرو قام والناس مجتمعون فقال:

«أيها الناس اسمعوا ما أقول، أنا المقداد بن

عمرو، إنكم إن بايعتم عليًا سمعنا وأطعنا، وإن

بايعتم عثمان سمعنا وعصينا!».

هذه العبارة الجوهرية (سمعنا وعصينا) حُذفت من مصادر القوم لأنها تشكل حرجًا بالغًا، وتثبت أن المقداد لا يقر بشرعية عثمان ويتوعده بالعصيان العلني. فرد عليه ابن أبي ربيعة المخزومي متوعدًا:

«إنكم إن بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا، وإن

بايعتم عليًا سمعنا وعصينا».

فأجابه المقداد:

«يا عدو الله وعدو رسوله وعدو كتابه،

ومتى كان مثلك يسمع له الصالحون؟».

ويمضي الجوهري فيروي عن جندب بن عبد الله الأزدي أنه

جلس إلى المقداد بعد بيعة عثمان فسمعه يقول:

«والله ما رأيت مثل ما أوتي إلى أهل هذا

البيت».

فاعترض عبد الرحمن بن عوف، فأجابه المقداد بتكملة

عبارته المبتورة في الطبري:

«أما والله لو أن لي على قريش أعواناً

لقاتلتهم قتالي إياهم ببدر وأحد!».

إنها صرخة مدوية! المقداد يعتبر قتال هؤلاء الانقلابيين

مساوياً لقتال المشركين في بدر وأحد.

فما كان من عبد الرحمن بن عوف إلا أن اتهمه قائلاً:

«ثكلتك أمك! لا يسمعن هذا الكلام

الناس، فإني أخاف أن تكون صاحب فتنة

وفرقة».

وما أشبه هذا الموقف الشجاع بمواقف المتخاذلين في زماننا، المشبعين بالثقافة الانهزامية البكرية وإن تلبسوا بلبوس التشيع، كأولئك الذين خنعوا لقرارات السلطة في الكويت حين أمر «مشعل الصباح» وحكومته بإنزال رايات أبي عبد الله الحسين (عليه السلام) في محرم!

فغابت الرايات ونُكست، وخرج علينا من يتشدق بالتشيع ليبرر خنوعه قائلاً: «سمّعاً وطاعة لولي الأمر»، وهو ينزل الراية بيده!

هذا المنطق هو انسلاخ عن التشيع الأصيل. لو أن رجلاً واحداً صمد وقال للسلطة: "سمعنا وعصينا.. لا تُنكس رايات الحسين إلا على دمائنا"، لخضعت الحكومة بأركانها.

لكنهم تنازلوا، فصب الله عليهم الذل صباً، وشحبت جنسياتهم وطُردوا وضُيق عليهم، لأنهم خذلوا الحسين فخذلهم الله.

فإذا قيل للحر الرافضي الصامد: "أنت صاحب فتنة وفرقة"، فليجبههم بمنطق المقداد العظيم حين رد على عبد الرحمن بن عوف قائلاً:

«إن من دعا إلى الحق وأهله وولاة الأمر لا

يكون صاحب فتنة، ولكن من أقحم الناس في
الباطل وآثر الهوى على الحق، فذلك صاحب
الفتنة والفرقة».

يُعَرِّضُ بعبد الرحمن بن عوف، فتربد وجه الأخير وقال:
«لو أعلم أنك إياي تعني لكان لي ولك
شأن».

فأجابه المقداد بلا مبالاة:

«إياي تهدد يا ابن أم عبد
الرحمن؟»^(١).

هذه هي مدرسة الرفض الحقيقية، مدرسة لا تهاب الكثرة،
كموقف خالد بن سعيد بن العاص (رضوان الله عليه) حين
أحاط به وببقية الأبرار (وهم اثنا عشر رجلاً فقط) أربعة آلاف
سيف حشدهم عمر بن الخطاب في المسجد النبوي
لتهديدهم، فقال له خالد بشجاعة:

«يا بن صهاك الحبشية أبأسيافكم
تهددوننا أم بجمعكم تفزعوننا، والله إن

(١) السقيفة وفدك للجوهري ٨٦.

أسيافنا أحد من أسيافكم وأنا لأكثر منكم وإن
كنا قليلين لأن حجة الله فينا، والله لولا أنني
أعلم أن طاعة الله ورسوله وطاعة إمامي أولى
بي لشهرت سيفي وجاهدتكم في الله إلى أن
أبلي عذري»^(١).

فضائل المقداد في مصادر الفريقين

إن هذا الرجل الذي يمثل قمة الرفض، هو نفسه الذي يروي
فيه المخالفون عن النبي (صلى الله عليه وآله) قوله:

«إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه

يحبهم: علي وسلمان وأبو ذر والمقداد»^(٢).

وهو الذي تروي فيه الشيعة عن أئمتهم (عليهم السلام) أنه
كان من الاثني عشر الذين احتجوا على أبي بكر، وقال له مقالته
الشهيرة:

«يا أبا بكر اربع على نفسك، وقس شبرك

بفترك والزم بيتك، وابك على خطيئتك، فإن

(١) السقيفة وفدك للجوهري ٨٦.

(٢) الاحتجاج للطبرسي ج ١ ص ١٠٤.

ذلك أسلم لك في حياتك ومماتك ورُدَّ هذا
الأمر إلى حيث جعله الله عز وجل ورسوله
(صلى الله عليه وآله) ولا تركز إلى الدنيا، ولا
يغرنك من قد ترى من أوغادها، فاعما قليل
تضمحل عنك دنياك، ثم تصير إلى ربك
فيجزيك بعملك . وقد علمت أن هذا الأمر
لعلي وهو صاحبه بعد رسول الله (صلى الله
عليه وآله). وقد نصحتك إن قبلت
نصي. «(١).

وهو من "شرطة الخميس" الذين ضمن لهم أمير المؤمنين
(عليه السلام) الجنة، وفيه يروي الإمام الكاظم (عليه السلام)
عن جده المصطفى (صلى الله عليه وآله) في شأن هؤلاء
الأبرار:

«هؤلاء رفضوا الناس ووالوا عليا، فسماهم

بنو أمية الرافضة»(٢).

(١) كالمصدر السابق.

(٢) الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي ج ١ ص ٧٥.

وفي "رجال الكشي بسنده عن حمدويه بن نصير، عن محمد بن عيسى ومحمد بن مسعو، عن جبرئيل ابن أحمد، عن محمد بن عيسى، عن النضر بن سويد، عن محمد بن بشير، عن حدثه قال:"

«ما بقي أحد إلا وقد جال جولة إلا المقداد

بن الأسود فإن قلبه كان مثل زبر الحديد»^(١).

ومن طرائف مواقفه ما رواه مسلم في صحيحه، وأبو داود في سننه، وأحمد في مسنده:

«أن رجلاً جعل يمدح عثمان. فعمد

المقداد. فجثا على ركبتيه. وكان رجلاً ضخماً.

فجعل يحثو في وجهه الحصباء. فقال له

عثمان: ما شأنك؟ فقال: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال «إذا رأيتم المداحين،

فاحثوا في وجوههم التراب»^(٢).

(١) رجال الكشي ١٦ الحديث ١١.

(٢) صحيح مسلم برقم ٣٠٠٢؛ و أبو داود برقم ٤٨٠٤ وأحمد في مسنده برقم ٢٣٨٢٧.

(وهذا الحديث طبعاً مُقيّد بمدح ولاية الجور والظلمة المتسلطين، لا مدح أهل الحق والصالح).

حقيقة العلاقة بين المقداد وعثمان عند وفاته

في ختام هذا البحث، نتوقف عند محطة هامة تتعلق بوفاة المقداد لكشف زيف التراحم المدّعى بين الصحابة.

ففي "الطبقات الكبرى" لابن سعد، تُروى رواية عامية تزعم أن المقداد مات بمنطقة الجُرف (على بعد ثلاثة أميال من المدينة) سنة 33 هـ، فحُمِل إلى البقيع «وصلى عليه عثمان بن عفان»^(١).

هذه الرواية تحاول الإيحاء بزوال العداء بين الرجلين. لكن الباحث الألمعي يدرك الخلل من الرواية التي تليها مباشرة في نفس المصدر، حيث يقول ابن سعد عن الحكم:

«إن عثمان بن عفان جعل يثني على المقداد بعدما مات، فقال الزبير: لا أَلْفِيَنَّكَ بعد الموت تندبني ... وفي حياتي ما زوّدتني زادي»^(٢).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ١٦٣.

(٢) كسابقه.

إن استشهاد الزبير بهذا البيت الشعري يفضح المستور!
فهذا البيت يُضرب لمن كان يظلم ويضطهد إنسانًا في حياته، ثم يتصنع البكاء عليه بعد مماته. مما يؤكد بقاء العداء المستحكم بينهما، وأن ثناء عثمان كان محض استعراض سياسي لتلميع صورته، تمامًا كما أصر أبو بكر وعمر على محاولة الصلاة على جنازة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) للتغطية على جريمتهما!

وللتحقق من صحة ما جرى، نعود إلى أصل الخبر في "أمالى المفيد" حيث يروي أن المقداد في أحداث الشورى حذرهم من مبايعة عثمان قائلًا:

«فلا تبائعوا رجالًا لم يشهد بدركًا ولم يبائع
بيعة الرضوان وانهزم يوم أحد يوم التقى
الجمعان...»

. فهده عثمان قائلًا:

«أما والله لئن وُلّيتها لأردنك إلى ربك
الأول».

فلما نزل الموت بالمقداد قال:

«أخبروا عثمان أنني قد رُددت إلى ربي الأول

والآخر تبارك وتعالى».

فلما مات، لم يصل عليه عثمان كما زعموا، بل جاء حتى وقف على قبره يثني عليه بتكلف، فاعترضه الزبير ببیت الشعر المذكور.

عندها أقلت عثمان ما يدينه واعترف بالحقيقة قائلاً:

«يا زبير تقول هذا؟ أتراني أحب أن يموت

مثل هذا من أصحاب محمد وهو عليّ

ساخط؟»^(١).

فالمقداد إذن مات ساخطاً على عثمان ولم يصلح قط! والشيء بالشيء يُذكر، فقد تكرر هذا الموقف الشعري الكاشف للعداوات.

ففي "تاريخ المدينة" لابن شبة، لما مات خالد بن الوليد وبكته النساء، حرض أحدهم عمر بن الخطاب لمنع البكاء، فرفض عمر طالما لم يصل الأمر إلى شق الجيوب.

حينها تمثل طلحة بن عبيد الله بذات البيت الشعري:

(١) أمالي المفيد ص ١١٤.

«لا ألفينك بعد الموت تندبني

وفي حياتي ما زوّدتني زادي»^(١).

كاشفًا أن علاقة عمر بخالد كانت متوترة وبها عدااء شديد أدى إلى عزله، وأن هذا التغاضي بعد الموت لا ينفي الظلم في الحياة.

تهافت المذهب المخالف ورصانة مذهب أهل البيت

إن تسليط الضوء على هذه الوقائع يسقط تلك الصورة الوردية الحالمة والمزيفة التي رُسمت عن "التراحم" بين الصحابة.

أي رحمة هذه التي أفضت إلى إزهاق أرواح ثلاثين ألف مسلم في حرب الجمل التي سلّوا فيها السيوف على بعضهم البعض؟!

لو كانوا أعداء لربما كانت المجزرة أعظم، فهل هذا هو مفهوم الرحمة؟ إن المذهب البكري المخالف مذهب آيل للسقوط لأنه يعادي التاريخ ولا يستطيع الصمود أمام حقائقه.

(١) تاريخ المدينة لابن شبة ج ٣ ص ٦٦٩.

ولذلك تراهم يفتون -كأحمد بن حنبل وغيره- بحرمة ذكر هذه الوقائع التاريخية الثابتة، ويدعون إلى إتلافها وإعدامها لئلا تفتتن العامة.

بل إن عداؤهم امتد إلى سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) نفسها؛ فحديث "الحوض" الذي ينص على ارتداد عامة الصحابة إلا قلة كـ "همل النعم"، استنكره الشافعي على أستاذه مالك بن أنس الذي أخرجه بلفظ مخفف في موطنه، وتمنى لو أنه لم يخرج قط، قائلاً إنه ما أخرج شيئاً من مثالب الصحابة إلا هذا!

أما مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فهو مذهب الحق المتصالح مع التاريخ، والتفسير، والسنة النبوية. ولذا تجد في تراثنا كل الروايات مطروحة للتمحيص والبحث الجلي، بلا حرج ولا طمس ولا إخفاء. كتب أعدائنا تباع في مكتباتنا ونقرأها، لأن الوثائق من حقه لا تهزه شبهة ولا يخيفه نص.

فإذا جاءك اليوم من يستنكر قائلاً: كيف تزعمون أن الشيعة شاركوا في الفتوحات، وهم يحملون هذا العداء للخلفاء؟

فقل له: إن أبطال الفتوحات الحقيقيين، الذين راعوا شرع الله فيها، كانوا هم شيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) ورافضة عصره، كالمقداد بن الأسود الكندي، الذي اجتمع فيه

رافضة! ولكنهم في صدارة الفتوحات! المقداد نموذجا ■ ١٢٧

شرف الجهاد والفتح مع شرف الرفض الصريح لأبي بكر وعمر
وعثمان وكل من حاد عن خط الولاية لأهل بيت النبوة
(صلوات الله عليهم).

أبطال الفتوحات هم أيضًا
أبطال الثورة على عثمان بن
عفان!

معركة اليرموك والدور المغيب لمالك الأشتر

تُعد معركة اليرموك أهم معركة فاصلة وقعت بين المسلمين والروم، إذ أزالَت الوجود الرومي من بلاد الشام ومثلت نقطة تحول كبرى في التاريخ.

والمؤسف حقًا أن الأبطال الحقيقيين لهذه المعركة قد غُيبوا عن عمد، لا لشيء سوى لكونهم من شيعة أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، الذين يتولون أوليائه ويبرؤون من أعدائه؛ أي أنهم من الرافضة الأبرار. لهذا السبب، تغيب الإشادة بذكرهم عن المنابر "البكرية" حين يتحدثون عن هذه الواقعة أو مثيلاتها من الوقائع التي شهدت انتصارات مبهرة وفتوحات عظيمة.

ومن أبرز هؤلاء الأبطال المغيبين في هذا الفتح العظيم، مالك الأشتر (رضوان الله تعالى عليه). هذا البطل الذي أبلى

بلاءً منقطع النظير في تلك المعركة، حتى انهزم جيش الكفار على يديه، وكان صاحب الدور الأبرز في إلحاق الهزيمة بجيوش الإمبراطورية الرومية.

ثمة كتاب بعنوان "الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء"، وقد ألفه صاحبه على أساس أن المتلقي سيكتفي به لمعرفة المغازي النبوية وتاريخ الثلاثة من بعده: أبي بكر وعمر وعثمان -لعنهم الله- الذين يزعم المؤلف أنهم خلفاء النبي (صلى الله عليه وآله)، وهي فرية بطبيعة الحال.

ومن هذا العنوان، يتضح أن صاحب الكتاب أبعد ما يكون عن التشيع، فالشيعة لا يقرون بخلافة هؤلاء الثلاثة. فإذا تضمن هذا الكتاب سجلاً حافلاً ببطولات مالك الأشر، فلا يمكن اتهام مؤلفه بالميل إلى التشيع أو المبالغة في مدح رجاله.

ويُضاف إلى ذلك أن المؤلف أندلسي، والأندلس -كما هو معلوم- غلبت عليها الصبغة الأموية في تلك الأحقاب، والمؤلف هو محدث الأندلس في القرن السادس الهجري، أبو الربيع الكلاعي الحميري. فهذا الرجل ينتمي مذهباً وانتماءً إلى المدرسة الأموية.

وما يسطره من بطولات رجال الرافضة لا بد أن يكون وراءه حقيقة دامغة أجبرته على تدوينها، والفضل ما شهدت به الأعداء.

يقول أبو الربيع الكلاعي في كتابه المذكور، واصفًا مالكا:

«كان من جلداء الرجال وأشدائهم، وأهل القوة والنجدة منهم، وأنه قتل يوم اليرموك قبل أن يهزموا أحد عشر رجلاً من بطارتهم، وقتل منهم ثلاثة مبارزة».

ومعلوم أن الروم كانوا ينتقون البطارقة ذوي البأس الشديد لإسباغ الحماسة الدينية وتحقيق الانتصارات. فأن يقتل مالك الأشر بمفرده أحد عشر رجلاً من عظماء الجيش، وثلاثة منهم قتلهم مبارزةً وجهًا لوجه في خضم المعركة، فهذا إنجاز عظيم.

ويضيف الكلاعي:

«وتوجه مع خالد في طلب الروم حين انهزموا، فلما بلغوا ثنية العقاب من أرض دمشق وعليها جماعة من الروم عظيمة، أقبلوا

يرمون المسلمين من فوقهم بالصخر، فتقدم إليهم الأشتر في رجال من المسلمين، وإذا أمام الروم رجل جسيم من عظمائهم وأشدائهم، فوثب إليه الأشتر لما دنا منه، فاستويا على صخرة مستوية، فاضطربا بسيفيهما، فضرب الأشتر كتف الرومى فأطارها، وضربه الرومى بسيفه فلم يضره شيئا، واعتنق كل واحد منهما صاحبه، ثم دفعه الأشتر من فوق الصخرة فوقعا منها، ثم تدحرجا، والأشتر يقول وهما يتدحرجان (إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) [الأنعام: ١٦١، ١٦٢] ، فلم يزل يقول هذا وهو في ذلك ملازم العليج لا يتركه، حتى انتهى إلى موضع مستو من الجبل، فلما استقرا فيه وثب الأشتر على الرومى فقتله، ثم صاح في

الناس: أن جوزوا، فلما رأت الروم أن صاحبهم
قد قتله الأشر خلوا سبيل العقبة للناس، ثم
انهزموا»^(١).

هذه الهزيمة العسكرية سبقتها هزيمة نفسية بسقوط
بطلهم على يد الأشر رضوان الله عليه.

فأين هذا الفتح في الخطاب "البكري" اليوم؟ حين يتطرقون
لليرموك لا يذكرون سوى خالد بن الوليد، بينما يُغيب صاحب
الفتح الحقيقي الذي ألحق الهزيمة بالروم. والسبب جلي؛
فخالد رجل ترضى عنه "البكرية" وتُجله، أما مالك فممن
تسخط عليه وتبغضه، لأنه علاوة على كونه من أهم أركان
وأصحاب أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، كان من أبرز قادة
الثوار على الطاغية الثالث عثمان بن عفان لعنه الله.

مالك في ميزان التراجم البكرية: بين الإشادة والطعن

يُعد الذهبي إمام أهل الخلاف المعروف في علم الرجال،
وقد ترجم للأشر في كتابه "سير أعلام النبلاء" بـ لقب عظيم،
قائلاً:

(١) الاكتفا بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلثة الخلفاء ج ٢ ص ٢٨٩.

«ملك العرب، مالك بن الحارث النخعي،

أحد الأشراف والأبطال المذكورين».

ويضيف الذهبي أنه حَدَّث عن عمر وخالد بن الوليد، وأن عينه فُقئت وُسُتِرت يوم اليرموك، ومن هنا عُرف بالأشتر.

ثم يصفه قائلاً: «وكان شهماً مطاعاً زَعِراً».

وكلمة "زَعِر" يقصد بها الذهبي أن مالكا كان شديد المراس وعنيذاً. وهذا دأب القوم؛ فكلما رأوا رجلاً ثابتاً على مبادئه لا يوافق أهواءهم، رموه بمثل هذه الأوصاف.

ثم يورد الذهبي بيت القصيد ومحل الشاهد قائلاً:

«وكان ذا فصاحة وبلاغة،

شهد صفين مع علي، وتميز يومئذ، وكاد أن

يهزم معاوية، فحمل عليه أصحاب علي لما

رأوا مصاحف جند الشام على الأسنة يدعون إلى

كتاب الله . وما أمكنه مخالفة علي، فكف» .

ولو تُرك مالك لنصف ساعة إضافية لاستأصل شأفة معاوية

وقتله، لكن الانشقاق الداخلي وقع حين رُفعت المصاحف على

الأسنة.

لقد حُذع أصحاب علي وطالبوا الأشر بالكف عن القتال، ولما رأوا منه عنادًا وصلابة في الحق، ضغطوا على أمير المؤمنين (عليه السلام)، فأرسل إلى مالك يأمره بالكف. ورغم محاولة مالك الاستمهال لنصف ساعة فقط، إلا أنه لم يسعه مخالفة إمام زمانه، فكف عن القتال.

في تلك اللحظة من البلاهة والاستغفال الداخلي، ضاعت فرصة القضاء على الأموية؛ فرصة كانت ستحول دون مجيء معاوية ويزيد، ودون مقتل الحسين (عليه السلام)، ودون عبث حكام الجور بدين محمد (صلى الله عليه وآله).

وتتكرر مآسي التاريخ حين يزاحم السفهاء ولي أمرهم في تحديد المصير؛ إذ كان الأجدر بهم أن يتركوا القرار للقيادة الحكيمة المتمثلة بأمر المؤمنين (عليه السلام) ورجله الثاني مالك الأشر، لكن مزاحمة الكبار في وقت الحرب أدت إلى أعظم البلايا.

ويستمر الذهبي في نقل روايات غريبة، فيروي عن عبد الله بن سلمة المرادي أن عمر بن الخطاب نظر مرة إلى الأشر، فصعد فيه النظر وصوّبه بنظرة حادة غاضبة، وقال:

«إن للمسلمين من هذا يومًا عصيًا».

وهم يسوقون هذا للتدليل على فراسة عمر المزعومة. ثم يذكر الذهبي أن عليًا لما رجع من صفين جهز الأشر واليًا على مصر، فمات في الطريق مسمومًا. قيل إن عبدًا لعثمان عارضه فسقاه عسلًا مسمومًا.

وقد أغفل الذهبي أن هذا العبد كان مبعوثًا من معاوية لعنه الله، الذي ما إن بلغه نبأ استشهاد الأشر حتى ابتهج وقال لجلسائه من أمثال عمرو بن العاص: "إن لله جنودًا من عسل". وأضاف معاوية:

«كانت لعلي بن أبي طالب يدان يمينان
قطعت إحداهما يوم صفين وهو عمار بن
ياسر، و قطعت الأخرى اليوم وهو مالك
الأشر»^(١).

وهذا يكشف حجم الغيظ الذي كان يعتمل في صدور الأعداء تجاه هذين البطلين، مما يفسر تركيز الشتائم وتشويه السمعة عليهما بالذات، كاتهام عمار بن ياسر بـ "ابن السوداء" و"السبئية"، والظعن المستمر في مالك.

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٢٥٥.

ثم يأتي الذهبي بادعاء متهافت ينسبه زورًا لأمير المؤمنين (عليه السلام)، فيزعم أن عليًا كان يتبرم بمالك لأنه يؤذيه وصعب المراس. لكنه يناقض نفسه فورًا حين ينقل موقف أمير المؤمنين عند بلوغه نعي مالك، حيث قال (عليه السلام):

«إنا لله، مالك وما مالك! وهل موجود

مثل مالك؟ لو كان حديدًا لكان قيدًا، ولو كان

حجرًا لكان صلدًا، على مثله فلتبك البواكي»^(١).

علمًا أن اللفظ المروي عندنا في نهج البلاغة هو: «لو كان جبلاً لكان فندًا»، والفند هو الجبل الفريد من نوعه، والمعنى واحد في الدلالة على صلابته وثباته وتفردّه. فكيف يوفق الذهبي بين دعوى التبرم في حياته، وبين هذا النعي العظيم الذي ينفي فيه الإمام وجود مثيل لمالك في الدنيا؟.

إن أصل كذبة تبرم الإمام من مالك تعود إلى الشعبي، وهو كذاب متهم بافتراءاته على أمير المؤمنين (عليه السلام).

فقد زعم الشعبي أن عليًا لما بلغه موت الأشر شمت به قائلًا: «لليديني والغم» -وهي عبارة عربية تقال لمن يتعثر

(١) سير أعلام النبلاء ج٤ ص٣٤.

أبطال الفتوحات هم أيضًا أبطال الثورة على عثمان بن عفان! ■ ١٣٩

ويسقط، وتفيد الشماتة-. وقد أورد الكندي هذا في كتابه "الولة والقضاة"^(١) عن الشعبي.

فجاء الذهبي وتلقف دعوى الشعبي ليبيها كذبة "التبرم"، لكنه أسقط قضية الشماتة في النعي وأثبت النعي المليء بالثناء، فوقع في تناقض مكشوف.

وقد رد ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ" هذه الفرية بوضوح، فبعد أن نقل القولين، رجح النعي المثني، قائلاً:

«وهذا أصح، لأنه لو كان كارهاً له لم يؤله

مصر»^(٢).

شهادة النبي لمالك الأشر بالإيمان

مما يقطع النزاع في فضل مالك الأشر، أن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) شهد له بالإيمان صراحة، من خلال نبوءة تحققت في سيدنا أبي ذر الغفاري رضوان الله عليه.

فقد أخرج أحمد والبزار في مسنديهما، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه -وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب- رواية عن أم ذر قالت:

(١) الولة والقضاة ص ٢٤.

(٢) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٧٠٥.

«لما حضرت أبا ذر الوفاة بكيت، فقال: ما يبكيك؟ فقالت: وما لي لا أبكي وأنت تموت بغلاة من الأرض، ولا يد لي بدفنك، وليس عندي ثوب يسعك فأكفنك فيه»^(١).
فأجابها أبو ذر الزاهد المتقشف:

«لا تبكي وأبشري، فإني سمعت رسول الله
(صلى الله عليه وآله) يقول: "لا يموت بين
امرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران أو
يحتسبان فيردان النار أبدًا"، وإني سمعت
رسول الله يقول لنفر أنا فيهم: "ليموتن رجل
منكم بغلاة من الأرض يشهده عصابة من
المؤمنين».

وأكد لها أن جميع من كان معه في ذلك المجلس قد ماتوا
في قرى وجماعات، ولم يبق سواه ليموت في هذه الغلاة،
قائلًا: "والله ما كذبت ولا كُذبت".

(١) وكان عثمان بن عفان قد نفى أبا ذر إلى الرِّبذة؛ وهي منطقة موحشة عاش فيها غريبًا ومات غريبًا، مصداقًا لقول النبي (صلى الله عليه وآله): "يا أبا ذر، تعيش وحدك وتموت وحدك وتحشر يوم القيامة أمة وحدك"..

أبطال الفتوحات هم أيضًا أبطال الثورة على عثمان بن عفان! ■ ١٤١

وبالفعل، بعد تاريخ حافل بالجهاد والرفض للطغاة -وهو من قال له النبي: "يا أبا ذر أنت منا أهل البيت"- أسلم الروح. وبينما زوجته حائرة أمام جنازته، لاحت لها جماعة من العراقيين قاصدين العمرة، فاستوقفتهم وأخبرتهم ببشارة النبي، فتولوا تغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنوه^(١). وقد أثبت الذهبي في "سير أعلام النبلاء" أن مالكا الأشر كان أحد هؤلاء الذين شهدوا جنازة أبي ذر ودفنوه^(٢). فهذه شهادة نبوية قاطعة بأن مالكا من عصابة "المؤمنين"، ولم يبدل ولم يحدث بعد نبيه!

مأزق الفرقة البكرية: أبطال الفتوحات هم قتلة عثمان

هنا يتجلى المأزق العنيف للفرقة "البكرية"؛ فبطل الفتوحات وهازم الروم في اليرموك، هو ذاته من ألب على عثمان وقاتله باعتراف الذهبي.

إن أبطال الفتوحات الإسلامية هم أنفسهم أبطال الثورة على عثمان بن عفان. ولا يمكن دفع الحقيقة التاريخية بأن كبار

(١) راجع سير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٧٧.

(٢) أخرج ذلك أخرج أحمد والبخاري في مسنديهما، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه -وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم ٣٣١٤.

أركان دولة أمير المؤمنين (عليه السلام) وجنده وأمرائه كانوا من قتلة عثمان.

يقر ابن كثير في كتابه "البداية والنهاية" قائلاً:

«ولما ولي علي بن أبي طالب الخلافة، أشار عليه كثير من أمرائه ممن باشر قتل عثمان أن يعزل معاوية عن الشام ويولي عليها سهل بن حنيف»^(١).

هذه الحقائق تخلخل البنيان "البكري" الآيل للسقوط؛ فكيف يقنعون أتباعهم بأن العلاقة بين علي وعثمان كانت علاقة تواد وتراحم، وأنهم "خلفاء راشدون"، ثم يصدمونهم بأن ثقات علي وأمراء جيشه وولاة أمصاره هم قتلة عثمان؟ لمواجهة هذا المأزق، وكما فصلنا في كتابنا «سقوط عثمان»^(٢)، تندفع الفرقة البكرية لتدوير الزوايا وترقيع الفتوق

(١) البداية والنهاية ج ٨ ص ٢٣.

(٢) هذا الكتاب يجمع سلسلة مقالات كتبها سماحة الشيخ ياسر الحبيب في شهر رمضان ١٤٤٦هـ وتناولت قضية حديث الفئة الباغية ودلالته على سقوط الطاغية الثالث عثمان بن عفان لعنة الله عليه والرد على غلاة البكرية (النواصب الجدد) الذين ينكرون الحديث. تميزت المقالات بالدلائل العلمية والتاريخية الكثيرة والمناقشات الدقيقة مع الأسلوب الأدبي الراقي.. لتحميل الكتاب اضغط على الرابط التالي «<https://al-qatrah.net/images/books/fallofothman.pdf>».

أبطال الفتوحات هم أيضًا أبطال الثورة على عثمان بن عفان! ■ ١٤٣

بالاختلاق والوضع. فوضعوا روايات تزعم أن أمير المؤمنين -الذي سماه رسول الله "سيد المسلمين"- كان يلعن قتلة عثمان في السهل والجبل.

وهذا زعم يثير العجب؛ فهل يعقل أن يمضي الإمام لقتال أصحاب الجمل وهو يلعن قتلة عثمان، بينما يحيط به قتلة عثمان من كل جانب، كمالك الأشتر، وعمرو بن الحمق الخزاعي، ومحمد بن أبي بكر؟.

لقد كانت هذه الحقيقة بالذات هي ذريعة عائشة وطلحة والزبير ومعاوية في خروجهم على أمير المؤمنين، إذ طالבו بتسليم قتلة عثمان، فرفض الإمام وأبقاهم آمنين في حمايته وجعلهم وزراءه وحوارييه. فلو كان ناقدًا عليهم لاقتص منهم ولم تأخذه فيهم رافة. وهنا تلجأ "البكرية التقليدية" -التي تختلف عن البكرية الناصبية المتجددة التي تكشف عن عداء صريح لعلي- إلى ادعاء سخيف، قائلين: إن عليًا حبس عن الاقتصاص خشية أن تتألب عشائر القتلة وتعود الفتنة، فتريث درءًا للمفسدة.

لكن هذا الادعاء يتهاوى أمام الحقائق؛ فلو صح ذلك، لاكتفى الإمام بتهميشهم حتى تسنح الفرصة للاقتصاص، لكننا نراه يقربهم، ويجعلهم قادة جيشه وولاة أمصاره، وحين

يقتلون يتأسف عليهم ويرثيهم بأبلغ الثناء كما فعل مع مالك. ثم لو كان خوف سفك الدماء هو المانع، فما باله لم يمتنع عن خوض حروب طاحنة ضد عائشة وطلحة والزبير ومعاوية، سُفكت فيها دماء أضعاف ما كان سيُسفك لو اقتصر من قتلة عثمان؟

وهنا نقطة في غاية الأهمية أرجو الالتفات إليها: لماذا لم يضع أمير المؤمنين (عليه السلام) يده في يد عائشة ومعاوية وحزبهم للمطالبة بدم عثمان، وهم أضعاف مضاعفة عُدة وعتادًا؟. لو كان طالبو الثأر على حق، وقتلة عثمان على باطل، لكان تحالفه مع الأكثرية الساحقة (أهل الشام وجيش الجمل) أسهل وأقل دماءً. لكن الآية انقلبت؛ فحمى الأقلية التي قتلت عثمان، وجعل قائدهم مالك الأشتر رئيسًا لأركان قواته المسلحة، وحارب الأكثرية.

الموقف الحقيقي لعلي (عليه السلام) من عثمان بن عفان

هذا كله يثبت ما تذهب إليه الشيعة من أن عليًا (عليه السلام) كان يرى دم عثمان مهدورًا شرعًا، وأن قتلة عثمان هم الثوار على الظلم، بينما الطالبون بدمه هم طلاب دنيا بقميص عثمان. بل إن عثمان لم يكن يساوي عند أبي الحسن (عليه

أبطال الفتوحات هم أيضًا أبطال الثورة على عثمان بن عفان! ■ ١٤٥

السلام) جناح بعوضة، وكان يسميه في حياته "حمال الخطايا". ففي رواية قوية السند من "الأخبار الموفقيات"، جاء رجل إلى علي (عليه السلام) يستشفع به إلى عثمان، فقال:

«حمال الخطايا! لا والله لا أعود إليه

أبدًا»^(١).

وفي "شرح نهج البلاغة" نجد ما هو أقوى وقعًا، حيث قال الإمام محرزًا جيشه على قتال جيش عائشة ومعاوية:

«يا أبناء المهاجرين، انفروا إلى أئمة الكفر

وبقية الأحزاب وأولياء الشيطان، انفروا إلى من

يقاتل على دم حمال الخطايا، فوالله الذي فلق

الحبة وبرأ النسمة، إنه ليحمل خطاياهم إلى

يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئًا»^(٢).

هذه الكلمة العلوية العظيمة تعني أن كل وزر وانحراف وخيانة تقع في الأمة إلى يوم القيامة -كمجون حكام العصر وتطبيعهم مع الصهاينة- تُسجل أولًا في صحيفة عثمان بن عفان، لأنه المؤسس للانحراف عن المسيرة الإسلامية.

(١) الاخبار الموفقيات ص ٢٣٩.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١ ص ١٧٩.

وفي ذات السياق، وصف الإمام عائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص بـ "أئمة الكفر وبقيّة الأحزاب"، لأن قتالهم لعلي هو قتال لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، مصداقاً لقوله: «يا علي سلمك سلمي وحربك حربي».

ونسأل هؤلاء البترية الذين يطالبون باحترام عائشة بدعوى أنها زوج النبي: لو أن عائشة حاربت رسول الله في حياته، ألم تكن لتكفر وترتد بإجماع المسلمين؟ فما الفرق بين حربها لمحمد وحربها لعلي بعد أن ساوى النبي بينهما؟.

إن من مسلمات التاريخ التي تُثبت خلو قلب أمير المؤمنين من أي احترام لعثمان، ما ذكره مالك بن أنس -إمام المالكية الذي يتبعه شيوخ الخليج وشمال إفريقيا- كما في كتاب "تهذيب الكمال"؛ إذ روى أن عثمان لما قُتل، أُلقي على المزبلة ثلاثة أيام، وعلي (عليه السلام) يصلي بالناس ويخطب فيهم، ولم يدفنه ولم يحضر دفنه ولم يصل عليه.

قال المزي:

«وقال عبد الملك بن الماجشون، عن

مالك: لما قتل عثمان أُلقي على المزبلة ثلاثة

أيام فلما كان في الليل أتاه اثنا عشر رجلاً فيهم

حويطب بن عبد العزى وحكيم بن حزام وعبد
الله بن الزبير فاحتملوه فلما صاروا به إلى
المقبرة ليدفنوه ناداهم قوم من بني مازن:

والله لئن دفنتموه ها هنا لنخبرن الناس
غدا فاحتملوه، وكان على باب وإن رأسه على
الباب ليقول: طق طق، حتى ساروا به إلى حش
كوكب فاحتفروا له.

وكانت عائشة بنت عثمان معها مصباح،
فلما أخرجوه ليدفنوه صاحت، فقال لها ابن
الزبير: والله لئن لم تسكتي لأضربن الذي فيه
عيناك، فسكتت، فدفن»^(١).

فلو كان لعثمان ذرة من الإيمان لعامله الإمام كما يعامل
المؤمن العادي، بل لقد أوصى الإمام بقاتله ابن ملجم خيرًا
وقال:

(١) تهذيب الكمال في أسماء الرجال ج ١٩ ص ٤٥٧.

«أطعموه من طعامي ، واسقوه من شرابي ؛ فإن أنا عشتُ رأيت فيه رأيي ، وإن أنا متّ فاضربوه ضربة لا تزيدوه عليها»^(١).

بينما ترك عثمان جيفة على المزابل.

ازدواجية المعايير وتأصيل النصب في تقييم الرجال

لقد باتت البكرية التقليدية محاصرة بهذه الحقائق، وتكفل النواصب الجدد بإثباتها بغية تنقيح مذهبهم وحمل المسلمين على البراءة من إمام المتقين (عليه السلام)، لاستحالة الجمع بين حبه وحب عثمان. وقد رُوي أن رجلاً قال لعلي:

« يا أمير المؤمنين إني احبك واحب فلانا، وسمى بعض أعدائه، فقال (عليه السلام) : أما الآن فأنت أعور، فاما أن تعمي وإما أن تبصر»^(٢).

(١) كشف الغمة ج ١ ص ٤١٤.

(٢) بحار الأنوار ج ٢٧ ص ٥٨.

أبطال الفتوحات هم أيضًا أبطال الثورة على عثمان بن عفان! ■ ١٤٩

وقد اختار النواصب مظلومية ابن عفان، وحفروا قبورهم بأيديهم، لأن حكم سيد المرسلين يحتم أن الحق مع علي يدور حيثما دار، وأن الفئة الباغية هي التي نصرت عثمان.

وخلاصة القول ألا تكونوا أسرى للتجهيل والتضليل. إن شيوخ البكرية يحجبون عنكم هذه الحقائق الموثقة في مصادركم كـ "تهذيب الكمال" لمالك بن أنس.

ويزعمون زورًا أن الشيعة لا أمجاد لهم في الفتوحات، بينما نرى مالك الأشر بطل فتوحات الشام، هو ذاته بطل الثورة في المدينة على عثمان بن عفان. فإذا كان تقييمهم لمالك أنه أحبط أجره في الفتوحات بقتله لعثمان، فلماذا لا يطبقون هذا المعيار على من فتح القسطنطينية ثم قتل الحسين ورمى الكعبة بالمنجنيق واستباح المدينة؟

ولماذا يوثقون قتلة الحسين كعمر بن سعد^(١)، ويوثقون من كان يهجو النبي (صلى الله عليه وآله) كالغافاء بن عمير بين يدي بني مروان^(٢)، بينما يكفرون من أنكر شرعية أبي بكر ويقتلونهم بمقابر جماعية؟

(١) قال العجلي في معرفة الثقات ج ٢ ص ١٦٦: عمر بن سعد بن أبي وقاص مدني ثقة.
(٢) روى عنه مسلم في صحيحه ج ١ ص ١٩٤؛ وقال فيه الذهبي: الامام الفقيه أبو سلمة خالد بن سلمة بن العاص بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي الكوفي الغافاء [سير أعلام النبلاء ج ٥ ص ٣٧٣].

إنها ازدواجية المعايير، والمشكلة الحقيقية لديهم هي بغض أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله).

ويتجلى هذا في واقعنا المعاصر، حيث يُحكم على من يسب الذات الإلهية بالسجن لسنة واحدة، بينما يُحكم على من يتهجم على عائشة أو أبي بكر وعمر بالسجن لخمس وأربعين سنة، كما حدث معي شخصيًا في الكويت.

وحين شتم الشهيد حسن شحاتة الثلاثة وعائشة سُحل في شوارع مصر، بينما حين قام زنديق مصري بسب الإمام الحسين (عليه السلام) لم ينتفض له أحد، بل سُميت مدرسة لتحفيظ القرآن باسمه بعد هلاكه.

إن هذا الدين المزيف الذي انتحل اسم الإسلام وتسمى بـ "السنة والجماعة" هو صنعة شيطانية، غرضه الأساس عبادة الرجال وتقديس أبي بكر وعمر وعثمان ومن شابههم من دون الله.

طليق من الطلقاء .. لكنه
من الشيعة الفاتحين
العظماء

بيان بطولات رجال الشيعة في الفتوحات

نستمّر وإياكم في هذا الكتاب في بيان بطولات أولئك الرجال العظماء، الذين تعمّدت المنصات المضللة وإعلام المخالفين إخفاء ما كان منهم من بلاء عظيم وجرأة مشهودة في الفتوحات الإسلامية -بحسب الاصطلاح الشائع-.

وقد تقدّم البيانُ أن هؤلاء الأبطال كانوا هم الفاتحين الحقيقيين بحق، غير أن المنابر البكرية الضالة المضلة لا تزال تتكلف تغييب أدوارهم الناصعة؛ لإيهام هذه الأمة المخدوعة بأن الشيعة لم تكن لهم سابقة في الفتح، ولا كان لهم دورٌ في هذه الحروب والفتوح بين المسلمين، وأن الفتوحات إنما هي من منجزات من يصطلحون عليهم بأهل السنة، وما هم بأهل السنة.

وقد أوضحنا أن في هذا القول تزويرًا صريحًا للتاريخ وإجحافًا عظيمًا بالحقائق، ومن ثمَّ كان لازمًا اتخاذ هذا الموقف العلمي المنصف لأولئك الرجال؛ فقد علمتم وعلمنا -من النماذج التي عُرضت- أن أولئك الرجال العظماء كما شاركوا في الفتوحات الإسلامية، وكانت لهم اليد الطولى في مضمارها وعلى أيديهم تحققت تلك الفتوحات لا على أيدي غيرهم ممن تقاعسوا ونكصوا على أعقابهم، فإنهم كما كانوا أبطالاً وصناديد في ذلك الميدان، كانوا كذلك أبطالاً في مواجهة الانحراف الداخلي والطغيان القرشي؛ فكان من أولئك الفاتحين من عاد أدراجه وثار على الطاغية الثالث عثمان بن عفان (عليه اللعنة)، ولم يدقعه إلى تلك الثورة إلا الدافع عينه الذي دفعه للمشاركة في الفتوحات، وهو نصرته الإسلام وأهله.

وقد عرضنا من النماذج بطل اليرموك مالكا الأشر (رضوان الله تعالى عليه)، الذي علمنا أن فتح اليرموك إنما تحقق على يديه، وهو القائد البطل الذي جندل أبطال الكفر من الروم في تلك الموقعة الفاصلة في التاريخ، وهو في الوقت نفسه من أبطال الثورة على الطاغية الثالث عثمان بن عفان، كما أوضحنا وبيننا.

سياق النشأة الاستثنائية لهاشم بن عتبة المرقال

واليوم نتحدث عن رجل آخر من أبطال الشيعة الرافضة، ولهذا الرجل قصة لافتة جدًا؛ وجهُ اللفتِ فيها يكمن في جانبين أساسيين:

- **الجانب الأول:** أنها تثبت أن المرء -مهما عاش في بيئة معادية، ومغرقة في الكفر والفساد، ومهما نشأ في بيت كافرٍ معاندٍ له السوابق في محاربة الحق- فإن بمقدوره مع ذلك كله أن ينتشل نفسه ويخلصها، وينتقل إلى جانب الحق وأهله. وهذا أمرٌ بالغ الصعوبة كما لا يخفى؛ إذ إن "من شبَّ على شيء شاب عليه"، غير أن هذه القصة تقدم لنا نموذجًا من النماذج المشرقة لهذا التحول الإيماني العميق.

- **الجانب الثاني:** التعرف على هذه الشخصية التاريخية الفذة؛ ولكي تتصوروا أبعاد هذه الشخصية التي نعرضها في هذا الفصل، فلكم أن تتخيلوا أولاً أن الرجل كان من الطلقاء -ونحن وإياكم نعلم من هم الطلقاء، وكيف غلب على عامتهم الشقاء-.

وثانيًا: إن الرجل هو ابن ذلك الرجل الذي يذكر المورخون أنه كسر رباعية رسول الله (صلى الله عليه وآله) في يوم أحد. وطبعًا نحن نصح هذه المعلومة التاريخية؛ فلَسنا نقرّ بأن رباعية النبي (صلى الله عليه وآله) كُسِرَتْ حقًا، وإنما أُدْمِيَتْ؛ وهذا ما صححه أئمتنا الأطهار (صلوات الله عليهم) إذ قالوا:

« لو استقامت لأحدٍ عفوا لاستقامت لرسول

الله (صلى الله عليه وآله) حين أُدْمِيَتْ رباعيُّه،

وَشُجَّ في وجهه»^(١).

ذلك أن خلع الرباعية أو كسرها يورث تشويهًا في الأسنان، وهذا مما يأنف الله عز وجل لوليه ونبيه (صلى الله عليه وآله)، فما قبضه الله إلا سليماً^(٢).

وإنما ورد التعبير بالكسر في بعض الروايات -عندنا وعند المخالفين- من باب التوسع لمكان أنه (صلى الله عليه وآله)

(١) الغيبة للنعماني ص ٢٩٥.

(٢) من ذلك ما رواه الشيخ الصدوق بسندٍ موثَّق عن زرارة قال: " .. أتينا أبا جعفر (عليه السلام) فقال لنا: أين كنتم أمس فأُني لم أركم فأخبرناه -إلى قوله- فقلنا له: وُزوي لنا أنه كُسِرَتْ رباعيُّه -الرسول (صلى الله عليه وآله). فقال (عليه السلام): لا، قبضه الله سليماً ولكنَّهُ شُجَّ في وجهه فبعث عليًّا (عليه السلام) فأتاه بماءٍ في حِجفةٍ فعافه رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يشرب منه وغسل وجههم [معاني الأخبار ص ٤٠٦].

صُرب وسال دمه الشريف من موضع الرباعية، كما شُجَّ رأسه الشريف في موقعة أحد. فمن الذي سدّد تلك الضربة الشنيعة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ إنه والد هذا الطليق!

فلكم أن تتخيلوا الأثر النفسي والتربوي الذي يتركه مثل هذا الوالد على شخصية ابنه.

وثالثًا: عم هذا الرجل؛ وأنتم تعلمون أن العم أحد الأبوين، وقد حدثنا التاريخ أن عمه قد ضمّه إليه وتولى تربيته بعد أبيه، وصاحبه في الإسلام بعد الفتح، وشارك معه في حروبه وغزواته، وكان لصيقًا به؛ فمن المفترض أن يترك هذا العم أثرًا بالغًا في نفسية هذا الشاب.

فإذا كان الوالد كافرًا وهو الذي أدمى رباعية النبي (صلى الله عليه وآله)، فإن العم -وهو الأب الثاني- كان منافقًا، بل كان كما سماه رسول الله (صلى الله عليه وآله) "إمام المذبذبين"!

فانظروا إلى البيئة التي نشأ فيها هذا الرجل، وكيف تحوّل هذا التحول العظيم ليصير شيعيًا رافضيًا جلدًا، بطلاً متفانيًا في ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ومحاربة أعدائه!

ذلك العم هو سعد بن أبي وقاص (لعنه الله). وربنا تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز: (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ

وَهُوَ حَادِغُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ
وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا
إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا [النساء: 143-144].

وقد ورد في الرواية عن أبان، عن سليم بن قيس قال:

«سمعت أبا ذر وسلمان والمقداد يقولون:

إنا لنعود عند رسول الله (صلى الله عليه وآله)
ما معنا غيرنا، إذ أقبل رهط من المهاجرين
كلهم بدريون، فقال رسول الله (صلى الله عليه
وآله): تفترق أمتي بعدي ثلاث فرق: فرقة على
الحق، مثلهم كمثل الذهب، كلما سبكته على
النار ازداد طيبًا وجودة إمامهم أحد هذه
الثلاثة».

وهنا نشير إلى أن التعريض للنار في لغة العرب يسمى فتنة؛
أي افتتان الذهب ونقاؤه، فكلمتا تعرضت هذه الفرقة للبلايا
والمحن ازدادت طيبة وجودة كالذهب.

«وفرقه أهل باطل لا يشوبه شئ من الحق،
مثلهم كمثل خبث الحديد كلما فتنته بالنار
ازداد خبثا ونتنا، إمامهم أحد هذه الثلاثة
وفرقه أخرى ضلال مذبذبون، لا إلى هؤلاء ولا
إلى هؤلاء، إمامهم أحد هذه الثلاثة».

يقول سليم بن قيس:

« فسألته عن الثلاثة، فقالوا: إمام الحق
والهدى علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص
إمام المذبذبين، وحرصت عليهم أن يسموا لي
الثالث فأبوا علي وعرضوا لي حتى عرفت من
يعنون به»^(١) -وهو عمر بن الخطاب (لعنه
الله)-.

ويبدو أن هذا الخبر حدث به سلمان وأبو ذر والمقداد
سليم بن قيس في زمن عمر أو عثمان، فكان التصريح باسم
عمر يستتبع طائلة المساءلة والأخطار الأمنية، فاكتفوا
بالتعريض والتلميح دون التصريح.

(١) كتاب سليم بن قيس الهلالي ج ١ ص ٣٥٣.

ويؤيد ذلك أن أبا بكر (لعنه الله) يُذكر في كثير من الروايات أن الذي أضله وحمله على الغي هو عمر، حيث يشير إليه بقوله: «هذا الشيطان الذي أضلني».

إذن، إمام المذبذبين هو سعد بن أبي وقاص. وبالفعل تجد سلوك هذا الرجل طابق ما تنبأ به رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ فتراه يتذبذب، فتارةً يتصدى لمعاوية (لعنه الله) حين أمره أن يسب علي بن أبي طالب (عليه السلام)، فيستعظم سعد ذلك ويستقبح سب علي، ويحدث في محضر معاوية بفضائل علي (عليه السلام)، كحديث خبير: "لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله"، وحديث المنزلة: "أنت مني بمنزلة هارون من موسى"، وحديث الغدير، ويفسح المجال لذكر مناقبه ويرفض سب أمير المؤمنين؛ وهذا الموقف وإن بدا إيجابياً في ظاهره، إلا أن الجانب الآخر يكشف عن تذبذبه الخبيث.

ففي كتاب السنن لابن أبي عاصم، وفي المعجم الأوسط للطبراني، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه، أن عمار بن ياسر (رضوان الله عليهما) قال لسعد بن أبي وقاص:

«ما لك لا تخرج فتقاتل مع علي بن أبي طالب؟ أما سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول فيه: يخرج قوم من أمتي يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية يقتلهم علي بن أبي طالب -قالها ثلاثاً-؟».

فقد احتج عمار بن ياسر على سعد بكونه قاعدًا متخلفًا عن نصرة الحق، فلاحظوا بماذا أجاب سعد! قال:
«صدقت والله، لقد سمعته».

فهو يعترف بسماعه هذا الحديث النبوي الشريف، ولكن انظروا إلى التبرير المتهالك والسخيف؛ قال:
«ولكني أحببت العزلة حتى أجد سيفًا يقطع الكافر وينبو عن المؤمن!»^(١).

وهذا لعمرى إثمٌ عظيم وتبرير باطل؛ إذ أين الشرط في كتاب الله أو سنة نبيه بأن قتال الفئة الباغية مشروط بامتلاك سيف إعجازي يفرق بذاته بين المؤمن والكافر؟!

(١) السنن لابن أبي عاصم برقم (١٣٣٩)، وفي المعجم الأوسط للطبراني برقم (٣٦٣٤).

إن هذا التبرير يبطل أحكام القرآن الصريحة الآمرة بقتال الفئة الباغية، ويبطل النبوة -والعياذ بالله- لأن النبي (صلى الله عليه وآله) تنبأ بأن عليًا يقاتل المارقين، وأكد أن "علي مع الحق والحق مع علي"، وسعدٌ يقر بسماع ذلك ثم يتعلل بهذه العزلة المفتعلة!

بل إن لسعدٍ موقفًا أشد خبثًا من هذا؛ فقد جاء في كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة :

«قال: وذكروا أن عمار بن ياسر قام إلى علي، فقال: يا أمير المؤمنين، ائذن لي آتي عبد الله بن عمر فأكلمه، لعله يخف معنا في هذا الأمر، فقال علي: نعم، فأتاه، فقال له: يا أبا عبد الرحمن، إنه قد بايع عليًا المهاجرون والأنصار، ومن إن فضلناه عليك لم يسخطك، وإن فضلناك عليه لم يرضك، وقد أنكرت السيف في أهل الصلاة، وقد علمت أن على القاتل القتل، وعلى المحصن الرجم، وهذا يقتل بالسيف، وهذا يقتل بالحجارة، وأن عليًا لم

يقتل أحدًا من أهل الصلاة، فيلزمه حكم
 القاتل. فقال ابن عمر: يا أبا اليقظان، إن أبي
 جمع أهل الشورى، الذين قبض رسول الله
 (صلى الله عليه وآله) وهو عنهم راض، فكان
 أحقهم بها علي، غير أنه جاء أمر فيه السيف ولا
 أعرفه، ولكن والله ما أحب أن لي الدنيا وما
 عليها، وأني أظهرت أو أضمرت عداوة علي.
 قال: فانصرف عنه، فأخبر عليًا بقوله، فقال
 علي: لو أتيت محمد بن مسلمة الأنصاري، فأتاه
 عمار، فقال له محمد: مرحبًا بك يا أبا اليقظان،
 على فرقة ما بيني وبينك، والله لولا ما في يدي
 من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لبايعت
 عليًا، ولو أن الناس كلهم عليه لكنت معه،
 ولكنه يا عمار كان من النبي أمر ذهب فيه
 الرأي، فقال عمار: كيف؟ قال: قال رسول الله
 (صلى الله عليه وآله): إذا رأيت المسلمين

يقتتلون أو إذا رأيت أهل الصلاة. فقال عمار:
فإن كان قال لك: «إذا رأيت المسلمين»،
فوالله لا ترى مسلمين يقتتلان بسيفيهما أبدًا،
وإن كان قال لك: «أهل الصلاة»، فمن سمع
هذا معك؟ إنما أنت أحد الشاهدين، فتريد من
رسول الله قولاً بعد قوله يوم حجة الوداع:
«دماؤكم وأموالكم عليكم حرام إلا بحدث»،
فتقول: يا محمد، لا نقاتل المحدثين. قال:
حسبك يا أبا اليقظان. قال: ثم أتى سعد بن أبي
وقاص فكلمه، فأظهر الكلام القبيح، فانصرف
عمار إلى علي، فقال له علي: دع هؤلاء الرهط،
أما ابن عمر فضعيف، وأما سعد فحسود،
وذنبى إلى محمد بن مسلمة أنني قتلت أخاه
يوم خيبر، مرحب اليهودي»^(١).

فهذا هو العم سعد بن أبي وقاص، وإذا ربي أحدًا فإنما

يخرج أمثال عمر بن سعد قاتل الإمام الحسين (عليه السلام). فتأملوا مدى الصعوبة في أن ينعق إنسانٌ من مثل هذه التربية! ولا تقيسوا ذلك بمحمد بن أبي بكر (رضوان الله عليه)؛ لأن محمد بن أبي بكر لم يدرك من حياة أبيه إلا سنتين أو نحوها، وكانت أمه النجبية الطاهرة أسماء بنت عميس هي التي ربته، ثم كفله أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد زواجه بها، فنشأ في أحضانه الشريفة وكان بارًا طاهرًا رافضيًا.

أما شخصٌ من الطلقاء، لم يصاحب النبي (صلى الله عليه وآله) إلا نحو سنتين بعد الفتح، وكان أبوه هو الذي شج رسول الله وأدمى ربايعته في أحد، وعاش الشاب في بيت الكفر ذلك طيلة السنوات الخمس الممتدة بين أحد والفتح، ثم انضم بعد الفتح إلى عمه سعد بن أبي وقاص إمام المذبذبين والحاسدين وكان يده اليمنى ومعه في الفتوحات والغزوات، ثم تجده بعد ذلك كله يتولى عليًا (عليه السلام)، ويجاهد بين يديه، ويسطر صفحات المجد والبطولة الرافضية! فهذا هو الأمر العجيب حقًا! كيف انعتق هذا الرجل من تلك البيئة المسمومة الفاسدة؟! إنه بلا ريب التوفيق الإلهي.

وهذا البطل العظيم هو هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، الملقب بـ "هاشم المرقال".

وإنما سمي "المرقال" لأنه كان يَرْقُلُ في الحرب -أي يسرع ويشد في القتال إرقالاً-، فلم يكن يسيطر عليه أحدٌ لسرعة اندفاعه وغوصه في أوساط صفوف الأعداء.

بطولات هاشم المرقال في الفتوحات والإجفاف بحقه

ترجم للصحابي الجليل هاشم المرقال الحافظ ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب في معرفة الأصحاب فقال:

«هاشم بن عتبة بن أبي وقاص القرشي الزهري، من بني زهرة، ابن أخي سعد بن أبي وقاص، يُكْنَى أبا عمر، وقد تقدم نسبه إلى زهرة في باب عمه سعد. قال خليفة بن خياط في تسمية من نزل الكوفة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله): هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري. وقال الهيثم بن عدي مثله. قال أبو عمر: أسلم هاشم بن عتبة يوم الفتح».

فيتضح أنه من الطلقاء الذين غلب الشقاء على عامتهم، ولكن الله عصمه واختار له السعادة.

«وَيُعْرِفُ بِالْمَرْقَالِ، وَكَانَ مِنَ الْفَضْلَاءِ

الْخِيَارِ، وَكَانَ مِنَ الْأَبْطَالِ الْبُهِمِ»

-وَالْبُهِمُ جَمْعُ بَهْمَةٍ، وَهُوَ الشَّجَاعُ الَّذِي لَا يُدْرَى مِنْ أَيْنَ يُؤْتَى لَشِدَّةِ بَأْسِهِ وَبَسَالَتِهِ-.

ويكمل ابن عبد البر:

«فُقِئَتْ عَيْنُهُ يَوْمَ الْيَزْمُوكِ^(١) ثُمَّ أَرْسَلَهُ عَمْرُ

مِنَ الْيَرْمُوكِ مَعَ خَيْلِ الْعِرَاقِ إِلَى سَعْدِ عَمَةٍ،

كَتَبَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ، فَشَهِدَ الْقَادِسِيَّةَ وَأَبْلَى فِيهَا

بِلَاءً حَسَنًا، وَقَامَ مِنْهُ فِي ذَلِكَ مَا لَمْ يَقُمْ مِنْ

أَحَدٍ، وَكَانَ سَبَبُ الْفَتْحِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ».

فمن هو البطل الحقيقي لفتح القادسية إذن؟

إنه هذا الرجل الشيعي الرافضي هاشم المرقال! بينما الإعلام البكري ينسب البطولات لسعد بن أبي وقاص، وسعد كان يتمارض ويجلس في الحصن في القادسية، في حين كان هاشم بن عتبة يقاتل بعين واحدة، وكان هو السبب المباشر لفتح القادسية والانتصار فيها!

(١) فصار أعورا، ولم يمنعه ذلك من مواصلة القتال بعين واحدة.

ويتابع ابن عبد البر:

«وكان بهمةً من البهم، فاضلاً خيراً، وهو الذي افتتح جُلُولاً، عقد له سعدٌ لواءً ووجهه، ففتح الله عليه جلولاً، وكانت جلولاً تسمى فتح الفتوح، وبلغت غنائمها ثمانية عشر ألف ألف^(١) وكانت جلولاً سنة سبع عشرة، وقال قتادة: سنة تسع عشرة».

فهذه المعارك الفاصلة: القادسية وجلولاً، وقبلها اليرموك، فاليرموك كانت مع الروم، وأما القادسية وجلولاً فكانتا مع الفرس؛ لأن تلك المناطق وإن كانت ضمن العراق جغرافياً اليوم، إلا أنها كانت مدناً فارسية تابعة للإمبراطورية الساسانية آنذاك. فالذي كسر راية الفرس المجوس ودك حصونهم هم الشيعة المسلمون الأبطال، وليس عمر بن الخطاب!

فعمر بن الخطاب -كما تقدم- كان يرتعد فرائصاً من الفرس، وكان يقول: «وددت لو أن بيننا وبينهم جبلاً من نار أو بحرًا من نار لا يصلون إلينا ولا نصل إليهم»، وأمر بانسحاب

(١) أي ثمانية عشر مليوناً.

الجيوش إلى البصرة وآثر السلامة لجبنه ورعديده. وأما أصحاب البطولات الذين صالوا وجالوا ودكوا عروش مجوسية فارس فهم رجال الشيعة، وعلى أيديهم تحققت الفتوحات، والتاريخ البكري نفسه يسطر هذه الحقائق في أمهات كتبه كـ الاستيعاب لابن عبد البر.

ثم يقول ابن عبد البر في الاستيعاب:

« ثم شهد هاشم مع علي الجمل »

وهنا تتجلى حقيقة الفاتح الأصيل؛ فهو كما يحارب الكفر الخارجي، يحارب كذلك النفاق والانحراف الداخلي، فحارب عائشة بنت أبي بكر في معركة الجمل؛ لأنها خرجت على إمام زمانها ورسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: "يا علي، حربك حربي"، فلم تأخذه في الله لومة لائم.

« وشهد صفين، وأبلى فيها بلاء [حسنا]

مذكورا، وبيده كانت راية علي على الرجالة
يوم صفين، ويومئذ قتل، وهو القائل يومئذ:
أَعُوْزُ يَبْغِي أَهْلَهُ مَحَلَّهُ ... قَدْ عَالَجَ الْحَيَاةَ حَتَّى
مَلَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُفْلَى أَوْ يُفْلَى».

وقد قُطعت رجله يومئذٍ في صفين، فجعل الدم يشخب منها، فما كَفَّ عن القتال، بل:

«جعل يقاتل مَنْ دَنَى منه وهو بَارِكٌ على الأرض»، ويقول: «الفحلُ يَحْمِي شَوْلَهُ مَعْقُولًا».

والشول هي الناقة التي جف لبنها، والفحل يحميها حتى وهو معقول ومربوط؛ فهاشمٌ يقاتل وهو بَارِكٌ مقطوع الرجل كأنه معقول، يدفع عن حريم الدين والإمامة!

«وقاتل حتى قُتِل، وفيه يقول أبو الطفيل عامر بن واثلة (رحمه الله):

«يَا هَاشِمَ الْخَيْرِ جُزِيَتْ الْجَنَّةُ

قَاتَلَتْ فِي اللَّهِ عَدُوَّ السَّنَةِ

أَفْلَحْتَ بِمَا فُزْتَ بِهِ مِنْ مَنَّةٍ»

فانظروا كيف أن الصحابي الجليل أبا الطفيل سمي معاوية بن أبي سفيان "عدو السنة"، خلافا لما يزعمه أهل الخلاف من أن معاوية ناصرٌ للسنة! ويكمل ابن عبد البر قوله:

«وكانت صفين سنة سبع وثلاثين.
أخبرنا أحمد بن محمد، قال: حدثنا أحمد بن
الفضل، حدثنا محمد بن جرير، حدثنا أبو
كريب، حدثنا قبيصة عن يونس عن ابن
إسحاق، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن
سمرة، عن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، قال:
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: يظهر المسلمون على جزيرة العرب،
ويظهر المسلمون على فارس، ويظهر
المسلمون على الروم، ويظهر المسلمون على
الأعور الدجال»^(١).

فهذا الحديث النبوي هو الذي كان يدفع هاشمًا ويحركه
ببسالة للمشاركة في هذه الحروب والفتوحات.
وهذا البطل العظيم تعمد الإعلام البكري إخفاء ذكره في
الفتوحات، وتهميش دوره في كسر الشوكة الكسروية،
واقترضوا على إبراز سعد بن أبي وقاص وخالد بن الوليد

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب برقم (٢٦٥٣).

وأضرابهما؛ وما ذلك إلا لكون هاشم المرقال شديد الولاء لأمير المؤمنين (عليه السلام)، فلم يتحملوا إثبات البطولات لشخص من هذا الصنف الرافضي! ولأن تسليط الضوء عليه يسبب صدمة للمتلقي البكري الذي يؤهم بأن الشيعة يكرهون عمر لأنه فتح بلاد فارس، فإذا به يكتشف أن فاتح فارس الحقيقي هو هذا الشيعي الرافضي الذي يترضى عنه الشيعة ويجلونه!

مما يثبت أن كراهية الشيعة لعمر إنما هي لعدة أخرى تتصل بغضبه للحق والعدوان على أهل البيت (عليهم السلام). كما ينصدم المتلقي عندما يرى هذا الفاتح الكبير يدك حصون النفاق الداخلي في الجمل وصفين ببصيرة نافذة وشجاعة لا نظير لها. لذلك يسعى الكاهن البكري إلى حظر التفتيش في التاريخ، وتطبيق قاعدة الذهبي: "اسمع واصمت"، للقيام بتخدير العقول وحجب الحقائق الناصعة عن الناس.

ثبات هاشم المرقال على الولاية وتفنيد شبهات البترية

اقرأوا ما جاء في كتاب أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير عن زر بن حبيش قال:

«خرج عليٌّ من القصر -أي قصر الكوفة- فاستقبله ركباً متقلدو السيوف، فقالوا: السلام عليك يا أمير المؤمنين، السلام عليك يا مولانا ورحمة الله وبركاته». فقال عليٌّ: مَنْ هاهنا مِنْ أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله)؟ فقام اثنا عشر منهم: قيس بن ثابت بن شماس، وهاشم بن عتبة -وهو هاشم المرقال- وحبیب بن بدیل بن ورقاء، فشهدوا أنهم سمعوا النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه»^(١).

فلاحظوا أن هاشماً أسلم يوم الفتح سنة ثمانٍ للهجرة، وشهد الغدير سنة عشرٍ للهجرة وبائع عليّاً، وانقذت شرارة الإيمان في قلبه وظل ثابتاً على الولاية والاستماتة دونها حتى أريق دمه الشريف.

وله موقفٌ آخر يكشف عن عمق ذوبانه في الولاية العلوية: يرويه نصر بن مزاحم في كتاب وقعة صفين؛ حيث إن عمرو بن

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٢ ص ٦٧٢.

العاص (لعنه الله) كتب كتابًا إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) قبل ارتحاله من النخيلة بظاهر الكوفة إلى صفين، جاء فيه:

« من عمرو بن العاص إلى علي بن أبي

طالب. أما بعد فإن الذي فيه صلاحنا وألفة

ذات بيننا أن تنيب إلى الحق ، وأن تجيب إلى ما

تدعون إليه من شورى...».

فبدأ الخبيث بنفسه قلة أدب واستطالةً سوءية على سيده ومولاه أمير المؤمنين (عليه السلام).

وهذا النص يمثل ردًا قاطعًا على النفعيين والبتريّة الذين سمّموا أفكار الشيعة بإيهامهم أن أمير المؤمنين (عليه السلام) تنازل عن حقه في القيادة بعد رسول الله لكي لا تسفك الدماء وحرصًا على الوحدة الإسلامية المزعومة! فلو كانت هذه الرؤية المزعومة صحيحة، فلماذا لم يقبل عليٌّ (عليه السلام) بعرض عمرو بن العاص ومعاوية هنا بترك الأمر شورى وحقن الدماء؟!

لا شك أنه لو قبل بذلك لما سفكت قطرة دم واحدة في صفين! غير أن الفارق الجوهرى هو أن الإمامة من أصول الدين ولا يجوز التنازل عنها، وإنما ترك عليٌّ القتال بعد رسول الله

لعدم توفر الناصر والعدة المطلوبة (أربعين رجلاً)، كما قال
(عليه السلام):

« لو وجدت أربعين ذوي عزم منهم

لناهضت القوم»^(١).

فلما اكتملت العدة بعد قتل عثمان بوجود أبطال كهاشم
المرقال ومالك الأشر، رفع السيف وجاهد البغاة ولم يلتفت
لوحدهم الشيطانية المزيفة.

وتروي الرواية في وقعة صفين أن زياد بن النضر الحارثي قال
لعبد الله بن بديل بن ورقاء قبل القتال:

« إن يومنا ويومهم ليوم عصيب، ما يصبر

عليه إلا كل مشيع القلب، صادق النية، رابط

الجأش . وايم الله ما أظن ذلك اليوم يبقى منا

ومنهم إلا الرذال. قال عبد الله بن بديل: والله

أظن ذلك».

فكان في كلامهما نوعٌ من التهيب والإحباط النفسي،
فنهاهما أمير المؤمنين (عليه السلام) عن إظهار ذلك وقال:

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٤٧.

« ليكن هذا الكلام مخزوناً في صدوركم، لا تظهره ولا يسمعه منكم سامع. إن الله كتب القتل على قوم والموت على آخرين، وكل آتية منيته كما كتب الله له. فطوبى للمجاهدين في سبيل الله، والمقتولين في طاعته».

فلما سمع هاشم بن عتبة المرقال مقالتهما، انبرى وألقى خطبة بليغة شحنت المعنويات وثبتت الأقدام، قال فيها:

«سربنا يا أمير المؤمنين إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وعملوا في عباد الله بغير رضا الله، فأحلوا حرامه وحرّموا حلاله، واستولاهم الشيطان ووعدهم الأباطيل ومناههم الأماني، حتى أزاغهم عن الهدى وقصد بهم قصد الردى، وحبب إليهم الدنيا، فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها، كرغبتنا في الآخرة إنجاز موعود ربنا. وأنت يا أمير المؤمنين أقرب الناس من

رسول الله (صلى الله عليه وآله) رحماً، وأفضل
الناس سبقة وقدماء. وهم يا أمير المؤمنين
منك مثل الذي علمنا، ولكن كتب عليهم
الشقاء، ومالت بهم الأهواء، وكانوا ظالمين.
فأيدينا مبسوطة لك بالسمع والطاعة، وقلوبنا
منشحة لك ببذل النصيحة، وأنفسنا تنصرك
جذلة على من خالفك وتولى الأمر دونك. والله
ما أحب أن لي ما في الأرض مما أقلت، وما
تحت السماء مما أظلت، وأني واليت عدوا لك،
أو عاديك ولياً لك».

فانظروا إلى هذه الكلمات العظيمة المتأللة إيماناً؛ حيث
يعلن هاشم أنه لو أُعطي الأرض وما عليها والكون وما أظلت
السماء، مقابل أن يتولى عدواً لعلي أو يعادي ولياً له، لما فعل
أبداً!

فلما سمع عليٌّ (عليه السلام) كلامه دعا له قائلاً:

«اللهم ارزقه الشهادة في سبيلك،

والمرافقة لنبيك (صلى الله عليه وآله)»^(١).

فاستجيب دعاء الإمام الفرد في حقه. وهذا يتسق مع ما علمنا إياه الإمام زين العابدين (عليه السلام) في دعائه:

« فَإِذَا كَانَ عُمْرِي مَرْتَعًا لِلشَّيْطَانِ فَأَقْبِضْنِي

إِلَيْكَ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ مَقْتُكَ إِلَيَّ »^(٢).

تفاصيل قتال هاشم المرقال واستشهاده في ملحمة صفين

ثم مضت الجيوش وبدأت ملحمة صفين لأيام طوال وليالٍ معتمات، وتفانت فيها العرب حتى كاد العرق العربي أن يستأصل من شدة القتال.

وفي وقعة صفين لنصر بن مزاحم أن عمار بن ياسر (رضوان الله عليه) نادى يومئذ:

«أين من يبغي رضوان ربه ولا يؤوب إلى مال

ولا ولد؟ قال: فأتته عصابة من الناس، فقال:

«أيها الناس، اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين

(١) وقعة صفين ص ١١١.

(٢) من دعاء مكارم الأخلاق للإمام زين العابدين (عليه السلام).

يبغون دم عثمان، ويزعمون أنه قتل مظلوما،
والله إن كان إلا ظالما لنفسه، الحاكم بغير ما
أنزل الله».

وفي رواية أخرى أن رجلاً قال لعمار يوم صفين:
«على ما تقاتلهم يا أبا اليقظان؟! قال: على
أنهم زعموا أن عثمان مؤمن ونحن نزعم أنه
كافر»^(١).

ودفع عليّ (عليه السلام) الراية إلى هاشم بن عتبة، وكانت
عليه يومئذ درعان وهو ضخم الجسم جداً، فقال له عليّ (عليه
السلام) كهينة المازح:

«يا هاشم، أما تخشى من نفسك أن تكون
أعور جبائاً؟».

وهذا المزاح في أجواء الحرب لرفع المعنويات وتبديد
التوتر النفسي كعادة القادة العظام-، فقال هاشم:

«ستعلم يا أمير المؤمنين، والله لألفن بين
جماجم القوم لف رجل ينوي الآخرة. فأخذ

(١) تقريب المعارف ص ٢٧٣.

رمحا فهزه فانكسر، ثم آخر فوجده جاسيا فألقاه، ثم دعا برمح لين فشد به لواءه. ولما دفع علي الراية إلى هاشم، قال له رجل من بكر بن وائل من أصحاب هاشم: أقدم هاشم، يكررها، ثم قال: مالك يا هاشم قد انتفخ سحرک، أعورا وجبنا؟ قال: من هذا؟ قالوا: فلان. قال: أهلها وخير منها، إذا رأيتني قد صرعت فخذها. ثم قال لأصحابه: شدوا شسوع نعالکم، وشدوا أزرکم، فإذا رأيتموني قد هزرت الراية ثلاثا فاعلموا أن أحدا منكم لا يسبقني إليها.

ثم نظر هاشم إلى عسكر معاوية فرأى جمعا عظيما، فقال: من أولئك؟ قيل: أصحاب ذي الكلاع. ثم نظر فرأى جندا فقال: من أولئك؟ قالوا: جند أهل المدينة وقريش. قال: قومي لا حاجة لي في قتالهم. قال: من عند هذه القبة

البيضاء؟ قيل: معاوية وجنده. قال: فإني أرى
دونهم أسودة. قالوا: ذاك عمرو بن العاص
وابناه ومواليه. وأخذ الراية فhezها، فقال له
رجل من أصحابه: امكث قليلا ولا تعجل. فقال
هاشم:

«قد أكثروا لومي وما أقلا
إني شريت النفس، لن أعتلا
أعور يبغي نفسه محلا
لا بد أن يفل أو يفا
قد عالج الحياة حتى ملا
أشدهم بذى الكعوب شلا»^(١).

وروى نصر عن عمر بن شمر عن هاشم أنه أخذ يقاتل ويرقل
إرقالاً شديداً.

وفي نفس كتاب وقعة صفين، أن علياً (عليه السلام) دعا
هاشماً في يوم آخر ومعه الراية وهو أعور، فقال له:

(١) وقعة صفين ص ٣٢٦.

«يا هاشم، حتى متى تأكل الخبز وتشرب الماء؟!»، فقال هاشم: «لَأَجْهَدَنَّ عَلَى أَنْ لَا أَرْجِعَ إِلَيْكَ أَبَدًا!». فقال عليٌّ: «إِنْ بِإِزَائِكَ ذَا الْكَلَاعِ، وَعِنْدَهُ الْمَوْتُ الْأَحْمَرُ».

فتقدم هاشم يسرع إرقالاً، فقال معاوية حين رآه:

«من هذا المقبل؟ فقيل: هاشم المرقال. فقال: أعور بني زهرة، قاتله الله! وقال: إِنْ حَمَاةُ اللَّوَاءِ رُبِيعَةٌ، فَأَجِيلُوا الْقَدَاحَ، فَمَنْ خَرَجَ سَهْمُهُ عَبِيَّتَهُ لَهُمْ. فخرج سهم ذي الكلاع لبكر بن وائل، فقال: ترحك الله من سهم كرهت الضراب. وإنما كان جل أصحاب علي أهل اللواء من ربيعة، لأنه أمر حماة منهم أَنْ يَحَامُوا عَنِ اللَّوَاءِ. فَأَقْبَلَ هَاشِمٌ وَهُوَ يَقُولُ:

أعور يبغي نفسه خلاصا

مثل الفتيق لا بسا دلاصا

قد جرب الحرب ولا أناصا

لادية يخشى ولا قصاصا
كل امرئ وإن كبا وحاصا
ليس يرى من موته مناصا»

وحمل صاحب لواء ذي الكلاع -وكان رجلاً من بني عُذرة-
على هاشم، وهاشمٌ حاسرٌ رأسه بلا خوذة يريد الشهادة،
والأنصاري العذري ينادي بأخذ ثأر عثمان، فاختلفا طعنيتين،
فطعنه هاشمٌ فقتله لساعته. ثم حمل ذو الكلاع واقتتل
الناس قتالاً شديداً، فُقُتِلَ ذو الكلاع، وقُتِلَ هاشمٌ المرقال
(رضوان الله عليه) في تلك المعركة الفاصلة.
ولما صُرِعَ هاشمٌ، أخذ ابنه الراية أن تقع، وهو يرثي أباه
ويستبسل قائلاً:

«أهاشم بن عتبة بن مالك
أعزز بشيخ من قريش هالك
تخطه الخيلات بالسنايك
في أسود من نقعهن حالك
أبشر بحور العين في الأرائك

والروح والريحان عند ذلك»

وحُمِلَ جثمان هاشم المرقال الشريف مع جثمان عمار بن ياسر إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) -وكان قد استشهد في اليوم نفسه-، فوضعهما أمير المؤمنين أمامه معًا، وصلى عليهما جميعًا وكَبَّرَ عليهما.

الدروس التربوية والبدنية في الوطن المهدوي

إن أبطالنا العظام -كعمار بن ياسر الذي قاتل وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وكان به فتق من أثر اعتداء جلاوزة عثمان عليه، وكهاشم المرقال الذي قاتل بعين واحدة وبقدم واحدة مقطوعة وهو بارك على الأرض- يمثلون القدوة الحقيقية للوطن المهدوي.

ففي المجتمع والوطن المهدوي، ينبغي إعداد طلبة العلوم الدينية والشباب إعدادًا بدنيًا وقاتليًا صارمًا، عبر برامج تدريبية وتأهيلية يومية؛ حتى لا يكونوا عرضة للضعف والتكسر من أدنى مجهود، بل يكونون أبطالًا أشداء كمالك الأشتر وهاشم المرقال وعمار بن ياسر وحكيم بن جبلة العبدى (رضوان الله عليه) -الذي قُطِعَتْ ساقه فجعل يقاتل بساقه المبتورة ثم اتخذها وسادة، ولما قيل له من قتلك قال: وسادتي!-.

وكذلك ذلك الشاب المخلص مسلم العبدى الذى حمل
المصحف فى معركة الجملى لىحتج به على عائشة وأصحاب
الجملى بغير سلاح، فأمرت عائشة شبيحتها بقولها: «أشجروه
بالرماح»، فطعنوه حتى أريق دمه واستشهد فى سبيل الله.
فينبغى الاجتهاد فى تربية أبنائنا وأنفسنا على هذه المبادئ
السامية، والروحىة الإيمانية العالىة، والبساطة والصلابة.

فتوحات نشر التوحيد
والإيمان؟ أم فتوحات
اغتصاب الحور الحسان؟

طمس المشاركة الشيعية في الفتوحات وإشكالية الشرعية

لقد تجلّى لنا ناصعًا من خلال من المباحث المنصرمة، أن الطليعة المتقدمة في صدور تلك الفتوحات إنما كانت من أبطال الشيعة الرافضة؛ هؤلاء الذين تميزوا بأصالة ولائهم لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب ((صلوات الله عليهم))، وبشدتهم البالغة على أعدائه، إذ هذا هو جوهر الهوية الشيعية الرافضية ومعناها الأصيل. غير أن آلة الإعلام التابعة للفرقة البكرية المبتدعة قد تعمدت تغييب هؤلاء الأعلام، وطمس مشاركتهم في تلك الحروب عمدًا؛ تحاشيًا لإثارة التساؤلات والشكوك في أذهان أبناء الطائفة البكرية.

وقد استعرضنا شواهد عدة على ذلك، كان من أواخرها سيرة هاشم المرقال (رضوان الله تعالى عليه)، وقبله المقداد (رضوان الله تعالى عليه)، إلى جانب ثلة أخرى أوردنا أسماءهم في مطاوي البحوث السالفة، كمالك الأشتر (رضوان الله تعالى عليه). وهؤلاء يمثلون نخبة جليلة من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام)، فضلاً عن التابعين الذين عُرفوا بالتشيع الخالص والولاء المطلق لأهل البيت (صلوات الله عليهم).

وإن هؤلاء الأعلام الذين سلطنا الضوء على مشاركتهم، قد بلغوا الغاية في التعلق بإمام زمانهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه، ونالوا أرفع المقامات في الفضل والتقوى والصلاح والانقياد التام لأمره؛ ومن هنا يمتنع على النفس أن تقرّ بأرجحية مشاركتهم المكثفة في تلك الحروب المسماة بالفتوحات دون الحصول على إذنٍ صريح أو إمضاءٍ قاطع من إمام زمانهم أمير المؤمنين (عليه السلام).

وإنما نصوص هذا؛ لأن ثمة بحثاً تحليلياً داخلياً على مستوى الفقه الشيعي، والكلام الشيعي، والتاريخ الإسلامي، يقرر بأن تلك الحروب والمستجدات المسماة بالفتوحات هي بالضرورة فتوحات تفتقر إلى الشرعية؛ وسر عدم شرعيتها يكمن في أنها

لم تنطلق عن أمر الإمام المعصوم نهائياً، إذ تتوقف الشرعية التامة للفتوحات على صدور الأمر أو الإذن الصريح منه، في حين أنها صدرت بإمرة حكام الجور والعدوان من أمثال عمر وعثمان ومن تلاهما، (لعنة الله عليهم). وإذا تقرر هذا الواقع، فكيف يسوغ لهؤلاء العظماء الاشتراك في أتون تلك الحروب؟ أيعقل أنهم خالفوا أمر إمامهم واقتروا المعصية؟ حاشا وكلا!

أم أيعقل أن مشاركتهم تلك وقعت عن غفلة منهم، كما زعمه بعض الوراقين والمصنّفين كصاحب كتاب «الصحيح من السيرة»^(١) وأمثاله ممن يُحسبون على أهل التحقيق -وما هم من التحقيق في شيء بحسب موازيننا، وإنما هم حاطبو ليل وجامعو معلومات أشبه بالوراقين- إذ طرحوا فرضية مفادها أن تلك المشاركات وقعت غفلة، وأنه ما كان ينبغي لهم الانخراط فيها؟

إننا لا نستسيغ هذا الطرح ولا نتعقله مطلقاً في خصوص هؤلاء الأكابر؛ إذ لو جاز فرض ذلك في حق صغار الشيعة وحديثي العهد بالتشيع لكان ممكناً، أما في حق قامات جليلة

(١) يعني الشيخ هاهنا جعفر مرتضى العاملي.

كسلمان والمقداد وأبي ذر وعمار ومالك، فلا يمكن تصوره بحال.

فليس من سائغ العقل أن ينخرط هؤلاء الأعلام في سلسلة طويلة من الغزوات والفتوحات الممتدة عبر سنين طوال، دون أن يكون كل فرد منهم على يقين تام بصحة تصرفه وسداده الشرعي، ولا يتأتى ذلك إلا بالرجوع المستمر إلى إمام زمانهم والاستئذان منه صلوات الله عليه.

قرينة الاستئذان: رواية عبد الله بن مسعود

ومما نعتبره قرينة علمية شاخصة ودالة على هذا المعنى، خبرٌ شريف أغفله كثير من الباحثين، أورده العلامة المجلسي عليه الرحمة والرضوان في كتابه (بحار الأنوار). وقد نقله عن كتاب (نهج الإيمان) لعلي بن يوسف، عن كتاب (التأويل) لأبي عبد الله محمد بن علي بن سراج، بإسناده إلى عبد الله بن مسعود.

وعبد الله بن مسعود -كما هو معلوم- أحد أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ونحن لا نراه مستوفياً لشروط الصلاح التام؛ ورغم أن له بعض المواقف الحسنة، إلا أنه في مجمل مسيرته لا يرتقي إلى المعايير التي تجعلنا نعهده في سلك

الصلحاء الفضلاء من طراز سلمان والمقداد وأبي ذر وعمار وأضرابهم.

ومع أننا نسمع كثيرًا من العلماء والخطباء من يترضى عنه ويترحم عليه، فإننا لا نلتزم بذلك، وفي المقابل لا نطلق القول بلعنه، بل نرجح التوقف فيه مع تسجيل مؤاخذات جمة على مسلكه.

وهذا الرجل بالذات هو الذي يحدث بهذا الأثر المفصل؛ قال عبد الله بن مسعود: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

«يا ابن مسعود، إنه قد نزلت في علي آية».

وهنا موضع العجب؛ إذ إن الأذهان عادة ما تنصرف عند سماع نزول آية في علي (عليه السلام) إلى آيات الفضل والإشادة، كآية الولاية وآية التطهير ونحوهما، غير أن الآية النازلة هنا تحمل مفاجأة؛ إذ قال جل وعلا: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: 26].

فلما استفسر ابن مسعود عن تأويلها، قال له النبي (صلى الله عليه وآله):

«يا ابن مسعود، وأنا مستودعها» أي أودع

عندك بيانها وتفسيرها، «ومسمً لك خاصة

الظلمة» أي سأحدد لك الظالمين بأسمائهم

الصريحة، «فكن لما أقول واعيًا، وعني مؤديًا».

وهنا حري بنا أن نتوقف عند قوله (صلى الله عليه وآله)

«وعني مؤديًا»؛ إذ يعكس هذا الأمر التكليف المباشر بإظهار تلك الأسماء وإشاعتها لا كتمانها.

ومن ثم يتوجه الاعتراض والمساءلة لابن مسعود: هل أدیت

هذه الأمانة وبلغت الأسماء أم تحسبت وكتمت؟

ثم مضى (صلوات الله عليه وآله) مبيّنًا الفتنة بقوله:

«من ظلم عليًا مجلسي هذا، كان كمن

جحد نبوتي ونبوة من كان قبلي».

وهذه قاعدة كشرط كلي؛ فمجلس رسول الله (صلى الله

عليه وآله) بعد رحيله هو الحق الخالص للخليفة الشرعي وولي

العهد علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكل من اغتصب هذا

المجلس وقعد فيه مظلومية للوصي، فهو جاحظ ومارق عن

النبوة الخاتمة وعن جميع النبوات السالفة.

ومؤدى هذا الحكم التكفير المباشر لأبي بكر بن أبي قحافة،

وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، ومعاوية بن أبي سفيان،

ولكل من تسنم هذا المقام ظلماً وعدواناً على أوصياء الحق (عليهم الصلاة والسلام).

وهنا انقطع ابن مسعود عن التحديث ولم يكمل تسمية الرجال؛ إلا أن الراوي عنه دهش واستعظم الأمر لما انطوى عليه الحديث من تكفير هؤلاء وتصنيفهم في زمرة الظلمة، فأراد التثبت وقال:

«يا أبا عبد الرحمن، أسمعت هذا من رسول

الله (صلى الله عليه وآله)؟ قال: نعم».

فقال له الراوي مستنكراً ومستوضحاً:

«فكيف وليت للظالمين؟».

وهذا هو أصل مؤاخذتنا على ابن مسعود؛ حيث صار ظهيراً وسنداً لأبي بكر وعمر وعثمان في شطر من ولايته، قبل أن تسوء العلاقة بينهما وينضم إلى صفوف المعارضة المجلبة على عثمان. فلاحظوا جواب ابن مسعود اللامع، الجدير بالتدقيق والتأمل؛ قال:

«لا جرم حلت بي عقوبة عملي؛ إني لم

أستاذن إمامي كما استأذنه جندب وعمار

وسلمان، وأنا أستغفر الله وأتوب إليه»^(١).

فيقر بأنه أخطأ وأصابته العقوبة الدنيوية قبل الأخروية؛ لأنه تولى المناصب وتقلد الولايات تحت سلطة الجور دون إذن إمامه، بخلاف جندب -وهو أبو ذر جندب بن جنادة الغفاري رضوان الله عليه- وعمار وسلمان؛ فهؤلاء الأبرار وإن ظهوروا في الصورة الظاهرية كأنهم يعملون تحت راية الجهاز الحاكم، كسلمان حين تولى إمرة المدائن لعمر، وتراعى للعامة كأنهم يقرون بشرعية السلطة، إلا أن واقع أمرهم ينطوي على استئذان صريح من إمامهم أمير المؤمنين (عليه السلام) بالدخول والتصدي لتلك المهام، بخلاف ابن مسعود الذي اندفع دون استئذان فاستحق العقاب والذنب، بينما خرج أولئك عن التبعة وكانوا في عين الطاعة لله عز وجل.

حرمة الدخول في حكومات الجور!

وإن هذه القاعدة الفقهية حري بها أن تكون مضطردة وسارية إلى يومنا هذا؛ ونحن نجدد التأكيد عليها، إذ نكاد نكون الصوت الوحيد الذي يشير هذه المسألة الفقهية الدقيقة: أنه لا يسوغ لأحد من شيعة أهل البيت (عليهم السلام) في أي عصر

(١) بحار الأنوار ج ٣٦ ص ١٢٣.

من الأعصار -وحتى عصرنا الراهن- الانخراط في أي حكومة من الحكومات القائمة على وجه الأرض، إلا بعد استحصال إذن صريح من الحاكم الشرعي، حتى وإن كانت تلك الوظيفة بسيطة، أو إجرائية، أو خدمية محضاً يبتغى بها نفع الناس.

وهذا الإذن الصادر من الحاكم الشرعي قد يكون إذنًا خاصًا، وقد يكون إذنًا عامًا عبر البيانات الصادرة من مكاتب المرجعيات الجامعة للشرائط لتغطية أصل العمل في دولة ما، كالعراق مثلاً بشروط محددة. وبدون هذا الإذن، فإن الأموال المقبوضة كرواتب شهرية من هذه الحكومات الجائرة تعتبر أموالاً محرمة وسحاً لا يسوغ التصرف فيه؛ لأن تلك الثروات هي في الحقيقة ملك لصاحب الزمان (عليه الصلاة والسلام)، وهذه الأنظمة إنما هي حكومات أمر واقع، متغلبة وغير شرعية، وينطبق هذا الحكم على كافة الحكومات بلا استثناء، بما فيها حكومة إيران على سبيل المثال.

وللأسف الشديد، فإن هذه السيرة الفقهية العريقة بدأت تتلاشى ويغفل عنها العامة من الشيعة، إلا فئة قليلة من المتدينين.

ونحن نذكر بذلك تطييباً وتطهيراً للمكاسب؛ ليكون الراتب المقبوض حلالاً سائغاً. فلو استأذنت الحاكم الشرعي فقد يأذن

لك، وفي أحيان أخرى قد يمنعك، كالعمل في الأجهزة الأمنية والمخابراتية في مختلف الدول؛ إذ كيف يجوز للمؤمن أن يكون عونًا للظالم على أذية الناس واضطهادهم؟ أو أن يعمل في وسائل الإعلام الحكومي ليمارس التطبيل والتزويق للحاكم ليلاً ونهارًا؟

ولقد انحدر هذا المسلك حتى بلغ من المهانة والإسفاف مبلغًا رأينا معه بعض النواب المحسوبين على الشيعة - كما في البحرين مثلاً - يتردّون في مهاوي الذل والاستكانة^(١).

فالإنسان المبدئي لا يزن الظلم بميزان الانتماء والخصومة، ولا يفرّق في إنكاره بين ظالم ينتسب إلى التشيع وآخر ينتسب إلى التسنن أو إلى غير ذلك؛ وإنما يرفض الظلم لأنه ظلم، ويدين

(١) قد وقفتُ على مقطع مصوّر لثلاثة من النواب الشيعة في البرلمان هناك، وهم يعترضون على جملة من القرارات التعسفية الجائرة التي اتخذها ملك البحرين، حمد بن عيسى آل خليفة، في سياق الأحداث المتصلة بالحرب على إيران، وما رافقها من إجراءات تمثلت في سحب الجنسيات والمواطنة، وتشريد بعض العوائل، وغير ذلك من صور العقوبة الجماعية. والعجيب أن اعتراض أولئك النواب لم يتجه إلى أصل القرار التعسفي، ولا إلى ما انطوى عليه من حيف وظلم بحق من شملتهم تلك الإجراءات، وإنما انحصر اعتراضهم في المطالبة بأن تمتد العقوبة إلى العوائل والذاري الذين لا صلة لهم بالأفعال المنسوبة إلى ذويهم، تمسكًا بقوله تعالى: (وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى). ومع أن هذا الاعتراض لم يتجاوز حدود الأدب والاستكانة تحت قبة البرلمان، فإن هؤلاء النواب تعرضوا للتهديد بتجريدتهم من المواطنة وإخراجهم من البلاد ما لم يقدموا اعتذارًا علنيًا. فما كان منهم إلا أن بادروا إلى إصدار بيان اعتذار، =

= بلغ فيه الأمر من التذلل مبلغًا يستقبحه كل ذي غيرة على الكرامة، إذ جاء فيه: «نعتذر إلى مولانا جلالة الملك المعظم حمد بن عيسى آل خليفة!» وما إن وقفتُ على هذا البيان حتى استحضرتُ قول أئمتنا الأطهار عليهم الصلاة والسلام: «من أقر بالذل طائعا فليس منا أهل البيت» فأني معنى يبقى لهذا الحديث الشريف إذا كان الإنسان يقر بالذل طائعا، ويتراجع عن موقفه لمجرد أن حاكما هدهد بسلب جنسيته أو إخراجا من وطنه؟! إن الإباء عن الضيم، والعزة في مواجهة الظلم، من المعاني التي أكدت عليها مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، ولا يستقيم الانتساب إلى هذه المدرسة مع الركون إلى الذل والاستكانة للظالم. وأقرر هذا الاستنكار، مع أن الإجراءات العقابية المشار إليها إنما وقعت - في أصلها - على أفراد محسوبين على أتباع النظام القائم في إيران، ممن طالما نالوا منا بالشتيم والتخوين عبر منابرهم، وخالفونا في مواقفنا ومعتقداتنا. ولكن الموقف المبدئي لا يتجزأ؛ فالواجب أن ندين الظلم والجور حيثما وقع، حتى لو نزل بأعدائنا ومبغضينا، ولا يجوز للإنسان أن يجعل خصومته مع المظلوم ذريعة لتبرير ظلم الظالم. ومعاذ الله أن يرى الله منا تصفيقا للظالم لمجرد أنه أوقع بطشه بمن يختلف معهم أو نعاديتهم والتحزبات، قد أصبحا من أعز ما يُطلب في هذه الأمة؛ إذ ليس يسيرا على المرء أن يلتزم بهذا النهج حين تكون كلفته التضحية بالمصالح، واستعداد مختلف الأطراف، وفتح جبهات المواجهة مع الجميع. فالموقف المبدئي الحقيقي هو الذي لا يتبدل بتبدل الأسماء والجهات؛ فتقف بالموقف نفسه من آل خليفة حين يظلمون، ومن أزام النظام القائم في إيران حين يظلمون، ومن دونالد ترامب وبنيامين نتنياهو وعبد الفتاح السيسي وآل سعود وآل الصباح وآل نهيان، وسائر الأنظمة والجهات التي تمارس الظلم والجور، من غير أن تحملك الخصومة مع طرف على تبرئة طرف آخر، أو تجعلك عداوتك لفئة تصفق لظالمها حين يقع عليها، وهذه هي ضريبة الموقف المبدئي: أن لا يكون الحق عندك تابعا للهوى، ولا العدل مرهونا بالانتماء، وأن تقول كلمة الحق حيثما كان، وعلى من كان، ولو اجتمعت عليك في سبيل ذلك الخصومات من كل جانب. ولهذا السبب يصعب على المحليين السياسيين استيعاب موقفنا، فيظهرون في القنوات الإعلامية عاجزين عن فهم مسارنا، فيرموننا بالتناقض، لأن مخيلتهم الضيقة لا تستوعب إلا أن تكون تبعا لهذا المحور أو ذاك، ولا تتصور وجود خط مستقل يرفض الجميع. ولن يفهم منهجنا إلا من قرأ أطروحاتنا؛ كمن يتهمنا بالتكفير=

الجور لأنه جور، أيًا كان مرتكبه وأيًا كان ضحيته. وهذه الاستقامة في الموقف، وذلك الإنصاف الذي لا يخضع للأهواء

دوافع الأبرار في المشاركة

وبالعودة إلى بحثنا.. فبناءً على هذا الأثر الشريف، يستبعد تمامًا أن يكون هؤلاء الأعظم الأبرار قد انخرطوا في معمرة تلك الغزوات والفتوحات دون إذن وموافقة صريحة من أمير المؤمنين (صلوات الله عليه).

وإنما كانت مشاركتهم تلکم تبث الشرعية الفقهية في أفعالهم الخاصة وقتًا وتحركًا؛ أما الدافع الأساسي الذي حثهم على الخوض فيها، فهو الشغف بإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وإصلاح ما يمكن إصلاحه، حتى لا يخلو الميدان بالكامل لأولئك الطامعين والجائرين والمنافقين الذين لم تكن غزواتهم إلا بغية السلب والنهب واقتناء الأموال والجواري.

= جهلاً وتخرفاً دون أن يرجع لسلاسلنا البحثية الشاملة كسلسلة "التكفير الحسيني" التأسيسية التي بلغت ثلاثة وعشرين جزءاً. ولكننا نجد بحمد الله من المنصفين -حتى من غير الشيعة- من يستمع إلينا بفهم وإنصاف؛ كالشيخ حسن فرحان المالكي فرج الله عنه، الذي أبلغنا عبر بعض مقربيه أنه اكتشف زيف التهم وشناعة الغفلة التي كانوا يعيشونها بعد متابعتهم لقناة فذك. ولا نزال نتعرض للمظلومية من القريب والبعيد، ورجاؤنا معقود بنشطاء الرفض الأبرار لتصحيح هذه المفاهيم وتبيان حقائق هذا المنهج الأصيل.

إن خطورة الموقف تكمن في أن تلك الجيوش كانت تفتح البلدان باسم الإسلام وتحت راية التوحيد، فما عساه أن ينطبع في أذهان الشعوب المفتوحة حين يرون الشراسة والرعوننة والفساد والسلوك الوحشي الصادر من أولئك الفاتحين؟ فكان وجود هؤلاء المؤمنين الصادقين في زمرة تلك الجيوش بمثابة الصمام الذي يلطف الخطب، ويدفع المفاسد، ويوضح الصورة المشرقة للدين.

جهد أبي ذر الغفاري: بين الثغور ومقارعة الجور الداخلي

ومن هذا المنطلق، نجد أن أبا ذر الغفاري (رضوان الله تعالى عليه) -وهو العظيم الذي قال فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا أبا ذر، إنك منا أهل البيت»^(١)- قد شارك في فتوحات الشام وقبرص لسنين طويلة. وقد أورد البلاذري في كتاب (فتوح البلدان)، اسمه ضمن الغزاة لقبرص في عهد عثمان، في جماعة فيهم أبو أيوب، وأبو الدرداء، والمقداد، وآخرون^(٢).

(١) أمالي الطوسي ص ٥٢٥.

(٢) راجع فتوح البلدان ص ١٥٥.

كما ينقل الواقدي في (فتوح الشام)، عن عمر بن ساعدة
يصف ثبات أبي ذر في الحروب قائلاً:

«فلقد رأيته مع كبر سنه يضرب بسيفه ضرباً

شديداً في الروم، وينتمي إلى قومه غفار، ويذكر

عند حمالاته اسمه ويقول: أنا أبو ذر،

والمسلمون يفعلون كفعله، إلى أن بلغت

القلوب الحناجر وظنوا أن في ذلك الموضع

قبورهم»^(١).

فقد كان أبو ذر مجاهداً بطلاً إلى جانب مالك الأشتر في كسر

شوكة الروم في اليرموك وغير من المعارك الضارية.

وهذا المجاهد العظيم الفاتح هو ذاته الذي تصدى لجور

الطاغية الثالث عثمان بن عفان؛ فكما لبي نداء الجهاد ضد

العدو الخارجي، لبي نداء الدفاع عن الحق داخلياً لما طغى

عثمان وتجاوز الحدود. فانضم أبو ذر إلى المعارضة حتى يروي

الواقدي أنه كان لا يدخل المسجد ولا يخرج منه إلا وهو يشتم

عثمان بن عفان!

(١) فتوح الشام ج ١ ص ٩٤.

ونحن نورد هذا ردًّا على مفتريات مخالفين يزعمون أن الشيعة ليس لهم بطولات في الفتوحات وإنما هم أهل فتنه؛ فالشيعة هم الذين قارعوا الانحراف الداخلي، وهم الذين أبلو في الجهاد الخارجي بلاءً حسنًا.

ولقد كتب البررة من الصحابة إلى أهل الأمصار في الكوفة والبصرة ومصر رسائل صريحة تدعوهم للقدوم إلى المدينة إن أرادوا الجهاد الحقيقي؛ لخلع هذا الظالم الذي عبث بمقدرات الأمة. ولم يكن هدفهم قتله بدءًا، بل إجباره على خلع نفسه؛ إلا أنه تمارس بالصلف والجبروت، ونفى أبا ذر، وضرب عمارًا حتى فتح بطنه، ونكل بابن مسعود.

وحين قدمت الوفود تشكو جور ولاته، كتب لهم بخلعهم، ثم أرسل سرًّا كتابًا بقتلهم، فلما افْتُضِح أمره وتعلل بالتزوير، أظهر ذلك عجز جهازه وأهليته للحكم؛ ثم استنصر بمعاوية وجعل على داره الرماة يقتلون الثوار، مما أدى في النهاية إلى اقتحام داره وقتله.

حادثة اغتصاب يزيد بن أبي سفيان

ولأبي ذر موقف شهير في فتوح قبرص والشام يفصح عن الغاية الإصلاحية للشيعة في تلك الفتوحات. غير أننا أسترعي

انتباهكم إلى أثر أورده الخصوم في مصادرهم لكنهم بتروا منه النص والأشخاص؛ تجدونه في (مصنف ابن أبي شيبة) بإسناده عن أبي ذر قال:

«سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله)

يقول: أول من يبدل سنتي رجل من بني

أمية»^(١).

فهذا الأثر جاء هنا مقطوعاً؛ فلا اسم فيه لهذا الأموي، ولا بيان للمناسبة التي قيل فيها الحديث.

غير أننا حين نقتفي الآثار في كتبهم الأخرى نجد النص بتمامه؛ كما في كتاب (سير أعلام النبلاء) للذهبي، في ترجمة يزيد بن أبي سفيان -الذي استعمله أبو بكر ثم عمر على الشام وهو الأخ الأكبر لمعاوية- حيث يروي بسنده عن أبي العالية قال:

«غزا يزيد بن أبي سفيان بالناس، ف وقعت

جارية نفيسة في سهم رجل، فاغتصبها يزيد.

فأثاه أبو ذر فقال: رد على الرجل جاريته. فتلکأ،

(١) مصنف ابن أبي شيبة برقم ٣٨٦٢٣.

فقال: لئن فعلت ذلك لقد سمعت رسول الله
(صلى الله عليه وآله) يقول: أول من يبدل
سنتي رجل من بني أمية يقال له يزيد. فقال:
نشدتك الله، أنا منهم؟ قال: لا. فرد على الرجل
جاريته»^(١).

فانظروا كيف حُذف اسم "يزيد" وقصة جريمة الاغتصاب
النكراء في مصنف ابن أبي شيبة؛ سترًا على واقع تلك الفتوحات
وطمئًا لحقيقة أولئك الحكام الذين يدعون أنهم حملة
توحيد، في حين كانت تصرفاتهم تغلب عليها الشهوات
واغتصاب الجواري!

ونحن وإن كنا لا نثق بالزيادات الأفيونية في الرواية العامة
-كاستثناء يزيد من الحديث- إلا أن أصل الواقعة حجة قاطعة
تدين هؤلاء الفاتحين المزعومين. وقد حاولوا إعلال الحديث
بالانقطاع بين أبي العالية وأبي ذر، غير أن ابن عساكر في (تاريخ
دمشق)، وابن حجر العسقلاني في (المطالب العالية) أثبتا
اتصال السند، وصرح ابن حجر بأنه حديث «حسن لذاته»^(٢).

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ج ١ ص ٣٢٩.

(٢) راجع في ماسبق؛ تاريخ دمشق ج ١٨ ص ١٥٩ والمطالب العلية برقم ٤٤٦٣.

مهزلة الفتوحات: سعيد بن عثمان بن عفان في سمرقند

وانظروا إلى نموذج آخر من "الفاتحين الكبار" عندهم، وهو سعيد بن عثمان بن عفان.

يروى ابن عساكر في (تاريخ دمشق)، أن معاوية استعمله على خراسان، فغزا سمرقند، ويصرحون بأنه

«فتح الله على يديه فتحًا عظيمًا وأصبحت

عينه بها»^(١)!

ولتبيان هزلية هذا "الفتح العظيم"، نراجع (فتوح البلدان) للبلاذري؛ يقول:

«ثم غزا سعيد بن عثمان سمرقند، فأعانتها خاتون بأهل بخارا . فنزل على باب سمرقند وحلف أن لا يبرح أو يفتحها ويرمى قهندزها . فقاتل أهلها ثلاثة أيام، وكان أشد قتالهم في اليوم الثالث . ففقت عينه وعين المهلب بن أبي صفرة . ويقال إن عين المهلب فقت بالطالقان . ثم لزم العدو المدينة، وقد فشت

(١) تاريخ دمشق ج ٢١ ص ٢٢٢.

فيهم الجراح . وأتاه رجل فدله على قصر فيه
أبناء ملوكهم وعظمائهم . فسار إليهم
وحصرهم . فلما خاف أهل المدينة أن يفتح
القصر عنوة ويقتل من فيه طلبوا الصلح .
فصالحهم على سبع مئة ألف درهم، وعلى أن
يعطوه رهنا من أبناء عظمائهم، وعلى أن يدخل
المدينة، ومن شاء يخرج من الباب الآخر :
فأعطوه خمسة عشر من أبناء ملوكهم، ويقال
أربعين، ويقال ثمانين . ورمى القهндز فثبت
الحجر في كوته . ثم انصرف^(١)!

أفهذا يُعد فتحًا إسلاميًا طليعيًا؟ بل هي مهزلة تاريخية
مكشوفة؛ لم يغير فيها حكمًا، ولا نشر فيها دينًا، وإنما
استحصل على الأموال والسبايا، وعاد فورًا إلى المدينة ليعلن
اعتزاله وتقاعده!

وفي هذا يقول ابن الأَعم في (الفتوح):

(١) راجع؛ فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٩٧.

«ونقل سعيد بن عثمان من بلاد خراسان
وقد ملأ يديه من الأموال، حتى إذا صار إلى
المدينة كتب إلى معاوية يستعفيه من ولاية
خراسان، فعلم معاوية أنه استظهر بالأموال
فأعفاه»^(١).

الغنائم والشهوات: الهدف الحقيقي خلف ستار الفتوحات

إن هذه الدوافع المادية كانت هي المحرك الأساس لمعظم
قادة تلك الفتوحات. حتى طارق بن زياد -الذي يحاول البعض
تشييعه تعسفًا دون دؤوب علمي- تجدون حقيقة اندفاعه في
خطبته الشهيرة المذكورة في (جمهرة خطب العرب)؛ إذ يقول
لحث جنده:

«وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من
الحور الحسان من بنات اليونان، الرافلات بالدر
والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقبان...

(١) الفتوح لابن أعمش ج ٤ ص ٣١٢.

ليكون حظه منكم ثواب الله في إعلاء

كلمته»^(١)!

فناه يقدم الشغف بالحرور الحسان والسبايا على إعلاء كلمة الله! فكانت النتيجة انتهاك الأعراض والمظالم التي أورثت شعوب الأندلس والبربر وغيرهم كراهية للفتح الإسلامي؛ بسبب الجرائم التي ارتكبها أولئك القادة المستبدون باسم الدين.

الأصل في انتشار الإسلام: الدعوة بالتي هي أحسن!

إن الأصل في انتشار الإسلام ليس السيف، بل الحكمة والموعظة الحسنة والدعوة الهادئة؛ وإنما يُسلّ السيف لرفع الطغيان والأنظمة المستبدة التي تحول بين الشعوب وسماع نداء الحق، مصداقاً لقوله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) [البقرة: 257].

والدليل الأسطع على ذلك أن أكبر الأقطار الإسلامية كثافة سكانية اليوم -كإندونيسيا وماليزيا وبروناي- لم تدخلها

(١) جمهرة خطب العرب ج ٢ ص ٣١٥.

جيوش أو سيوف قط؛ بل انساح إليها الإسلام وتغلغل في أرجائها بفضل تجار المسلمين وأخلاقهم.

بينما أساءت الفتوحات الأموية والعباسية لسمعة هذا الدين؛ بسبب جعل الحروب وسيلة لاقتناص الغنائم والسبايا، حتى وضعوا أحاديث مكذوبة على لسان النبي (صلى الله عليه وآله) تشرع وحشيتهم، كقولهم المزيف:

«اغزوا تبوك تغنموا بنات بني الأصفر»^(١)!

فنستعيز بالله من هذه الافتراءات، ونسأله تعالى أن يعيننا على تنزيه مقام النبوة من هذه الدسائس الأموية. نتوقف عند هذا الحد.

(١) المعجم الكبير ج ١١ ص ٦٣ والبخاري في مسنده برقم ٤٨٩٩.

عمر يستعين بالمتنبئين
الكهنة في الحروب ثم
يسمونها "فتوحات
إسلامية"!

بدايات طليحة بن خويلد وادعاؤه النبوة

قد ظهرت في أواخر حياة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وبعد رحيله، جماعة من المتنبيين الكذبة الذين ادعى كل واحد منهم النبوة، وحاول أن يستقطب حوله من يصدقه ويتبعه، مستغلاً ما كان يحيط بالمجتمع الإسلامي من ظروف واضطرابات.

ولم يكن خطر هؤلاء مقصوراً على مجرد الدعوى والقول، بل إن بعضهم استطاع أن يجمع حوله جماعات وقوى ذات شأن، وأن يتحول من مجرد مدّعي للنبوة إلى قوة تهدد كيان المسلمين وعاصمتهم.

وفي بعض فترات تنبؤ هؤلاء الكذابين، كانوا قد سادوا، ولو ضمن نطاق محدود، لكنهم شكلوا قوى خطيرة؛ إذ كانت بعض هذه القوى تستهدف عاصمة الإسلام، المدينة المنورة، على ساكنها وآله آلاف التحية والصلاة والسلام. ومن أحد هؤلاء المتنبئين الكذبة رجل يقال له: طليحة، وهو تصغير لـ«طلح»، واسمه طليحة بن خويلد.

في أول أمره، وفد هذا الرجل مع قومه على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وبايعه بيعة الإسلام؛ وكان النبي الأعظم يعلم بأن هذا الرجل منافق وستسوء عاقبته، ولكنه -بطبيعة الحال- مأمور من الله، تبارك وتعالى، بأن لا يُقدِّم على عقوبة قبل وقوع الفعل، فترك المقادير والمشئمة الإلهية لتمرضي.

فجاء هذا الرجل إلى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله)، مع قومه مبايعًا ومظهرًا للإسلام، ثم عاد أدراجه. وفي أواخر حياة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، بدأ هذا الرجل يتنبأ ويدعي أنه نبي كما أن محمدًا (صلى الله عليه وآله)، نبي؛ فقد أعجبه أن يقلد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ويستنسخ ما كان عليه.

وكان يُمَنِّي قومه وأتباعه بالملك العظيم، وبأنهم هم الذين سيسودون، مقدّمًا لهم ذلك في صورة آيات مزعومة، ركيكة وسخيفة، ادعى استنزالها وبثها في قومه. ونحن عندما نقرأ مثل هذه الآيات المزعومات، نتعجب ونقول: كيف لأناس عقلاء، وهم من العرب الفصحاء والبلغاء -وقد استمعوا للقرآن الذي نزل في عهدهم وأبهرهم بفصاحته وبلاغته وعمق معانيه لأنه لا يشبه كلام البشر- أن ينجروا إلى من يحاول تقليد ومحاكاة القرآن بمثل هذا السخف وهذه الركاكة؟

إن هذا الأمر يثير العجب؛ فنحن في زماننا هذا، وبعد ألف وأربعمائة سنة، ومع كون عموم المسلمين والعرب بعيدين عن اللغة الأصيلة إجمالاً، فإننا عندما نستمع للقرآن الحكيم ونتلمس علوه البلاغي، ثم نستمع لمثل هذا الهراء، نلاحظ الفرق الشاسع ونقول: هذا لا يشبه ذاك، ولا يدانيه أصلاً، ولا توجد مقارنة بين الأسلوبين.

فكيف بأناس كانوا في ذلك العهد، واللغة العربية هي لغتهم التي عُجنوا بها وطُبعوا عليها، كيف لهم أن يحتملوا -ولا أقول يظنوا- أن مثل هذا الكلام الركيك من الله تعالى، خاصة بعدما سمعوا القرآن؟ هذا التساؤل جوابه سهل، وهو موجود

عند أئمتنا الأطهار، (صلوات الله عليهم). ومفاده ما روي عنهم، (عليهم السلام)، في قولهم:

«ما من عبد يدعو إلى ضلالة إلا وجد من

يتابعه»^(١).

فحتى لو كانت هذه الضلالة في منتهى السخف، لا بد أن يوجد لها أتباع؛ لأن الشيطان يتدخل هنا، فهذا دوره وحرفته؛ يأتي فيزين هذه السخافة، ويجعل أناسًا يبهرون بها فيتبعون صاحبها.

وهذا القانون هو الذي يفسر كيف نجد في زماننا هذا أتباعًا لأناس في منتهى السخف والتفاهة^(٢).

نماذج من آيات طليحة المزعومة وإسقاطه للسجود

وقد جرى هذا القانون مع أولئك المتنبئين الأوائل، وأحدهم طليحة بن خويلد الأسدي، لعنه الله. إذ ادعى النبوة بعد محمد (صلى الله عليه وآله)، قائلاً: اتبعوني، فكما تنزل

(١) الكافي ج ٨ ص ٢٣٠.

(٢) ولعل من أبرزهم ذلك الذي ادعى أنه ابن الإمام، ثم ترقى وقال: أنا الإمام، متسميًا باسم منحول وهو "أحمد الحسن". وهو رجل أمي جاهل إلى أقصى درجة، لا علم له ولا فهم، ومع ذلك تكوّنت له أتباع. والأغرب من ذلك، أن يأتيك شخص ممن انجز إليه، وهو شاب مصري تافه كان في أمريكا، ودخل في هذه الدعوة على أساس =

الآيات على محمد تنزل عليّ، والله بشرني بالملك العظيم في المشارق والمغارب.

ولننظر في آياته المزعومة التي تقطر ركاكة، كما أوردها (تاريخ الطبري)، إذ قال:

«وَالْحَمَامُ وَالْيِمَامُ، وَالصُّرَدُ الصَّوَامُ، قَدْ
ضُمِّنَ قَبْلَكُمْ بِأَعْوَامٍ، لَيَبْلُغَنَّ مُلْكُنَا الْعِرَاقَ
وَالشَّامَ»^(١).

واليمام هو الحمام البري، والصرد طائر ذو منقار حاد، وزعم أن هذه الطيور قد صامت قبل البشر، وكل ذلك ليصل إلى غايته: "ليبلغن ملكنا العراق والشام".

فالناس اتبعته طمعًا، والشيطان زين لهم هذه السخافة. ورغم فصاحة الناس آنذاك، إلا أنك إذا استنكرت عليهم أخطاءه النحوية التي تفضحه كأمي جاهل بقواعد الصرف

= التشيع، ثم ادعى أنه خليفته، زاعمًا أن "أحمد الحسن" قد مات وأنه هو الإمام الحاضر، فوقع الانقسام في صفوفهم. وهو شخص سخيّف لأبعد الحدود، وفي النهاية اقتحمت الشرطة في بريطانيا مقره، واعتقلته مع عدد من أصحابه بتهمة الاستعباد الجنسي؛ إذ استغل الناس بخبث، وأباح الشذوذ، وأسقط الصلاة والحجاب، وابتدع دينًا آخر. فأين عقول هؤلاء الناس ليتبعوا شخصًا بهذه التفاهة؟ إن السر يكمن في سريان ذلك القانون: «ما من عبد يدعو إلى ضلالة إلا وجد من يتابعه».

والنحو، تذرعوا بأنها قراءات جديدة، وأنه لا عبرة بقواعد النحاة، بل المعول على الإمام، متوهمين وجود نكات بلاغية في هذا الكلام المختل.

لقد مناهم بالملك، والعرب بطبيعتها في ذلك الزمان كانت تنجر وراء من يعدها بالسيادة والتوسع.

وكان يتسجع في أقواله، فمما ذكره البلاذري في (أنساب الأشراف)، قوله:

«إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح

أدباركم شيئاً».

وقد قال ذلك ليسقط عنهم السجود في الصلاة؛ فقد كانت هناك أقوام تغد على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، تقبل الإسلام بصلاته وزكاته وصومه، لكنها تطلب الإغفاء من السجود قائلة: إنا قوم نرى من العار أن تعلقنا أستاذنا.

كانوا يعدون انخفاض الرأس وارتفاع المؤخرة عيباً وعاراً لا يقبله الرجال. ولم يقبل النبي (صلى الله عليه وآله)، ذلك منهم، فالصلاة تقتضي التذلل والخضوع لله بتعفير الجبين، ولا عبرة بهذه العقد النفسية.

لكن قوم طليحة من بني أسد وحلفائهم من غطفان، وجدوا
دعوته فرصة للتخلص من هذه الهيئة التي كانوا يستعرون
منها، فأسقط عنهم السجود قائلاً:

«إن الله لا يصنع بتعفير وجوهكم وقبح
أدباركم شيئاً، فاذكروه أعفة قياماً، فإن الرغبة
فوق الصريح».

جاعلاً الصلاة قياماً فقط. ومن ركيك آياته أيضاً:

«الملك الجبار، نصفه ثلج ونصفه نار»
وتليها: «والسائرات خبباً، والراكبين عصباً، على
قلائن صهب وحمر، لأجمعن شمالاً ولا أبددن
شمالاً»^(١).

هذه هي آياته السخيفة التي زينها إبليس لأقوام اتبعوه.

التحالفات القبلية وتصدي السلطة للمتنبئين

لقد حاول هؤلاء الإغارة على المدينة المنورة بعد شهادة
رسول الله (صلى الله عليه وآله)، لكن الله دفع كيدهم. وممن
أعان طليحة على دعوته، سيد غطفان عيينة بن حصن الفزاري.

(١) أنساب الأشراف ج ١١ ص ١٥٨.

وينقل الطبري في (تاريخه)، أن عيينة قام في غطفان بعد شهادة النبي وقال بمنطق جاهلي:

«ما أعرف حدود غطفان منذ انقطع ما بيننا

وبين بني أسد، وإني لمجدد الحلف الذي كان

بيننا في القديم، ومتابع طليحة؛ والله لأن نتبع

نبيًا من الحليفين أحب إلينا من أن نتبع نبيًا من

قريش! وقد مات محمد وبقي طليحة»^(١).

فطابقوه على رأيه، وأمد طليحة بالمال والرجال.

ولما انقلب أبو بكر بن أبي قحافة على الحكم واستولى عليه،

وسمع بتنامي قوة طليحة، بعث جيشًا بقيادة خالد بن الوليد

للقضاء عليهم.

ورغم خبرة خالد العسكرية، إلا أنه ارتكب خطأً يورده ابن

حبان في (الثقات)، إذ بعث خالد طليعة لاستطلاع الأخبار

مكونة من عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم الأنصاري.

قال:

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٥٦.

«فخرج طليحة وأخوه سلمة بن خويلد أيضا طليعة لمن وراءهما، فالتقيا عكاشة بن محصن وثابت بن أقرم، فانفرد طليحة بعكاشة، وسلمة بن خويلد بثابت. فأما سلمة فلم يلبث ثابتاً أن قتله، ثم صرخ طليحة وقال: يا سلمة أعني على الرجل، فإنه قاتلي. فاكتنفا عكاشة حتى قتلاه، وكرا راجعين إلى من وراءهما. فلما وصل خالد والمسلمون إلى ثابت بن أقرم وعكاشة بن محصن وهما قتيلان، عظم ذلك على المسلمين وراءهم. ثم مضى خالد حتى نزل على طيء في خللهم سلمى، فضرب معسكره، وانضم إليه من كان من المسلمين في تلك القبائل، ثم تهيأ للقتال وسار إلى طليحة وهو على مائه، والتقى معه طليحة في سبعمئة رجل من بني فزارة، فاقتلوا قتالا

شديدا، وطليحة متلف في كساء له بفناء بيت
له من شعر، يتنبأ ويسجع.

فهز عيينة بن حصن الحرب وشد القتال، ثم
كر على طليحة فقال: هل جاءك جبريل بعد؟
قال: لا. فرجع عيينة وقاتل حتى إذا هزته
الحرب كر عليه ثانيا وقال: لا أبا لك، هل جاءك
جبريل بعد؟ قال: نعم. قال: فماذا قال لك؟
قال: قال لي: إن لك رحي كرحاه، وحديثا لا
تنساه. قال عيينة: أظن الله أنه قد علم أنه
سيكون لك حديث لا تنساه. يا بني فزارة، هكذا
فانصرفوا، فهذا والله كذاب. فانصرف
وانصرفت معه فزارة، وانهزم الناس.

وكان طليحة قد أعد فرسا له عنده، وهياً
بعيرا لامراته النوار، ثم اجتمعت إليه فزارة وهم
مبارزون، فقالوا: ما تأمرنا؟ فلما سمع منهم
ذلك استوى على فرسه وحمل امرأته على

البعير، ثم نجا بها، وقال لهم: من استطاع
منكم أن يفعل كما فعلت وينجو بأهله
فليفعل. ثم سلك الحوشية حتى لحق
بالشام»^(١).

العودة للإسلام والموقف في عهد السلطة القرشية

لما طال مقام طليحة في الشام، وعلم أن أنصاره عادوا
للإسلام وُعفي عنهم، استوحش الغربة وحدث نفسه بالتوبة.
ويذكر الطبري، أنه نزل على قبيلة "كلب" وأسلم، وظل
مقيمًا حتى مات أبو بكر. ثم خرج معتمرًا في أواخر عهد أبي
بكر ومر بجنابات المدينة، ف قيل لأبي بكر: هذا طليحة، فقال:
«ما أصنع به؟ خلوا عنه فقد هداه الله
للإسلام».

ولما استُخلف عمر بن الخطاب، جاءه طليحة مبايعًا، فقال
له عمر:

«أنت قاتل عكاشة وثابت! والله لا أحبك
أبدًا».

(١) الفتاوى ج ٢ ص ١٦٨.

فاحتال طليحة مجيبًا:

«يا أمير المؤمنين، ما تهم من رجلين

أكرمهما الله بيدي، ولم يُهَيَّ بأيديهما».

يعني أن الله رزقهما الشهادة ولم يشأ له النار بقتلهما له، فأعجبت هذه الحيلة عمر وبايعه. وهنا قال له عمر عبارته الشهيرة:

«يا خُدَع، ما بقي من كهانتك؟». وخُدَع

تعني جمع خُدعة، أو صيغة مبالغة للمكار

الدجال. فأجاب طليحة: «نفخة أو نفختان

بالكير»^(١).

وهذا الجواب يحتمل إقراره ببقاء شيء من كهانته، ويحتمل أنه ردُّ الإهانة لعمر بتعريضه بمهنته القديمة، كما ورد في (أنساب الأشراف) أن شاعرًا يقال له أيمن (وكان من القيون أي الحدادين) سأله: ما بقي من كهانتك؟ فأجابه طليحة بذات العبارة معيرًا إياه بمهنته.

وعلى كل حال، لم ينفِ الرجل بقاء كهانته، ومع ذلك لم يعاقبه عمر أو يحبسه كما كان يجلد أصحاب رسول الله كأبي

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٢٦١.

هريرة لمجرد التحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله)! بل تركه حرًا طليقًا.

ويؤكد الواقدي في كتابه (الردة)، إعجاب عمر بمقالة طليحة عن ثابت وعكاشة^(١)، وتقريبه له، في حين كان حرًا بطليحة لو عرف خبايا الأحداث أن يرد على عمر حين سأله عن النجاة من النار قائلاً: وأنت كيف ترجو النجاة من النار وقد قتلت بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وجنينها؟.

تناقضات تاريخية حول مصير طليحة

يُجمع الموقف الرسمي للديانة البكرية على اعتبار طليحة صاحبًا جليلاً يُترضى عنه، متذرعين بكونه وفد على النبي، ثم ارتد، ثم تاب، وقاتل الفرس واستشهد في نهاوند. ومشكلتهم أنهم يجعلون تقريب عمر للرجال هو المدار، وليس رسول الله (صلى الله عليه وآله).

لكن الحقيقة التي أخفوها هي أن طليحة امتد به العمر حتى صار عثمانياً، وخرج طالباً بثأر عثمان، ليرفع لواء التمرد ضد أمير المؤمنين علي، (عليه السلام).

ففي (البداية والنهاية) لابن كثير:

(١) راجع الردة للواقدي ص ١٠١.

«وأما عمارة بن شهاب المبعوث أميرًا على الكوفة فصدّه عنها طليحة بن خويلد غضبًا لعثمان»^(١).

ويؤكد ذلك الطبري إذ قال:

« وأما عمارة، فأقبل حتى إذا كان بزباله لقيه طليحة بن خويلد، وقد كان حين بلغه خبر عثمان خرج يدعو إلى الطلب بدمه، ويقول: «لهفي على أمر لم أسبقه ولم أدركه! يا ليتني فيها جدُّع ... أَكْرُ فيها وَأَصْعُ. فخرج حين رجع القعقاع من إغاثة عثمان فيمن أجابه، حتى دخل الكوفة، فطلع عليه عمارة قادمًا على الكوفة، فقال له: «ارجع، فإن القوم لا يريدون بأمرهم بدلًا، وإن أبيت ضربت عنقك». فرجع عمارة وهو يقول: «احذر الخطر ما يماسك، الشر خير من شرِّ منه»^(٢).

(١) البداية والنهاية ج ١٠ ص ٤٢٩.

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٤٤٢.

مناقشة استدراك سبط بن الجوزي ودعوى الإجماع

أمام هذا الخبر الذي يثبت أن طليحة بن خويلد قد صار "عثمانيًا" وعاش إلى زمان عثمان، انبرى بعض المؤرخين لرد الرواية واستدراكها، ومنهم سبط بن الجوزي في كتابه "مرآة الزمان".

فقد نقل هذه الرواية عن الطبري ثم عَقَّب عليها قائلاً:

«قلت: وقول الطبري لقيه طليحة بن

خويلد، وهم».

مدعيًا استحالة التقاء طليحة بعمارة بن شهاب في ذلك الزمان، بحجة أن طليحة قد استشهد في معركة نهاوند سنة إحدى وعشرين في أيام عمر بن الخطاب، زاعمًا وجود إجماع على ذلك من غير خلاف. (وهم بالمناسبة يعدونه شهيدًا).

ثم يمضي سبط بن الجوزي مشيرًا إلى صنيع جده (ابن الجوزي) صاحب كتاب "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم"، قائلاً:

«ولما حكى جدي رحمه الله في المنتظم

قصة عمارة المبعوث من أمير المؤمنين عليه

السلام، قال جدي: ولما وصل إلى زباله

زُدَّ»^(١).

مشيرًا إلى أن جده استخدم صيغة المبني للمجهول (زُدَّ) ولم يذكر سوى هذه اللفظة، متجنبًا حكاية ما ذكره الطبري عن طليحة بن خويلد. وكأنه يريد القول إن جده قد تفتن إلى هذا "الوهم" المزعوم في رواية الطبري فعدل عنه. غير أن هذا الصنيع، في حقيقته، يمثل نوعًا من التزوير والتصرف في النقل؛ إذ ليس من حق المؤرخ أن يعتمد إلى رواية الطبري فيغير ألفاظها ليخفي اسم الفاعل بحجة رأيه الخاص، والحال أن الروايات بأجمعها تنص على أن الذي رد عمارة وهدده بضرب عنقه هو طليحة نفسه لا غير.

تعدد طرق الرواية ودحض شبهة التفرد وتشابه الأسماء

وقد يعترض معترض ليدعم موقف سبط بن الجوزي بالقول: إن راوي حادثة الملاقاة بين الرجلين هو سيف بن عمر التميمي، وهو راوٍ قد نُصَّ على أنه كذاب ووضاع، بل رماه بعضهم بالزندقة، وهو الرأس والوحيد في اختلاق الروايات الأسطورية التي ضخمت من شخصية عبد الله بن سبأ. وعليه،

(١) مرآة الزمان ج ٦ ص ١٣٠.

ما دامت الرواية من طريقه فهي مردودة، وهذا ما يدعم صحة موقف سبط بن الجوزي. والجواب على ذلك: إن خبر الملاقاة بين الرجلين بعد مقتل عثمان لم يقتصر وروده على طريق سيف بن عمر، بل ورد من طرق أخرى، مما يبرئ ساحة سيف بن عمر هنا من اختلاق هذه الحادثة.

ومن تلك الطرق ما أورده ابن حبان في "الثقات" من طريق أبي حاتم، في خبر طويل جاء فيه:

«وأما عمارة بن حسان بن شهاب فإنه أقبل عامداً إلى الكوفة، حتى إذا كان بزبالة لقيه طليحة بن خويلد الأسدي وهو خارج إلى المدينة يطلب دم عثمان. فقال طليحة: من أنت؟ قال: أنا عمارة بن حسان بن شهاب.

قال: ما جاء بك؟ قال: بعثت إلى الكوفة أميراً. قال: ومن بعثك؟ قال: أمير المؤمنين علي (عليه السلام). قال: الحق بطيئك (أي

بأرضك)، فإن القوم لا يريدون بأمرهم أبي
موسى الأشعري بدلاً»^(١).

وأبو موسى هذا هو المنافق الكبير المعروف الذي كان أميرًا
في أواخر عهد عثمان، وينتهي الخبر برجوع عمارة إلى علي
(عليه السلام) وإخباره بالخبر، في حين أقام طليحة بزبالة.
إذن، دعوى رد الخبر لتفرد سيف بن عمر دعوى باطلة.

أما احتمال وجود تشابه في الأسماء، وأن طليحة المذكور
هو شخص آخر غير الذي ادعى النبوة وقتل في نهاوند، فهو
احتمال ساقط تمامًا؛ إذ لا تعرف كتب التراجم والأنساب سوى
طليحة بن خويلد واحد لا سواه. ولم يبقَ إذن إلا دعوى سبط
بن الجوزي بوجود الإجماع على مقتله في نهاوند، وهي مقالة
مردودة؛ إذ إن ابن كثير في "البداية والنهاية" - وهو المنتقي
الذي يعقب على الروايات بما يراه أخرى بالقبول - لم يتعقب
هذه الرواية بشيء، مما يعني قبوله لها.

كما أن الإجماع المزعوم منقوض بما أورده البلاذري في
"أنساب الأشراف" في حديثه عن طليحة، حيث قال:

(١) الثقات ج ٢ ص ٢٧٤.

«ووجهه عمر رضي الله عنه فيما وجهه إلى
العراق فأبلى في فتوح العراق، وأشخصه إلى
نهاوند فكفى ناحية ووُكل بها... وشخص إلى
أذربيجان فمات هناك، ويقال بل قدم فمات
في قومه، والله أعلم»^(١).

فهذه ثلاثة أقوال متباينة في مصيره، فأين هو الإجماع
الذي ادعاه سبط بن الجوزي؟ والحقيقة أن الرجل قد عاش
وأدرك زمان عثمان وما تلاه، وخرج غضبًا له يطلب بدمه حتى
صد مبعوث أمير المؤمنين (عليه السلام).
ولا أقل في المقام من القول بوجود شك كبير في حقيقة
استشهاده المزعوم في نهاوند، وإن كانت مشاركته فيها ثابتة لا
تنكر بتطابق المؤرخين.

طليحة في نهاوند: استعانة السلطة بالكهنة المتنبيين

إن مشاركة طليحة في نهاوند، وقبلها في العراق، وربما في
أذربيجان لاحقًا، كانت بأمر مباشر من عمر بن الخطاب.
والمفارقة هنا أن عمر قرّبه وأدناه وأوصى بمشاورته والأخذ

(١) أنساب الأشراف ج ١١ ص ١٥٨.

برأيه، رغم اعتراف طليحة نفسه بأن فيه بقية من كهانة وتنبؤ، معبرًا عن ذلك بقوله: «بقي من كهانتي نفخة أو نفختان بالكير».

ينقل الذهبي في "تاريخ الإسلام" أن عمر كتب إلى سعد بن أبي وقاص:

«أن شاور طليحة في أمر الحرب، ولا تؤله

شيئًا».

مقتصرًا على جعله مستشارًا عسكريًا دون أن يعقد له الإمارة. كما ينقل الذهبي عن ابن سعد (صاحب الطبقات) أن طليحة :
«كان يُعَدُّ بألف فارس لشجاعته

وشدته»^(١).

وهنا نصل إلى الفضيحة الكبرى في نهاوند، والتي تكشف حقيقة أولئك الذين شَمَّوا بأبطال الفتوحات واعتزَّ بهم.

إننا إذا استثنينا الصفوة المخلصة من أصحاب رسول الله وأمير المؤمنين ((صلوات الله عليهم)) وآلهما الذين قاتلوا حقًا للإسلام ودفاعًا عن بيضته، فإن بقية هؤلاء إنما قاتلوا طمعًا في الدنيا والغنائم والسبايا والذراري، وكان منهم هذا

(١) تاريخ الإسلام ج ٢ ص ١٢٦.

المتنبئ الكذاب الدجال الذي لم يترك ما كان عليه حتى بعد مزاعم عودته للإسلام.

يورد الطبري في تاريخه رواية عن محمد بن قيس الأسدي، تفضح زيف إسلام طليحة وتكشف عن الخلل العقائدي فيمن حوله.

فقد جاء رجل يقال له جعفر بن راشد إلى طليحة، وهم مقيمون على حصار نهاوند وقد طالت أيامه وأصابتهم المجاعة والجهد (والْحُلَّة تعني الفقر والمجاعة)، فقال له:

«لقد أخذتنا حُلَّة، فهل بقي من أعاجيبك

شيء تنفعنا به؟».

ويا للعجب من مسلم يسأل دجالاً - كان يفترى على الله الكذب ويدعي الوحي - أن ينفعه بأعاجيب كهانته الباطلة!

فما كان من طليحة إلا أن أخذ كساءً فتقنع به مدة يسيرة (وهي ذات الحركات التي كان يفعلها أيام ادعائه النبوة)، ثم كشف الكساء وزعم أنه يوحى إليه قائلاً:

«البيان البيان، غنم الدّهقان، في بستان،

مكان أرونان»!

زاعماً أن هناك غنماً لتاجر في بستان ذي تضاريس وشدة.
فذهبوا إلى البستان ووجدوا الغنم السمينة فأكلوها، وانبهروا
بصدق نبوءته^(١)!

وحقيقة الأمر، كما يكشفها الطبري نفسه في موضع آخر، أن
النعمان بن مقرن كان قد بعث طليحة مع اثنين آخرين
للاستطلاع، فرجع صاحباؤه وبقي هو ونفذ، حتى ظن الناس أنه
ارتد ثانية ولحق بالفرس. لكنه توغل في المنطقة واستطلع
أخبارها جيداً. ولما رجع كبر الناس فرحاً بسلامته وعودته دون
أن يرتد، فقال لهم كلمته التي تفضح دوافعه القومية بمعزل
عن الدين:

« والله لو لم يكن دين إلا العربية ما كنت

لأجزر العجم الطماطم»^(٢).

أي لولا رابطة العروبة التي تجمعني بكم لما تركتكم لقمة
سائغة للعجم، فهو لا يقاتل لدين، بل لعصبية قومية.

لقد علم طليحة في جولته تلك بأمر غنم الدهقان، فلما
أصابته المخمصة وجاءوه يطلبون أعاجيبه، استغل الفرصة

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٣٥.

(٢) تاريخ الطبري ج ٤ ص ١٢٨.

ليمارس دجله وسجعه ليوهمهم أنه لا يزال يتلقى أخبارًا من الماورائيات ويتكهن.

إنها فضيحة مزدوجة؛ لا تقتصر على طليحة الذي لم يؤمن بالله طرفة عين واستحل خداع الناس بالكهانة، بل تشمل أولئك الجند الذين زعموا القتال تحت راية التوحيد، ثم لجأوا إلى مشعوذ كاهن يطلبون نفعه وبركته.

والأدهى من ذلك أن هذا الفعل شاع في الجيش وبلغ أمراءهم كالنعمان بن مقرن وسعد بن أبي وقاص، فلم يتخذوا ضده أي إجراء، ولم يطبقوا عليه عقوبة الكاهن في الإسلام وهي الإعدام! بل بقي مستشارًا مقربًا يُستعان به بأمر عمر بن الخطاب. فأى فتوحات "إسلامية" هذه التي تُستمد فيها العون من الكذبة والكهنة لنشر كلمة الله العليا؟!

المعايير الشرعية لتقييم الفتوحات وحركات المقاومة

إن هذا السرد يدعونا كمسلمين إلى إعادة النظر في هذه الفتوحات وقادتها، وعرضها على طاولة النقد العلمي، لنميز بين الفاتحين الحقيقيين الصادقين في إيمانهم، وبين الأراذل والطامعين الذين قاتلوا للغنائم وتلبستهم الجاهلية. فالفتح الإسلامي الحق لا بد أن تكمن وراءه نية صادقة.

ومصدق ذلك ما روي في البخاري:

«ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة

ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه»^(١).

وإذا كان هذا التفاوت في النوايا موجودًا بين المهاجرين،
فما بالك بجيوش الفاتحين التي ضمت أمثال طليحة
المتعطشين للحرب والغنائم؟

إن عمر الذي يُتغنى بشدته في ذات الله، لم يرتب أثرًا على
كهانة طليحة، وظل الرجل معزًّا مقربًا منه ومن عثمان بعده.
حتى إذا قُتل عثمان، كان طليحة من أوائل الخارجين على
أمير المؤمنين (عليه السلام) يطلب بدمه، في حين كان
عثمان يطرد الصفوة المخلصة كأبي ذر الغفاري (رضوان الله
تعالى عليه). لذا، يجب أن نقرأ الشخصيات والوقائع بعين
ناقدة، بعيدًا عن التلقين الأعمى الذي يمارسه مشايخ الضلالة
في الفرقة البكرية الآيلة للسقوط. فليس كل من انتصر في
معركة وفتح بلادًا صار من رموز الإسلام وأماجده.

وهذا المقياس الشرعي الصارم ينسحب بالضرورة على
واقعنا المعاصر. فليس كل من واجه الكيان الصهيوني أو

(١) صحيح البخاري برقم ٥٤.

الاستعمار بات رمزاً مقدساً تُغفر له انحرافاتة العقدية، كما يفعل البعض اليوم بميلهم للنظام الإيراني وتأييدهم له ولمن يدور في فلكه في دول شمال أفريقيا ومصر وغيرها، متجاوزين مقاييس العقيدة الصافية. نحن، وبوصفنا شيعة، نعارض هذا النهج الاجتزائي.

نعم، نحن نؤيد المقاومة كفعل وإجراء مشروع، ولكننا لا نقبل الفاعل مطلقاً إلا بعد تقييمه بنظرة شمولية. فلنا في نقدنا التاريخي لصالح الدين الأيوبي أسوة؛ فرغم ما يُنسب إليه من فتح القدس (الذي انتهى بتسليمه عوام فلسطين للصليبيين)، إلا أننا لا نغفل عن كونه مجرمًا سفاكًا لدماء المسلمين، وخائنًا للعهود، ورجلاً وصوليًا. وكذلك الموقف من حسن نصر الله، الذي شبهه البعض بصالح الدين؛ فحتى لو سلمنا بدوره في تحرير جنوب لبنان، فماذا نفعل بجوانب شخصيته الأخرى؟

لقد تورط الرجل في دماء المؤمنين واضطهد الشيعة خدمة لنظام خامنئي، والأخطر من ذلك كله انحراف عقيدته ودفاعه المستमित عن أعداء الله وقتلة رسول الله (صلى الله عليه وآله) والخارجين على أمير المؤمنين (عليه السلام)، وفي مقدمتهم عائشة.

فبماذا يجيب ربه غداً عن وضعه همته في الدفاع عن هذه المرأة الملعونة؟

وهذا هو حال صاحب كتاب «مفاتيح الجنان»، المرحوم الشيخ عباس القمي، إذ كان في احتضاره يتلوّى ندماً وحسرة، لا من ألم الموت، وإنما لما عدّه ذنباً صدر منه في موقف من مواقف التقية أثناء الحج! ففي مقدمة منتهى الآمال:

«جاء إلى عيادته المرحوم الحاج أحمد الروحاني من علماء طهران، في المرض الذي توفي فيه، فرآه في غاية الحزن والألم فسأله عن سببه. فقال الشيخ القمي: ذهبت إلى مكة للحج، فأردت أخذ الإجازة من أحد علماء العامة بطريق المحدثين فلما عرفني قال لي: إنكم تسبّون أم المؤمنين عائشة فأنكرت ذلك، وأنا إلى الآن أفكر في ذلك اليوم وأفكر في وقوفي أمام الله تعالى»^(١).

(١) مقدمة منتهى الآمال في تواريخ النبي والآل ص ٣٤.

والأمر ذاته ينطبق على رموز كإسماعيل هنية وأحمد ياسين وغيرهم ممن تقام لهم مجالس التأبين. لقد شارك قادة حماس هؤلاء في مجالس تأبين لرموز الإجرام كعدي وقصي صدام حسين، مستغزين بذلك مشاعر الشيعة في العراق الذين ذاقوا منهم الويلات.

فالعبرة بالخواتيم وبصحة العقيدة، والمبدأ الثابت هو:

«من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة

جاهلية»^(١).

فهل عرف إسماعيل هنية الحجة بن الحسن (عليهما السلام) أم مات على البكرية والجاهلية؟ إننا لسنا إمعة تقودنا العواطف أو الإعلام المسيّس لنرفع صور هؤلاء في مسيرة المشاية المقدسة لزيارة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام).

نحن نقبل المجاهد ونضعه على العين والرأس إذا كان من طراز أبي ذر وعمار ومالك الأشتر؛ طراز مستقيم العقيدة، لم يوال أعداء الله، ولم يستعمل المحرمات لجذب الأتباع.

لقد أحيينا، بفضل الله ورسوله (صلى الله عليه وآله)، عقيدة البراءة بعد أن كادت تندرُس في هذه الأمة الشيعية التي

(١) كمال الدين ص ٤٠٩ ونحوه الكافي ج ١ ص ٣٧٧.

انحدرت ومالت للعواطف على حساب المقاييس الشرعية التي تلقيناها عن أئمتنا (عليهم السلام). إن أئمتنا المعصومين لم يترحموا قط على أولئك الفاتحين المزعومين من غير الرافضة الصادقين، ونحن على نهجهم سائرون؛ لا نحابي ولا نجامل في دين الله، ونترك السياسة لأهلها.

لماذا كانت «الفتوحات
الإسلامية» مرفوضة عند
الإمام الباقر (عليه السلام)؟!

الإجماع على جلالة الإمام الباقر (عليه السلام) وإمامته

إن هذا الإمام، وهو الإمام الخامس من أئمة العترة الطاهرة الاثني عشر (صلوات الله عليهم) محمد بن علي الباقر، قد أجمعت الأمة على جلالته وإمامته، فكان محل إجماع هذه الأمة بخاصتها وعامتها.

وننقل في هذا المقام شهادة بذلك من أحد كبار أئمة المخالفين، ألا وهو النووي في كتابه (تهذيب الأسماء واللغات)، حيث ترجم لإمامنا الباقر (عليه السلام)، قائلاً:

«محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي

طالب رضي الله عنهم، القرشي الهاشمي

المدني أبو جعفر المعروف بالباقر، سمي بذلك

لأنه بقر العلم، أي شقه فعرف أصله، وعلم
خفيه».

حتى خفايا العلوم كان إمامنا الباقر (عليه السلام) عالمًا
بها. وأمه هي أم عبد الله بنت الحسن بن علي بن أبي طالب،
سيدتنا فاطمة بنت الحسن السبط، سيد شباب أهل الجنة
(صلوات الله عليه). فإمامنا الباقر حسيني من جهة الأب،
وحسني من جهة الأم.

ثم يضيف النووي واصفًا إياه:

«إمام بارع مجمع على جلالته»^(١).

وأما ابن تيمية -شيخ الناصبة- فلم يملك نفسه هو الآخر
من أن يعترف بجلالة الإمام الباقر وإمامته، كما اعترف بجلالة
أبيه وابنه (صلوات الله عليهم).

فقد قال في (مجموع الفتاوى):

«ومنهم أئمة في العلم والدين -يقصد من

أهل البيت (عليهم السلام)- يجب لهم ما

يجب لنظرائهم من أئمة العلم والدين كعلي بن

(١) تهذيب الأسماء واللغات ج ١ ص ٨٧.

الحسين، وأبي جعفر الباقر، وجعفر بن محمد الصادق»^(١).

إذن، فهذا الإمام محل إجماع الأمة الإسلامية بشتى طوائفها ومذاهبها.

رسالة الإمام الباقر (عليه السلام) إلى خلفاء بني أمية

ولقد كانت لهذا الإمام العظيم (صلوات الله عليه) رسالة كتبها في زمانه لبعض حكام بني أمية، وهي رسالة لم تحظ -مع شديد الأسف- بما تستحقه من الدراسة والتأمل.

وستوقف في هذا المبحث بالتعليق على فقرات من هذه الرسالة، مما يتصل ببحثنا المتعلق بما يسمى بالفتوحات الإسلامية.

هذه الرسالة أوردها ثقة الإسلام أبو جعفر الكليني (رضوان الله تعالى عليه) في (الكافي)، عن الحسن بن محبوب -وهو من أصحاب الإجماع ورواياته ذات شأن واعتبار عند الأصحاب- عن بعض أصحابه، قال: كتب أبو جعفر (عليه السلام) في رسالة إلى بعض خلفاء بني أمية. والرسالة طويلة، والذي نُقل

(١) مجموع الفتاوى ج ١٩ ص ٦٩.

منها في هذا الخبر جزء منها لا كلها، وسنتوقف عند فقرات من هذا الجزء. ومما جاء في رسالته (عليه السلام):

«ومن ذلك ما ضيع الجهاد الذي فضله الله عز وجل على الأعمال، وفضل عامله على العمال تفضيلاً في الدرجات والمغفرة والرحمة، لأنه ظهر به الدين، وبه يدفع عن الدين».

هذه الفقرة التي وردت في أول الخبر المنقول من الرسالة، تستدعي التوقف عندها من خلال ثلاث تعليقات.
التعليقة الأولى:

نلاحظ في هذا الفعل الذي قام به الإمام الباقر (عليه السلام) ما يكشف عن تسامي أئمة العترة الطاهرة (عليهم الصلاة والسلام)، حيث إنهم يكتبون المواعظ لأعدائهم وطغاة أزمנתهم يعظونهم، فيتسامون عن الجراح وعما جرى بينهم كأئمة للعترة الطاهرة من بني هاشم، وبين أعدائهم التقليديين والتاريخيين من بني أمية. ومع ذلك، يقوم الإمام (عليه السلام) بدوره بوصفه إماماً للكل، ويكتب لطاغية زمانه من خلفاء بني أمية يعظه؛ فإن أخذ بالموعظة فهو أمر حسن، إذ

قد ترق قلوب بعض الطغاة ويستجيبون لشيء من الحق، وإن لم يستجب، ففي ذلك تأكيد للحجة عليه وإتمام لها. هذا ما قام به إمامنا الباقر (عليه السلام)، وهو ينبئ عن سمو أخلاقي، وهكذا كان ديدن أئمة العترة الطاهرة الاثني عشر (صلوات الله عليهم).

التعليقة الثانية:

يلاحظ في أول الخبر قوله: «ومن ذلك ما ضيع الجهاد». نحن لم نعلم المكتوب قبل هذه الفقرة، لكن يفهم من هذا السياق أن الإمام (عليه السلام) كان في مقام النكير على أفعال بني أمية، إذ عدّ تضييع الجهاد مفردة من المفردات، وكأنه (عليه السلام) يقول للحاكم الأموي: من منكراكم يا بني أمية تضييع الجهاد.

فالإمام (عليه السلام) كان مجاهرًا بتثريب بني أمية ومتحديًا لهم؛ حيث يكتب هذه الرسالة التي وإن كانت رسالة موعظة، إلا أنه يسمي فيها الأشياء بمسمياتها، ويواجههم بارتكاب المخالفات وتضييع الدين، ومن ذلك تضييع الجهاد. وهذا ينقلنا إلى التعليقة الثالثة والمهمة.

مفهوم تضييع الجهاد وافتقاده للشرائط

التعليقة الثالثة:

إن إمامنا (عليه السلام) يصرح بأن الجهاد قد ضُيِّع، معللاً تفضيل الله للجهاد على سائر الأعمال، وتفضيل عامله على غيره في الدرجات والمغفرة والرحمة، بأنه يظهر به الدين وبه يدفع عنه ويُحمى.

كل هذا يطرحه الإمام (عليه السلام) من منطلق أنه قد رصد تضييعاً للجهاد. وهنا ينبغي الانتباه جيداً: كيف يتحدث الإمام الباقر (عليه السلام) عن تضييع الجهاد، مع أنه في زمانه كان هناك ما يصطلحون عليه بـ"الجهاد" و"الفتوحات"؟ و بعبارة أخرى، لقد عاصر إمامنا الباقر (عليه السلام) في فترة إمامته خمسة من حكام بني أمية: الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك الذي سمه.

ولا محالة أن الإمام (عليه السلام) إنما كتب رسالته لواحد منهم. وبالرجوع إلى كتب التاريخ، نجد أن تلك العصور كانت حافلة باستمرار هذه الفتوحات وما يسمونه جهاداً، حتى بلغ المسلمون مشارق الأرض ومغاربها، ووصلوا إلى الأندلس، بل

توغلوا في فرنسا. كانت تلك الحقبة زمان توسعات وفتوحات هائلة، وكانت كلمة "الجهاد" دائرة على الألسن.

فكيف يتكلم الإمام (عليه السلام) في خضم تلك الانتصارات عن تضييع الجهاد؟ إذن، ليس المراد تضييع الأعمال العسكرية التوسعية وضم الأراضي، فإن ذلك كان جارياً ومستمرًا، بل المراد أنه ضُيِّع الجهاد الشرعي، ولم تكن فتوحات شرعية. لماذا؟ لافتقاد الشرائط والحدود وإخلاص النوايا.

معنى ذلك أن كل هذه الفتوحات والانتصارات العسكرية لم تكن عند الإمام الباقر -المجمع على إمامته- مشروعة، بل كانت مرفوضة وكأنها لم تكن.

وهذا هو الموقف الذي عليه شيعة أهل البيت (عليهم السلام) قديمًا وحديثًا وإلى يوم الناس هذا. ولذا يندر أن تجد في الثقافة الشيعية العامة من يحفل بهذه الفتوحات المزعومة أو يعدها من المفاخر، حتى وإن شارك فيها بعض رموز الشيعة.

فالتفاخر ببلوغ أطراف أوروبا أو الصين أو إفريقيا هو عادة الثقافة البكرية، وليست الثقافة الشيعية.

لماذا لا يفخر الشيعة بذلك؟ لأنهم شيعة الباقر والصادق وأئمة أهل البيت (عليهم السلام)، وهذا هو موقف أئمتهم (صلوات الله عليهم).

يقول (عليه السلام) في فقرة أخرى من كتابه:

«وبه اشترى الله من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بالجنة بيعًا مفلحًا منجًا، اشترط عليهم فيه حفظ الحدود».

فهذا يعطينا إشارة إلى أن تضييع الجهاد الذي عناه الباقر (عليه السلام) هو تضييع الحدود. ثم بيّن (عليه السلام) هذه الحدود بعبارة من أهم العبارات، فقال:

«وأول ذلك الدعاء إلى طاعة الله عز وجل من طاعة العباد، وإلى عبادة الله من عبادة العباد، وإلى ولاية الله من ولاية العباد»^(١).

أي أن غرض الجهاد الشرعي يفترض أن يكون إخراج الأمم من طاعة العباد إلى طاعة رب العباد جل وعلا. أما إذا كان

(١) الكافي الشريف ج ٥ ص ٤٣ .

الغرض مجرد توسعة السلطان وبسط الهيمنة، فأنت هنا لم تخرجهم من طاعة العباد إلى طاعة رب العباد، بل أخرجتهم من طاعة عبد إلى طاعة عبد مثله، غاية ما هنالك أن هذا العبد سمى نفسه أمير المؤمنين وخليفة، وهذا كل ما في اللعبة.

تخيلوا هذا الكلام يكتبه الباقر (عليه السلام) لطاغية زمانه الأموي، منكرًا عليه أن فتوحاته لا تخرج الناس من طاعة العباد إلى طاعة الله، بل تخرجهم من طاعة عبد إلى طاعته هو، وهو عبد مثله!

فما الفائدة أن تدعي الجهاد وتدخل مصر فاتحًا، ثم لا تخرج أهلها من طاعة الملك الكافر إلى طاعة الله، بل تخرجهم من طاعته إلى طاعة عبد مثله كهشام بن عبد الملك؟ فإنك إن أخرجتهم إلى طاعة الله لما صودرت حقوقهم ولما ارتكبت المنكرات في بناتهم. فما تغير شيء سوى الالافته، من كفر إلى إسلام ظاهري، والواقع انتقال من عبودية ومذلة إلى عبودية ومذلة مثلها.

وبالفعل، كان جل اهتمام أئمة الجور من الحكام -وإلى زماننا هذا- هو طاعة الشعوب لهم واستعبادهم إياهم، فإنه :

«من أصغى إلى ناطق فقد عبده»^(١).

الجرائم المرتكبة في الفتوحات: حادثة تونس أنموذجاً !

بسبب غياب شرائط الجهاد، ارتكبت في تلك الفتوحات فضائع وجرائم لا تعد ولا تحصى، ولم تقتصر على غير المسلمين فحسب، بل شملت المسلمين أنفسهم، إذ لم يسلموا من هذه الفتوحات الإسلامية المزعومة.

ونقف هنا عند حادثة بشعة سطرها المؤرخون من أبناء الطائفة البكرية نفسها، لتعطينا نموذجاً لفضاعة تجاوزهم للحدود في هذه التي سموها فتوحات في سبيل الإسلام. يروي الطبري في تاريخه أحداثاً تخص أهل إفريقية (تونس) بعد الفتح المزعوم الذي تم في زمان الطاغية الثالث عثمان بن عفان (عليه لعنة الله).

يقول الطبري متحدثاً عن أهل تونس:

«فما زالوا من أسمع أهل البلدان

وأطوعهم...».

(١) الكافي ج ٦ ص ٤٣٤.

لقد كانت لديهم طاعة عمياء لهؤلاء الولاة إلى زمان هشام بن عبد الملك، الذي أدركه الإمام الباقر (عليه السلام). طوال تلك المدة، كانوا لا يتمردون ولا يتحدثون السلطان، يقولون دائماً: سمعنا وأطعنا.

فما الذي طرأ في زمان هشام حتى تغير الحال؟ يقول الطبري:

«فما زالوا من أسمع أهل البلدان وأطوعهم إلى زمان هشام بن عبد الملك، أحسن أمة سمعاً وطاعةً، حتى دب إليهم أهل العراق، ففتنواهم، شقوا عصاهم وفرقوا بينهم إلى اليوم».

لقد قصد الشيعة من أهل العراق تونس، وحرّضوهم على التمرد. فالتونسيون آنذاك كانوا على المذهب البكري، الذي من طبيعته تعبيد المتمذهب به بالطاعة العمياء للحاكم والوالي^(١).

(١) (ونستطرد هنا لنقول: إن هذا النهج مستمر إلى اليوم؛ فها نحن نرى المنكرات العظيمة التي تجري في بلاد محمد (صلى الله عليه وآله)، في بلاد الحرمين الشريفين، منكرات قد لا تقع بفضاعتها وانحلالها حتى في بعض العواصم الأوروبية =

بالعودة إلى رواية الطبري، يتساءل المرء: كيف استثار الشيعةُ الرافضةُ أهلَ تونس وحولهم عما كانوا عليه؟
يقول الطبري:

«وكان من سبب تفريقهم أنهم ردوا على
أهل الأهواء (ويقصد بأهل الأهواء نحن
الشيعة)، فقالوا: إنا لا نخالف الأئمة بما تجني
العمال ولا نحمل ذلك عليهم».

لقد جاء شيعة العراق إلى أهل تونس البكرية وسألوهم:
لماذا لا تثورون على عمالكم وأمرائكم المنصوبين عليكم رغم
مظالمهم وجرائمهم؟. فأجابوا بأنهم لا يستحلون مخالفة
"الأئمة" (أي الخلفاء كهشام بن عبد الملك) بسبب جنايات

= وإن وقعت فلا تكون برعاية رسمية وتسليط للأضواء كما يحدث الآن. فأين هو
الصوت البكري الذي يعارض ذلك ويثور لأجله؟ لا يوجد! بل على العكس، نجد مشايخ
السوء والضلالة يرقعون للحاكم ويلمعون ويبررون بكل تبجح وصفاقة، مدعين أن
هذا الانفتاح مطلوب من باب "تأليف القلوب" كما نفوه بعضهم. ولو كان مثل هذا
يجري في بلاد الشيعة لما مُرِّر بهذه الطريقة قط، فالشيعة حتى لو لم يكن متديناً
فإنه يرفض تدنيس المقدسات، ولذلك غلبت الطبيعة المحافظة على المدن
المقدسة في بلاد الشيعة، وباءت كل محاولات إشاعة الفحشاء فيها بالفشل، حتى
في حقبة المد الشيوعي إبان حكم عبد الكريم قاسم).

العمال، ولا يحملون وزر العمال على الحاكم الأعلى. وهو منطق الشعوب غير الواعية، حتى في دولنا الأعرابية المعاصرة، حين يتعرضون لظلم من محافظ أو رئيس حكومة محلية أو وكيل وزارة أو وزير، تراهم ينزهون الحاكم الأعلى -وكانه رب أعلى- لا اعتقادهم بصلاحه وعدم علمه، غافلين عن أنه إن كنت تدري فتلك مصيبة، وإن كنت لا تدري فالمصيبة أعظم.

فأجابهم أهل العراق: «إنما يعمل هؤلاء

بأمر أولئك».

أين عقولكم؟ فهؤلاء العمال لا يجرمون إلا بأمر الأئمة والخلفاء كهشام بن عبد الملك وأضرابه، فكيف لا تثورون لأجل هذا؟. فقرر أهل تونس أن يختبروا الأمر بأنفسهم، فقالوا:

«لا نقبل ذلك حتى نبلوهم».

وهنا خرج رجل يدعى (ميسرة) من أهل تونس في بضعة عشر إنساناً، وتوجهوا إلى العاصمة دمشق لمقابلة من يسمونه الخليفة هشام بن عبد الملك.

فلما صعب عليهم الإذن بالدخول، أتوا الأبرش (وهو سعيد بن الوليد الكلبي، وكان من كبار رجالات الدولة الأموية وبمثابة

المستشار أو رئيس الوزراء)، وقالوا له: أبلغ أمير المؤمنين هشامًا أن أميرنا يفعل بنا كذا وكذا.

ثم سردوا مآسيهم التي تكشف حقيقة هذه الفتوحات:
١. أولًا: الاستئثار بالغنائم. قالوا:

«إذا أصاب نفلهم دوننا، وقال هم أحق به...
فقلنا هو أخلص لجهادنا، إن كان لنا فهم منه
في حل، وإن لم يكن لنا لم نرده».

فالولاة يستأثرون بالفيء والأنفال لخاصتهم من القرشيين
والأمويين ومواليهم، ويحرمون أهل البلاد الأصليين الفاتحين
الحقيقيين، ومع ذلك تحمل أهل تونس هذا الظلم وعدوه
إخلاصًا في الجهاد، مع أن حكم الإسلام لا يجيز الاستئثار
بالغنيمة دون العامة.

٢. ثانيًا: جعلهم دروعًا بشرية. قالوا:

«وإذا حاصرنا مدينة... قال تقدموا وآخر
جنده... فقلنا تقدموا فإنه ازدياد في الجهاد
ومثلكم كفى إخوانه، فوقيناهم بأنفسنا
وكفيناهم».

فكانوا يوضعون في الصفوف الأولى ليتلقوا الجراح والقتل،
بينما يتأخر الأمويون في الصفوف الخلفية، ومع ذلك صبروا.
٣. ثالثًا: العبث بأموالهم وممتلكاتهم. قالوا:

«ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا... فجعلوا
يبقرونها على السخال يطلبون الفراء البيض
لأمير المؤمنين، فيقتلون ألف شاة في جلد...
فقلنا ما أيسر هذا لأمير المؤمنين، فاحتملنا
ذلك».

فكانوا يبقرون بطون آلاف الشياه الحوامل لاستخراج الفراء
البيض للأجنة وتقديمها لهشام، فصبروا أيضًا على هذا الإفقار
والتجويع.

٤. رابعًا: انتهاك الأعراض. وهي الطامة الكبرى، قالوا:

«ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من
بناتنا، فقلنا لم نجد هذا في كتاب ولا سنة
ونحن مسلمون!».

فكانوا يفتشون عن البنات الجميلات ليختطفوهن كأنهن سبايا، رغم كونهم مسلمين شاركوا في الفتح وفي الجهاد المزعوم، فكيف تُنتهك أعراضهم بهذا الشكل؟
قالوا للأبرش:

«فأحببنا أن نعلم أعن رأي أمير المؤمنين
ذلك أم لا؟».

فوعدهم الأبرش بإبلاغه. وطال انتظار الوفد أيامًا دون أن يُلتفت إليهم أو يكثر بثظلامتهم، وهشام بن عبد الملك لا في حفلات العربدة والسكر ومع الندماء، حتى نفدت نفقات الوفد، فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في رقاع ورفعوها للوزراء، وعادوا أدراجهم إلى إفريقيا.

هذا هو تاريخ بني أمية، تاريخ انتهاك حرائر المسلمات من التونسيات باسم الإسلام والفتوحات!

وهذا ما كشفته أعظم مصادر التاريخ البكري كالطبري، ليفضح شعاراتهم الجوفاء والسخيفة التي يتشدقون بها، والتي احتجوا بمثلها حين ثاروا على نظام بشار في الشام بدعوى اغتصابه للحرائر، متناسين أن هذه هي سنة بني أمية وتاريخهم الأسود.

ولما عاد الوفد التونسي وتيقنوا من صدق مقالة العراقيين الشيعة، خرجوا على عامل هشام فقتلوه، واستولوا على إفريقية، وقامت الثورة. ولما بلغ الخبر هشامًا وسأل عن النفر الثائرين، رُفعت إليه أسماؤهم فإذا هم نفس الوفد الذي جاءه فتجاهله، حتى طفح الكيل بهم^(١).

دور الشيعة التاريخي في تحرير الشعوب

إن في هذه الحادثة عبرة جليلة تكشف كيف كان تاريخ أسلافنا من الشيعة. لقد أسدى العراقيون الشيعة في ذلك الزمان خدمة عظيمة لشعب تونس؛ إذ أخرجوهم من الطاعة العمياء للحاكم الجائر التي كادت تؤدي بأعراضهم تباعًا بلا نكير، ووعوهم بأنه لا طاعة لحاكم جائر.

أخرجوهم من العبودية والمذلة إلى رحاب الحرية والعزة، ولولاهم لاستمرت المنكرات والانتهاكات باسم الإسلام، ولذهب بأعراض الكثير من المسلمين.

وبينما يعتبر الطبري ومن لف لفه هذا التحريض والتوعية "فتنة"، لأن المهم في الديانة البكرية هو السمع والطاعة المطلقة للحاكم وإن انتهك العرض، فإن الشيعي العراقي

(١) تاريخ الطبري ج ٤ ص ٢٥٤.

بطبعه ثائر ومتمرد على كل حاكم جائر، لا يقبل بالظلم ولا يسكت عن المنكر. وهنا نوجه عتبًا شديدًا للحالة التي أمسى عليها بعض أفراد الشيعة اليوم؛ فبينما كان الشيعي قديمًا صاحب رسالة وهدف أينما حل، كما حدث في بلدة (السوس) وطنجة في المغرب، حيث تأسست دولة شيعية إثنا عشرية -ليست زيدية كدولة الأدارسة- وهي الدولة البجلية، على يد شيعي عراقي بذر بذرة الولاية هناك واستشهد هو وأولاده لأجلها، نجد اليوم الشيعي يسافر إلى الإمارات، أو البحرين، أو الكويت، أو السعودية، أو ليبيا، أو مصر، أو غيرها، فلا يحمل همًا سوى تحصيل الأموال، مجردًا من أي دور توعوي أو نهضوي.

بل إن الروح الانهزامية والعقل الجمعي بلغ ببعضهم حد توبيخ من يتحرك للإصلاح، متذرعين بمقولة باطلة لا تمت للأحاديث الشريفة بصلة، وهي: «دع الخلق للخالق»، كما قال لي أحد كبار السن العراقيين ذات يوم وأنا أتبضع.

إن من أوجب المهام اليوم هو تحرير الإنسان وإنهاضه، وعودة الشيعة إلى أصولهم وعصرهم الذهبي ليكونوا مشاعل نور وهداية للأمم، وليمارسوا الثورة المستمرة بكل أبعادها: الروحية، والدينية، والتوعوية، والفكرية، والثقافية، والتأهيلية.

وهذا هو الفرق الجوهرى الحقيقى بين الشيعة وبين البكرية أتباع أبى بكر وعمر وعثمان وبني أمية؛ إنه الفرق بين الأحرار والعبيد. فالذين تربوا فى مدرسة أئمة أهل البيت، ومدرسة الإمام الباقر (عليه السلام)، أحرار لا يسكتون على ظلم، ولا فحشاء، ولا منكر، ولا تحريف للدين، ولا اغتصاب لحقوق أهل البيت (عليهم السلام).

لو كان هذا الفكر الانهزامى الاستسلامى مسيطراً على الشيعة قديماً، لما حققوا تلك المآثر، ولما أنقذوا شعب تونس من اغتصاب أعراضهم، وهذا فضل يُسجل للعراقيين وللشيعة يوم كان فيهم رجال. أما الانهزاميون الذين يخافون من رفع راية البراءة من أعداء أهل البيت، ويخشون الدعوة لتحرير مكة والمدينة بحجة تجنب الخسائر وانقطاع طريق الحج، فهؤلاء يعيشون عقلية استسلامية تتلاعب بها الضوابط البكرية.

سنة الاستئثار بالفيء ومخالفتها لسنة المصطفى ﷺ

نعود إلى رسالة الإمام الباقر (عليه السلام) حيث يقول:

«وكان الفيء للمسلمين عامة غير خاصة...»

وإن كان قتال وسبيل يسير فى ذلك بسيرته (أي

بسيرة المصطفى (صلى الله عليه وآله) وعُجل

في ذلك بسنته من الدين».

وقد مر معنا كيف اشتكى أهل تونس من حرمانهم من الفياء. فهل عمل هؤلاء بسيرة النبي (صلى الله عليه وآله) في القتال وبسنته؟

إن أول من سُنَّ لبني أمية هذه السنة السيئة -سنة الاستئثار بالفياء- هو رأس الشجرة الملعونة في القرآن، عثمان بن عفان. ويشهد لذلك ما أورده ابن قتيبة في (المعارف)، متحدّثاً عما نُقم على عثمان، حيث قال:

«فأخذ الخمس لما فتحت إفريقية فوهبه

كله لمروان بن الحكم».

وفي ذلك أنشد الجمحي -وهو أحد من نفاهم عثمان لإنكارهم واستنكارهم لهذا الفساد-:

«أحلف بالله رب الأنام ... ما ترك الله أمراً سدى

ولكن خلقت لنا فتنة ... لكي نبتي بك أو تبتي

فإن الأمينين قد بينا ... منار الطريق عليه الهدى

فما أخذوا درهماً غيلة ... وما جعلوا درهماً في الهوى

دعوت اللعين فأدنيته ... خلافاً لسنة من قد مضى

وأعطيت مروان خمس العباد ... فهيئات شأوك ممن سعى»^(١)

لقد ثار المسلمون، من عراقيين ومصريين وغيرهم، على عثمان وقتلوه لتفشي ظلمه وفساد بطانته، حيث كان يعطي ثروات المسلمين لأقربائه. فدعوا البكرين عامة، وأهل تونس خاصة، لقراءة تاريخهم ومعاناة آبائهم وأمهاتهم على يد من يسمونهم فاتحين ومجاهدين، ليروا ما فعلوه بأنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

ويختم الإمام الباقر (عليه السلام) رسالته الاستنكارية بقوله:

«فمن أعوج ممن عوج هذا؟ ومن أقوم

ممن أقام هذا؟ فرد الجهاد على العباد وزاد

الجهاد على العباد، إن ذلك خطأ عظيم»^(٢)..

وهذا يثبت بوضوح الموقف الصريح للإمام الباقر (عليه السلام) برفض هذه الفتوحات وهذا الجهاد المزعوم، لكونها

(١) المعارف: ص ١٩٥.

(٢) الكافي الشريف ج ٥ ص ٤٣.

تجري على خلاف سنة المصطفى (صلى الله عليه وآله) وتشهد
تعدّيًا للحدود والشرائط.

موقف سائر الأئمة (عليهم السلام) من فتوحات الجور

ولم يكن موقف الإمام الباقر (عليه السلام) بدعًا، بل هو
موقف سائر أئمة العترة الطاهرة (عليهم الصلاة والسلام).

ففي كتاب (الخصال) للشيخ الصدوق (عليه الرحمة)،
وردت رواية طويلة عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق
(عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام)، عن أمير المؤمنين
(صلوات الله عليه)، أنه قال:

«لا يخرج المسلم في الجهاد مع من لا
يؤمن على الحكم، ولا ينفذ في الفياء أمر الله
عز وجل، فإن مات في ذلك كان معيّنًا لعدونا
في حبس حقوقنا والإشاعة بدمائنا، وميتته
ميتة جاهلية»^(١).

لذلك لم يكن الأئمة (عليهم السلام) يرحبون بهذا الذي
يسمونه جهادًا، لأن الدافع وراءه شهوة السلطان والدنيا، لا

(١) الخصال ص ٣٨١.

تحكيم الإسلام حقًا، وإلا لما انتقوا البنات الجميلات وفعلوا بالمسلمين الأفاعيل. فمن اغتر بشعارات الفتوحات الإسلامية، وشارك مع هؤلاء الحكام، فهو إن مات يُحشر ممن مات ميتة جاهلية، ويكون شريكًا في الإشاعة بدماء العترة الطاهرة وحبس حقوقهم. فالمقاييس عند أئمة أهل البيت (عليهم السلام) مقاييس حادة.

وفي (تهذيب الأحكام) لشيخ الطائفة الطوسي (عليه الرحمة)، روى أبو حمزة الثمالي (رحمه الله)، قال: قال رجل لعلي بن الحسين (عليهما السلام) -وهو عباد البصري كما في (المناقب) لابن شهر آشوب^(١):-

«أقبلت على الحج وترك الجهاد، فوجدت الحج ألين عليك، والله يقول: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ^ط وَغَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ

(١) مناقب آل أبي طالب ص ١٥٩.

وَالْقُرْآنَ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ۚ فَاسْتَبْشِرُوا
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ؟».

فاحتج عليه بالجهاد، فرد عليه الإمام زين العابدين (عليه السلام) مفهمًا إياه، قائلًا:

«اقرأ ما بعدها، فقرأ الرجل: "(التَّائِبُونَ
الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ
السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ
الْمُؤْمِنِينَ) [التوبة: 112]". فقال الإمام (عليه السلام):
«إذا ظهر هؤلاء لم نؤثر على الجهاد
شيئًا»^(١).

فالجهاد مشروط بكون المجاهدين حافظين لحدود الله،
متصفين بهذه الصفات القرآنية، لا كبني أمية وبني العباس
وأشباعهم.

(١) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٣٤.

ولذا لم يشارك أحد من أئمتنا (عليهم السلام) بعد الحسين في هذه الفتوحات، وكان موقفهم التحفظ والرفض، وكانوا يأمرّون من يستأذّنهم للجهاد في الثغور بأن يلزموا الحج. وهذا هو الموقف الأصيل لشيعة أهل البيت إلى يومنا هذا، فلا نغتر بالانضواء تحت الفصائل والأحزاب التي تدعي المقاومة والجهاد -حتى وإن تلبست بالتشيع- ما لم تتجسد فيها تلك الصفات، فكيف إذا كانت تترك الأمر بالمعروف وتنهى عنه، وتدعو إلى تحصين أعداء أهل البيت وصون رموز المخالفين كعائشة وأبي بكر وعمر وعثمان بحجة أنهم رموز إخواننا بل أنفسنا!

إن الشيعة الأصيل الذي لا يتلاعب به المنطق البكري والبتري لا ينقاد لهذه المزايدات ولا يزج بنفسه في المهالك، ولا يشارك إلا دفاعاً عن بيضة الإسلام وحفظاً لذكر محمد (صلى الله عليه وآله) عند الخطر الداهم الذي لا يفرق بيننا، كما صرح به الإمام الرضا (عليه السلام)، لئلا يندرس الدين.

فما لم تتوفر هذه الصفات الشرعية، لا يجوز الاغترار بأدعياء الجهاد. وعلى الفرد البكري في المقابل أن يعين نفسه ليتخلص من هذه العبودية الحقيرة للرجال وتقديس الفاتحين المزعومين، وأن يقرأ تواريخهم ليعرف الجنايات والتعديات

التي ارتكبت باسم الفتوحات، ليبراً إلى الله عز وجل من مرتكبيها ولا يتشرف بهم. فهذا هو سبيل التحرر والانعتاق من العبودية المهينة، والبقاء على نهج مدرسة الإمام الباقر (عليه السلام)، مدرسة الأحرار التي تأبى الخضوع للظلم والطغيان.

فتوحات إسلامية، أم
جرائم ضد الإنسانية؟! عهد
أبي بكر مثلاً

في حقيقة الفتوحات الإسلامية وضوابطها

لقد نادينا في كتابنا بضرورة إعادة النظر في هذه الحروب التي سُميت بالفتوحات الإسلامية؛ فإن الذي يفهمه العاقل من اصطلاح «الفتوحات الإسلامية» أنها لا بد أن تشتمل على أمور ثلاثة.

الأمر الأول: أن تكون هذه الحروب بدافع إسلامي خالص، في سبيل الله وإنقاذاً للمستضعفين، كما قال تعالى: (وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ) [النساء: 76].

فينبغي أن يكون الدافع إليها دافعاً إسلامياً خالصاً، لا دافع المطامع والشهوات؛ فهذا أول أمر لا بد أن تشتمل عليه هذه الحروب حتى يصح أن تُسمى فتوحات إسلامية.

والأمر الثاني: أن تكون هذه الحروب ملتزمة بأحكام الإسلام وأخلاقياته ومنهاج الأنبياء والأوصياء (عليهم الصلاة والسلام). فإن نبينا الأعظم (صلى الله عليه وآله) له وصايا في الحروب، وفي هذه الوصايا شرائط كثيرة؛ فمن لم يلتزم بها لا يمكن أن يُسمّى ما يقوم به فتحًا إسلاميًا، لأنه لا يلتزم بما أوصاه به رسول الإسلام (صلى الله عليه وآله).

ومن ذلك ما في الكافي الشريف، عن الكاظم عن آبائه عن أمير المؤمنين علي (صلوات الله عليهم)، قال:

«بعثني رسول الله (صلى الله عليه وآله)

إلى اليمن وقال لي: يا علي لا تقاتلن أحدا حتى

تدعوه وأيم الله لان يهدي الله على يديك رجلا

خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ولك

ولاؤه يا علي»^(١).

إذن لا بد من ألا نباغت الأقوام بالحرب، وإنما ندعوهم أولاً إلى الإسلام؛ فمن باغتهم من غير ضرورة لا يمكن تسمية الحرب التي شنّها على أولئك الأقوام فتحًا إسلاميًا؛ لأنه لم يسبق ذلك دعاء إلى الإسلام.

(١) فروع الكافي ج ٥ ص ٢٨.

وصايا النبي (صلى الله عليه وآله) في الحرب

ثم هناك هذه الوصايا النبوية العظيمة التي اشتمل عليها حديث شريف أخرجه ثقة الإسلام الكليني عليه الرحمة في الكافي الشريف، بسنده عن محمد بن حمران وجميل بن دراج، كلاهما عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال:

« كان رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا

أراد أن يبعث سرية دعاهم فأجلسهم بين يديه

ثم يقول: سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل

الله وعلى ملة رسول الله، لا تغلوا ولا تمثلوا،

ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيئا فانيا ولا صبيا ولا

امراة، ولا تقطعوا شجرا إلا أن تضطروا إليها

وأيا رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر

إلى رجل من المشركين فهو جارحتي يسمع

كلام الله فإن تبعكم فأخوكم في الدين وإن

أبي فأبلغوه مأمنه واستعينوا بالله عليه»^(١).

(١) فروع الكافي ج ٥ ص ٢٩.

هذه هي الوصايا النبوية: عدم الغدر، وعدم الغلول، وعدم التمثيل، وعدم قطع الأشجار إلا عند الاضطرار، وعدم تخريب البيئة وإفساد البلاد، وعدم قتل النساء، وعدم قتل الأطفال، وعدم قتل الشيوخ الكبار في السن. هذه أصناف محترمة لا يجوز الاعتداء عليها.

ثم، مع هذا كله، لاحظوا العبارة النبوية:

«وأیما رجل من أدنى المسلمين وأفضلهم

نظر إلى أحد من المشركين فهو جار».

أي إننا إذا ذهبنا، بوصفنا جيشًا إسلاميًا، إلى قوم معادين، فعلينا أولًا أن ندعوهم إلى الإسلام؛ وهذا هو الشرط الأساس قبل نشوب القتال. وفي هذه الفترة، قبل نشوب القتال أو في أثنائه، لو أن شخصًا من أدنى المسلمين، ولا يشترط أن يكون من أفضلهم، بل من أدناهم، أي من أقلهم رتبة وفضلًا، حتى لو كان عبدًا من العبيد، لكنه مسلم معنا في الجيش، ونظر إلى أحد من المشركين نظرة توجي بالأمان، فكأنه قد أعطاه أمانًا.

هذا الرجل الذي هو من أدنى المسلمين، إذا نظر إلى أحد من المشركين نظرة الأمان والرأفة، فهو جار. وهذا المشرك يصبح جارًا، أي محميًا؛ فيقال: فلان جار لي، أي في حمايتي. فيدخل

بهذه النظرة في ذمة الإسلام والمسلمين، ولا يمس بسوء، حتى يسمع كلام الله.

فتلى عليه آيات كتاب الله عز وجل، ويُبَيِّن له الإسلام. فإذا سمع كلام الله، وقال: أنا أؤمن بالإسلام، فأخوكم في دينكم، له ما لنا وعليه ما علينا. وإن أبي، وقال: أريد أن أبقى على الشرك والكفر، فاستعينوا بالله عليه وأبلغوه مأمنه. فإذا ألقى السلاح وقال: اتركوني، فأبلغوه مأمنه، أي قولوا له: ارجع آمنًا. كل هذا بسبب رجل من أدنى المسلمين أعطاه بنظرة ما يوحى بالأمان.

وفي نفس المصدر، في الكافي الشريف، رواية بعدها، عن ابن أبي عمير عن جميل عن أبي عبد الله (عليه السلام)، مثله، إلا أنه قال:

«وأَيُّما رجل من المسلمين نظر إلى رجل من المشركين في أقصى العسكر وأدناه فهو جار»^(١).

أي إن هذا الرجل قد يكون بعيدًا جدًّا، في أقصى العسكر، سواء كان في المقدمة أو في الساقة، وفي أي موضع من

(١) كالمصدر السابق

الجيش، فإذا أعطاه هذه النظرة، أو لَوْح له من بعيد وقال له: أنت لا تخاف، لا خوف عليك، فهو جار.

تأملوا هذا المبدأ: أمير الجيش الإسلامي لا يستطيع أن يتصرف في هذا الرجل بعد أن منحه مسلم عادي، وربما كان عبدًا الأمان. يقول له: هذا الرجل في جوارِي؛ فلا يستطيع أحد أن يمسّه بسوء.

هذه مبادئ نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله)، وهذا حرصه على حقن الدماء، وحرصه على أن تؤول الأمور دائمًا إلى الخير والصالح.

كيف تكون الدعوة إلى الإسلام قبل القتال؟

ثم كيف يُدعى هؤلاء إلى الإسلام؟

علمنا أن من الشروط اللازمة سبق الدعاء إلى الإسلام والاحتجاج عليهم أولاً. فكيف يتم ذلك؟

أئمتنا الأطهار (عليهم السلام) بينوا ذلك، ففي كتاب تهذيب الأحكام لشيخ الطائفة الطوسي رحمه الله، حيث يروي رواية، واللطيف فيها أن في سندها اثنين من كبار العامة فعن محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن القاسم بن محمد، عن المنقري، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري قال:

«دخل رجال من قريش على علي بن الحسين (عليهما السلام) فسألوه كيف الدعوة إلى الدين؟ فقال: «تقول: بسم الله، أدعوك إلى الله وإلى دينه، وجماعه أمران، أحدهما معرفة الله والآخر العمل برضوانه. فإن معرفة الله أن يعرف بالوحدانية والرفقة والرحمة والعزة والعلم والقدرة والعلو على كل شيء، وأنه النافع الضار القاهر لكل شيء، الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وأن محمدًا عبده ورسوله (صلى الله عليه وآله)، وأن ما جاء به هو الحق من عند الله وما سواه هو الباطل».

هكذا ينبغي أن يُدعى إلى الإسلام قبل أن تشتعل الحرب. يقول الإمام زين العابدين (عليه السلام) لذلك الرجل القرشي:

« فإذا أجابوا إلى ذلك فلهم ما للمسلمين

وعليهم ما على المسلمين»^(١).

فإن أجابوا إلى هذا المقدار: معرفة الله، ومعرفة رسوله (صلى الله عليه وآله)، والعمل بضروريات الإسلام، كان لهم ما للمؤمنين وعليهم ما على المؤمنين.

إذن هذا هو الأمر الثاني الذي لا بد أن تتوفر عليه الحرب حتى تسمى فتحاً إسلامياً أو حرباً شرعية إسلامية.

١. الأمر الأول، كما قلنا، أن يكون دافعها إسلامياً: قتالاً في سبيل الله وإنقاذاً للمستضعفين، لا قتالاً في سبيل الغنائم والمطامع والشهوات.

٢. والأمر الثاني: أن تكون ملتزمة بهذا المنهاج، وبهذه الشروط، وبهذه الوصايا.

٣. والأمر الثالث: أن تكون على يد رجال تتوفر فيهم الشروط.

من يملك حق الجهاد؟

ليس كل أحد له الحق في أن يتولى أمر الجهاد. بل لا بد أن

(١) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٤١.

تتوفر فيه شروط معينة ذكرت في الكتاب والسنة.

أما الكتاب، فقد مر معنا في بعض الفصول الماضية احتجاج إمامنا زين العابدين (عليه السلام) على عباد البصري، لما عاب على الإمام (عليه السلام) قعوده عن الجهاد، فقال له:

(إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي
التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ
مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ
وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: 112]».

فاحتج عليه بالجهاد، فرد عليه الإمام زين العابدين (عليه السلام) مفهمًا إياه، قائلاً:

«اقرأ ما بعدها، فقرأ الرجل: "(التَّائِبُونَ
الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ
السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنْ
الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ) وَبَشِّرِ

الْمُؤْمِنِينَ) [التوبة: 112]". فقال الإمام (عليه السلام): «إذا ظهر هؤلاء لم نؤثر على الجهاد شيئاً»^(١).

فأين هؤلاء المجاهدون؟ هل بينهم أشياخ بني أمية؟ هل هؤلاء هم التائبون والعابدون والحامدون والسائحون والراكعون والساجدون والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله؟

إذن هناك شروط لا بد أن تتوفر، لا أقل في مقدار معتدّ به من هذا الجيش، من هذه السرية التي تتوجه لهذه المهمة. وفي الكافي الشريف، رواية بسند الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد، عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

«قلت له: أخبرني عن الدعاء إلى الله والجهاد في سبيله أهو لقوم لا يحل إلا لهم ولا يقوم به إلا من كان منهم أم هو مباح لكل من وحد الله عزّ وجلّ وآمن برسوله (صلى الله

(١) تهذيب الأحكام ج ٦ ص ١٣٤.

عليه وآله وسلم) ؟ ومن كان كذا فله ان يدعو
إلى الله عزّ وجلّ وإلى طاعته وأن يجاهد في
سبيل الله؟».

أي: هل الجهاد لقوم مخصوصين لا يحل إلا لهم، أم هو
لكل أحد؟ كل واحد يقول: أنا أوّمن بالله وبرسوله، وأنا من أمة
التوحيد، إذن لي أن أجاهد. أيهما؟

فقال (عليه السلام): « فقال : ذلك لقوم لا
يحل إلا لهم، ولا يقوم به إلا من كان منهم
فقلت : من أولئك ؟ فقال : من قام بشرائط
الله عزّ وجلّ في القتال والجهاد على
المجاهدين فهو المأذون له في الدعاء إلى الله
عزّ وجلّ، ومن لم يكن قائما بشرائط الله عزّ
وجلّ في الجهاد على المجاهدين فليس
بمأذون له في الجهاد والدعاء إلى الله حتى
يحكم في نفسه بما أخذ الله عليه من شرائط
الجهاد».

هناك شرائط لا بد أن تتوفر في الفرد المجاهد. فمن لا يجد هذه الشرائط في نفسه فليس مأذوناً له أن يجاهد حتى يحكمها في نفسه ويتحلى بها أولاً، ثم يستأذن أيضاً فيؤذن له. يسأل الراوي الإمام (عليه السلام)، فيقول:

«قلت: فبين لي، يرحمك الله. إن الله تبارك وتعالى أخبر نبيه في كتابه الدعاء إليه، ووصف الدعاة إليه، فجعل ذلك لهم درجات يعرف بعضها بعضاً ويستدل ببعضها على بعض. فأخبر أنه تبارك وتعالى أول من دعا إلى نفسه ودعا إلى طاعته واتباع أمره، فبدأ بنفسه، الله أول الداعين، فقال: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾» [يونس: 26].

فإذن هذا الداعي الأول.

«ثم ثنى برسوله (صلى الله عليه وآله)، فقال: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾» [النحل: 126].

أي بالقرآن، كما يبين الإمام الصادق (عليه السلام). هؤلاء الأقوام جادلهم بالتي هي أحسن، أي بالقرآن، واعرض عليهم آيات الله عز وجل قبل أن تبدأهم بقتال. الدعوة قبل القتال.

«ولم يكن داعيًا إلى الله عز وجل من خالف

أمر الله ويدعو إليه بغير ما أمر به في كتابه،

والذي أمر أن لا يُدعى إلا به».

هذا الذي يأتي إلى الأقوام على أساس أنه يدعوهم إلى الإسلام، فإن أبوا جاهدهم، ويقول: أنا من المجاهدين، ويكبر ويقاقل؛ هذا الرجل إن كان يخالف أمر الله عز وجل فليس بمأذون له في الجهاد.

إن كان يدعو بغير ما أمر الله به في كتابه، والذي أمر أن لا يُدعى إلا به، فهذا ليس بمجاهد حقًا وإن تسمى بالجهاد زورًا. وهذا هو الحاصل من يوم السقيفة إلى يومنا هذا؛ كلهم ادعوا الجهاد، وقالوا: نحن مجاهدون ندعوكم إلى الله وإلى رسوله (صلى الله عليه وآله)، لكن عندما تفتش في صفات هؤلاء تجدهم أبعد ما يكونون عن الله ورسوله (صلى الله عليه وآله)، وأفعالهم تفضحهم.

«ويقول الإمام الصادق (عليه السلام)،

وقال في نبيه (صلى الله عليه وآله): (وَإِنَّكَ

لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) [الشورى:53]».

أي تدعو إلى صراط مستقيم.

« ثم ثلث بالدعاء إليه بكتابه أيضًا، فقال

تبارك وتعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ

أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ) [الإسراء:8]. ثم ذكر الله

تعالى من أذن له في الدعاء إليه بعده وبعد

رسوله في كتابه. فقال: (وَلَتَكُنْ مِّنْكُمْ أُمَّةٌ

يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ

عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [آل عمران:

105]».

إذن لا بد أن يكونوا ممن يتحلون بذلك: الدعوة إلى الخير،

والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

أما إذا رأيت شخصًا يدعي أنه مجاهد، وهو يأمر بالمنكر

وينهى عن المعروف، فكيف يكون مجاهدًا بحسب هذه

المعايير؟

ومن المعروف عندنا، نحن المسلمين، أعني شيعة أهل البيت (عليهم السلام)، ولاية أهل البيت الطاهرين (صلوات الله عليهم)، ومن المنكر ولاية أبي بكر وعمر مثلاً.

فإذا خرج لنا شخص وقال: أنا مجاهد، وأنا من محور المقاومة ومقاوم، ثم نظرنا في سلوكه وأفعاله فوجدناه ينهى عن المعروف ولا ينهى عن المنكر، فهل نستطيع أن نسمي هذا الشخص مجاهداً؟

وقد صدر من بعض الشخصيات السياسية تصريحات تدعو إلى منع الدعوة إلى التشيع بحجة عدم إثارة الفتنة الطائفية، كما صدرت تصريحات أخرى تدعو إلى منع الإساءة إلى رموز الطوائف الأخرى، ووضعت موثائق شرف بين الطوائف بهذا الشأن.

نحن لا نتحدث هنا عن التقييم السياسي لهذه المواقف، وإنما نعرضها مثلاً على سؤال أعمق: هل كل من حمل السلاح أو شارك في القتال تنطبق عليه، تلقائياً، أوصاف المجاهدين التي قررها الإمام الصادق (عليه السلام)؟

بالنسبة إلينا، نحن الذين نحاول أن يكون القول منا في جميع الأشياء قول آل محمد (عليهم السلام)، لا يمكن أن نسمي شخصاً وأمثاله من المجاهدين حقاً أو المقاومين حقاً إذا نقض هذه الشرائط والصفات؛ لأن هذه الأوصاف لا تستمد

من الموازين السياسية أو الحزبية أو العاطفية، وإنما من الموازين المأخوذة عن العترة الطاهرة (صلوات الله عليهم).

متى يكون القتل شهادة؟

ثم يقول الإمام الصادق (عليه السلام):

«ثم أخبر أنه اشترى من هؤلاء المؤمنين، ومن كان على مثل صفتهم، (أَنْفُسُهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُذًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ)، ثم ذكر وفاءهم له بعهده ومبايعته، فقال: (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة: 111]». فلما نزلت هذه الآية: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ) [التوبة: 111]، قام رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: أرايتك يا نبي الله الرجل يأخذ سيفه

فيقاتل حتى يقتل إلا أنه يقترب من هذه

المحارم أشهيد هو؟».

هذه مسألة ينبغي أن ينتبه إليها جيداً؛ لأن التساهل في تسمية الأشخاص بالشهداء أصبح واسعاً جداً، وكأن الشهادة صارت لقباً يمنح لكل من قُتل في القتال، لمجرد أنه قاوم طرفاً معيناً.

لا، ينبغي أن نتوقف ونسأل: من قال إن كل من قاتل، ثم قُتل، يكون شهيداً بالمعنى الشرعي؟

و حتى لو افترضنا أن دافعه في القتال كان دافعاً حقيقياً، وأنه يقاتل عدواً، وأن نيته تحرير البلاد أو الدفاع عن المسلمين، فلو كان مع ذلك يقترب محارم الله، وكانت سيرته تدل على أنه لا يبالي بحدود الله، فهل يكفي مجرد القتل في المعركة للحكم له بالشهادة؟

هذا الرجل يسأل النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله):

« يا نبي الله الرجل يأخذ سيفه فيقاتل حتى

يقتل إلا أنه يقترب من هذه المحارم أشهيد

هو؟ فأنزل الله عز وجل على رسوله: ﴿التَّائِبُونَ

الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ

السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ
الْمُؤْمِنِينَ [التوبة: 112].

ويقول الإمام الصادق (عليه السلام):

« وذكر الآية فبشر الله المجاهدين من
المؤمنين الذين هذه صفتهم وحليتهم
بالشهادة والجنة».

فمعنى ذلك أن المجاهد الذي يستحق وصف الشهادة ليس
مجرد شخص حمل السلاح وقُتل؛ بل لا بد أن يكون من
التائبين والعابدين والحامدين والسائحين والراكعين
والساجدين، والأمينين بالمعروف والناهين عن المنكر،
والحافظين لحدود الله.

هذا الدين ليس لعبة حتى يسمي كل إنسان من يشاء
شهيداً، ويمنح الألقاب بحسب الموقف السياسي أو الحزبي أو
العاطفي. الناس اليوم يسمون فلاناً شهيداً، وفلاناً شهيداً،
وفلاناً شهيداً؛ وكأن الأمر بهذه البساطة.

فهل كل من قاتل الصهاينة، على فرض أنه قتل، يصبح
شهيداً؟ توقف قليلاً، واسأل عن الشروط. ولنفترض أن دافعه

كان خالصًا، وأنه بالفعل يريد تحرير البلاد الإسلامية أو القدس، وليس دافعه نفوذًا حزبيًا أو إقليميًا، ولنفتراض أن نيته خالصة تمامًا؛ لكنه مع ذلك يقترب محارم الله، ولا يبالي بحدوده، فهل تنطبق عليه أوصاف الشهادة التي بينها رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟

لا بد من تصحيح كثير من المفاهيم. والمشكلة أن كلمة الحق مؤلمة لبعض الأطراف التي تريد استغفال الأمة وتضييع مبادئها ومعاييرها وقيمها المأخوذة عن أئمة العترة الطاهرة (صلوات الله عليهم). ولذلك حين تطرح هذه المعايير يتعرض صاحبها للاتهام والبهتان؛ لأنه لا يسكت عن المنكر.

فتسمية من لا يستحق أن يسمى شهيدًا، بحسب معايير أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، شهيدًا، منكرٌ ينبغي التنبيه إليه.

وقد يموت الإنسان وهو يقاوم، ومع ذلك لا يلزم من موته في المعركة أن يكون شهيدًا بالمعنى الذي قرره أهل البيت (عليهم السلام).

وإن كنا نبارك، من حيث الأصل، مقاومة العدو المشترك، فهذا شيء، والحكم بالشهادة شيء آخر. من يقاوم هذا العدو المشترك، نحن معه في أصل الفعل من حيث مقاومة العدو،

لكن إذا جاء بعد ذلك وقال: ضعوا على صدري وسام الشهادة، فالشهادة ليست بيدي ولا بيدك، وإنما هي بيد الله ورسوله وأوليائه (عليهم السلام)، وقد وضعوا لها معايير.

أنا رجل دين، ولست رجلاً سياسياً؛ فإذا أردت الألقاب السياسية، فاذهب إلى الأحزاب والأنظمة والشخصيات السياسية، يمنحونك ما يشاؤون من الألقاب والأوسمة والنياشين. أما إذا سألتني عن الشهادة وفق معايير أهل البيت (عليهم السلام)، فلا أستطيع أن أتجاوز هذه المعايير.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام):

«وقال : التائبون من الذنوب العابدون الذين

لا يعبدون إلا الله ولا يشركون به شيئاً
الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال في
الشدة والرخاء، السائحون وهم الصائمون
الراكعون الساجدون وهم الذين يواظبون على
الصلوات الخمس والحافظون لها والمحافظون
عليها في ركوعها وسجودها وفي الخشوع
فيها وفي أوقاتها الآمرون بالمعروف بعد ذلك ،

والعاملون به والناهون عن المنكر والمنتهون عنه». قال: «فبشر من قتل وهو قائم بهذه الشروط بالشهادة والجنة، فبشر المؤمنين».

أي الذين هم قائمون بهذه الشروط.

شروط القتال ليست شعارًا

إذن، من هو القائم بهذه الشروط؟ هناك شروط للمجاهدين والشهداء.

«ثم أخبر تبارك وتعالى أنه لم يأمر بالقتال إلا أصحاب هذه الشروط. قال عز وجل: (أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ) [الحج: 41-40]».

تلاحظون أن الكلام يتجه إلى المظلومية: الذي يقاتل هو المظلوم، لا الظالم؛ هو المبغي عليه، لا الباغي. أما أن يتحول الأمر إلى قتل ونهب وسلب، ثم يقول الإنسان: أنا مجاهد، وأدعوكم إلى الإسلام، فهذا شيء آخر تمامًا. أن تأخذ طائفة مدنية وتختطفها، ثم تتجه بها إلى برج فيه مدنيون ونساء

وأطفال، ثم تقول: نحن مجاهدون، فهذا ليس جهادًا. وأن يحمل شخص سيارة أو شاحنة ويدخل بها في الناس فيقتل المدنيين، ثم يرفع شعار الجهاد، فأى جهاد هذا؟

«يقول الإمام الصادق (عليه السلام):

«وإنما أذن للمؤمنين الذين قاموا بشرائط

الإيمان التي وصفناها، وذلك أنه لا يكون مأذونًا

له في القتال حتى يكون مظلومًا».

ليس مأذونًا لك بأن تقاتل إلا إذا كنت مظلومًا أولًا؛ فلا تظلم، ولا تبدأ بقتال. ثم يقول:

«ولا يكون مظلومًا حتى يكون مؤمنًا».

وهذه عبارة مهمة جدًا؛ لأن كثيرًا من الناس يقولون: نحن مظلومون، إذن لنا أن نقاتل. نقول: تمهل، دعنا نبحث أولًا: هل أنت مؤمن؟

إذا كنت لست مؤمنًا، فمظلوميته غير محرزة؛ لأنك ظالم لنفسك أولًا. أنت غير مؤمن، وأنت بذلك ظالم لنفسك وظالم لمجتمعك، فعلى أي أساس تكون مظلومًا؟

قد يقول: أنا مؤمن؛ لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، ماذا تريد أكثر من ذلك؟ نقول: اصبر، دعنا نرى هل الشرائط موجودة فيك أم لا.
يقول (عليه السلام):

«ولا يكون مؤمنًا حتى يكون قائمًا بشرائط
الإيمان التي اشترط الله عز وجل على
المؤمنين وعلى المجاهدين، فإذا تكاملت فيه
شرائط الله عز وجل كان مؤمنًا، وإذا كان
مؤمنًا كان مظلومًا، وإذا كان مظلومًا كان
مأذونًا له في الجهاد، لقوله عز وجل: أَذِنَ
لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى
نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ»^(١).

فأين الناس من كل هذا؟ حتى كثير من الشيعة لا يعرفون
هذه الثقافة. يعرفون ثقافة الأحزاب والحركات والفصائل
والميليشيات والإعلام والأنظمة، ويتلقون الثقافة التي

(١) الكافي ج ٥ ص ١٣.

يحسبونها دينية من الإعلام والقنوات، أما تراث أهل البيت الطاهرين (عليهم السلام)، فقلّ من يعرف هذه النصوص.

هذا الحديث الذي ذكرته جزء يسير من حديث طويل في الكافي الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام)، فكم من الناس سمع به أو وقف على هذه المعايير؟

لقد تُركت ثقافة أهل البيت (عليهم السلام)، وحلت محلها ثقافة أخرى مسيسة، معلبة، مهجنة؛ سمّها ما شئت.

وهذا ما نراه؛ فنحن كما نوجه النقد إلى الطائفة البكرية، نوجه النقد أيضًا إلى الانحرافات داخل الطائفة الشيعية. نحن لا نريد ثقافة حزبية أو قومية أو طائفية، وإنما نريد أن نجمع الأمة الإسلامية على اتباع الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، (صلوات الله عليهم).

ولذلك نعرض هذا التراث ونقول: اسمعوا يا قوم كلام الإمام الصادق، وانتبهوا إلى هذه الشروط والمعايير.

اسمعوا كلام رسول الله الذي نقله عنه حفيده ووصيه الإمام الصادق (صلوات الله عليهم). هذه درر ينبغي أن تُعرف؛ لأن الأمة حين لا تلتزم بها لا يمكن أن يكون النصر الإلهي جزافًا.

إن التخططات التي نعيشها اليوم ترتبط، في جانب منها، بابتعادنا عن هذه الثقافة، حتى صار الإسلام عند بعض الأمم مرادفًا للإرهاب والنزعة العدوانية، وصار المسلم في بعض البيئات يُنظر إليه باعتباره شخصًا عدوانيًّا لا يهدأ.

ومن آثار ذلك تصاعد النزعات اليمينية المتطرفة في بعض البلاد الغربية، وظهور أحزاب وحركات تطرح مواقف شديدة تجاه المسلمين والإسلام، وتطالب بطرد المسلمين وسحب جنسياتهم وإلغاء إقاماتهم. وهذه أزمة كبرى.

ولكن السؤال: من الذي أمرك بهذه الأفعال العشوائية والتخططات التي تكون شيئًا على ديننا؟ لأنك لم تعرف هذه الثقافة.

وبعد استيعاب كل ذلك، يتضح أن القتال لا بد أن يكون عن إخلاص في سبيل الله وإنقاذ المستضعفين، وأن القائمين به لا بد أن يكونوا على هذه الشرائط، وأن تُحترم في هذا القتال وصايا النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله): لا يقتل الأطفال، ولا تقتل النساء، ولا تقطع الشجرة، ولا يقتل الشيوخ الفانون، وغير ذلك من الوصايا.

ماذا نجد في صفحات التاريخ؟

بعد أن نستوعب هذا كله، يصبح من الواضح أن ما نقرأه في صفحات التاريخ عن هذه الحروب التي يتفاخر بها القوم يجعلها أبعد ما تكون عن الفتوحات الإسلامية حقًا.

إذا استوعبنا هذه الشروط ثم تصفحنا كتب التاريخ لننظر في هذه التي يسمونها فتوحات إسلامية، سنكتشف أنها اجتمعت على فضائع دموية، وانتهاكات وحشية، وجرائم ضد الإنسانية، وإبادات جماعية.

فكيف يمكن تسميتها، مع كل ذلك، فتوحات إسلامية؟

هل الإسلام يدعو إلى الإبادة الجماعية؟ كلا.

هل الإسلام يدعو إلى الانتهاكات الوحشية؟ كلا.

هل الإسلام يدعو إلى الجرائم ضد الإنسانية؟ كلا.

هل الإسلام يدعو إلى هذه الفضائع الدموية؟ كلا.

إذن كيف تسمونها فتوحات إسلامية؟

وقد يأتيك بعضهم فيقول: هذه الجرائم وقعت في عهد

بني أمية، وبني أمية لا يمثلوننا، ونحن لا نقول إنهم كانوا بلا أخطاء.

لكن الذي يمثلنا، بحسب اصطلاحهم، ما يسمى بالخلافة الراشدة. ولماذا تسمى خلافة راشدة؟ يقولون لأن هؤلاء كانوا راشدين، وأولهم وأفضلهم أبو بكر، الذي يحتل في الثقافة البكرية موقعًا عظيمًا من العدالة والتقديس.

إذن سأأتيكم في هذا الفصل بما وقع في عهد أبي بكر؛ فإذا كان هذا هو أفضل الخلفاء عند المخالفين، فكيف كان الأمر في عهود من تلاه؟ إنني لا أتحدث الآن عن جميع الجرائم، وإنما آخذ مثلاً واحداً في عهد أبي بكر.

وقائع العراق في عهد أبي بكر

فُتحت، كما يزعمون، ثلاث مدن أو محال في العراق على نهر الفرات: الأولى الولجة، والثانية أليس أو إليس، وقد اختلفوا في ضبط الاسم، والثالثة أمغيشيا أو إمريشيا.

وقد اندثرت هذه المواضع ولم تعد معروفة كما كانت؛ لأن أمغيشيا مثلاً كانت من المدن العظيمة، حتى شبهت بالحيرة لعظمتها، وكانت فيها الأسواق والناس والمباني والعمران.

وهذه الوقائع الثلاث نأخذ منها محل الشاهد، ومن أهم مصادر التاريخ عند المخالفين تاريخ الطبري.

أما الوقعة الأولى، وقعة الولجة، ففي تاريخ الطبري، يقول:

«وقام خالد في الناس خطيباً يرغبهم في

بلاد العجم ويزهدهم في بلاد العرب».

ماذا يعني هذا؟ يعني أنه يقول للمقاتلين: بلاد العجم أفضل من بلاد العرب، والثروات الموجودة في بلاد العجم أكثر، فتعالوا نقاتل.

ثم يقول:

«ألا ترون إلى الطعام كرفغ التراب؟»

أي إلى كثرة الطعام وسعة الموجود في تلك البلاد.

ويقول:

«وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء

إلى الله عز وجل، ولم يكن إلا المعاش، لكان

الرأي أن نقارع على هذا الريف حتى نكون أولى

به، ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن تثاقل

عما أنتم عليه».

لاحظوا هذه أول ملاحظة، وهي هينة بالقياس إلى ما

سيأتي: عدم خلوص النية. الرجل وقف خطيباً في جنده

يشجعهم على القتال من باب المعاش، ومن باب الطعام

والرفاهية والطمع. فأين الدافع الإسلامي الخالص الذي اشترطناه؟ ثم تأتي الثانية، وهي أفضع، وتكشف عن الصورة التي ينقلها التاريخ عن خالد.

يقول الطبري، يروي عن الشعبي:

«حارب خالد يوم الولجة رجلاً من أهل

فارس يعدل بألف رجل».

وهذه من صيغ المبالغة التي تذكر في وصف شجاعة الرجل.

ثم يقول:

«فقتله، فلما فرغ اتكأ عليه ودعا بغدائه

فأكله وهو متكئ عليه بين الصفين».

وهذا مذكور في البداية والنهاية لابن كثير.

تأملوا المشهد: رجل قتل خصمه، ثم اتكأ على جثته بين

الصفين، ودعا بغدائه فأكله وهو متكئ عليه. وهنا قد يأتي

بعضهم فينفي وقائع أخرى عن خالد، مثل واقعة مالك بن

نؤيرة، وما يذكر في بعض الروايات من وضع الرؤوس أثافي

تحت القدور، ويقول: لا نقبل هذه الروايات.

نحن نقول: حتى لو تركنا تلك الروايات جانباً، فهذه الواقعة

نفسها ثابتة في مصادرهم.

«فقتله، فلما فرغ اتكأ عليه ودعا بغدائه

فأكله وهو متكئ عليه بين الصفين»^(١).

أي أخلاق هذه؟ هل هذه أخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نبي الرحمة، ولو رأى خالداً يفعل هذا الفعل، أما كان سينهى عنه؟ أما كان سينكره؟ أما كان سيتقزز منه؟

أما كان سيعنفه على ذلك؟ هذا فعل تأباه المروءة، وتأباه الفطرة الإنسانية.

ومن الشواهد على شدة اهتمام النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) بالرحمة أنه أنكر على بلال عليه الرحمة موقفاً يبدو في ظاهره بسيطاً، عندما مر بامرأتين من اليهود على قتلى رجالهن.

فقد أتى بلال بامرأتين يهوديتين، وكانت إحداهما صفية، ومر بهما على قتلى رجالهن من اليهود. وكان اليهود قد غدروا وأصروا واستكبروا، ووقعت الحرب، ونصر الله نبيه (صلى الله عليه وآله) بأمير المؤمنين (عليه السلام).

(١) البداية والنهاية ج ٦ ص ٣٨٠.

فلما مرت المرأتان على القتلى، علم النبي (صلى الله عليه وآله) بما حصل، وقال لبلال كلمة مشهورة:

« أنزعت منك الرحمة يا بلال؟ »^(١).

مع أن بلالاً لم يكن يقصد ذلك، وإنما مر بهما في الطريق، ومع ذلك أنكر النبي (صلى الله عليه وآله) عليه أن يمر بالنساء على قتلى رجالهن.

فبالله عليكم، قارنوا هذا الموقف بما ينقل عن خالد: أما كان النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) سينكره ويستفظعه ويتبرأ من فعله؟

هذه صفة المؤمن. المؤمن لا يستلذ بالقتل. وحتى حين يقتل، فإنه لا يقتل استلذاً بالدم، وإنما يقاتل إذا كان مظلوماً والطرف الآخر باغياً، ويقاتله مضطراً، ويحاول قدر المستطاع أن يكف عنه. الغرض هو هداية الناس، لا قتل الناس.

أين كان هذا في الوقائع التي نتحدث عنها؟ هل دعاهم أولاً إلى الإسلام؟ هل تلا عليهم كتاب الله عز وجل؟ هل خيرهم بين الإسلام أو الجزية أو القتال وفق الشرائط الإسلامية؟ أم أن القضية بدأت بالحديث عن الطعام والريف والغنائم؟

(١) إعلام الوري ج ١ ص ٢٠٨.

ثم بعد أن بارز كبيرهم وقتله، جلس عليه واتكأ عليه وقال:
هاتوا غدائي. أيستطيع الإنسان أن يتصور ذلك المشهد ثم
يقول: هذه أخلاق نبي الرحمة؟

وقعة أليس ونهر الدم

نتقل إلى الوقعة الثانية، وقعة أليس.

يقول الطبري في تاريخه:

«فاقتتلوا قتلاً شديداً، والمشركون يزيدهم
كلباً وشدة ما يتوقعون من قدوم بهممن
جاذويه».

وكانوا يقاتلون ببسالة انتظاراً للمدد.

ثم يقول:

«فصابر المسلمون وطالت الحرب للذي كان
في علم الله أن يصيرهم إليه، وحارب
المسلمون عليهم، وقال خالد: اللهم إن لك
علي إن منحتنا أكتافهم ألا أستبقي منهم أحداً
قدرنا عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم».

تأملوا هذا الدعاء وهذا العهد: «ألا أستبقي منهم أحدًا
قدرنا عليه حتى أجري نهرهم بدمائهم».

هل يمكن لمؤمن تربى في مدرسة نبي الرحمة، الذي بعث
رحمة للعالمين (صلى الله عليه وآله)، أن يفكر بهذا فضلًا عن
أن يدعو به؟

هل هدف الإسلام ارتكاب المجازر والإبادات الجماعية
وإجراء أنهار الدماء؟ أم أن الهدف أن يحاول الإنسان هداية
المقاتلين أنفسهم، وأن يدعوهم إلى التوبة والهداية؟

أنت نفسك كنت من كبار المشركين الذين قاتلوا الإسلام،
ومن الذي فعل الأفاعيل بالمسلمين في أحد؟ أليس أنت؟
تخيل أن النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) كان يدعو بهذه
الطريقة، ويقول: أنت وأمثالك من قريش لن أبقي منهم أحدًا،
سأفنيهم حتى تجري أنهار الدماء. لكنك أنت الآن لست على
قيد الحياة.

ماذا تعلمت من نبيك الذي تزعم أنه نبيك؟ ثم كانت هناك
قنوات مائية مرتبطة بالنهر، فكان خالد يريد أن يجري فيها
الدم. وبعد أن انقضت الحرب وانتصروا، أمر بسد النهر. وجاء
بهؤلاء الأسرى، وهنا تبدأ الصورة الأفظع.

يقول:

«ثم إن الله عز وجل كشفهم للمسلمين
ومنحهم أكتافهم، فأمر خالد مناديه فنادى في
الناس: الأسر، الأسر، لا تقتلوا إلا من امتنع».

أي إن الأمر في الظاهر كان: أسروهم، لا تقتلوهم إلا من
امتنع عن الأسر.

وقد يتصور الإنسان هنا أن خالدًا يريد الاكتفاء بأسرهم،
وربما يدعوهم بعد ذلك إلى الإسلام، لكن النص يروي شيئًا
آخر. يقول:

«فأقبلت الخيول بهم أفواجًا مستأسرين
يساقون السوق، وقد وكل بهم رجال يضربون
أعناقهم في النهر».

فكان هؤلاء الأسرى يُساقون، ويضرب الرجال أعناقهم في
النهر. وفُعل ذلك بهم يومًا وليلة. وكانت كثرتهم كبيرة،
واستمر القتل، ثم طلبوا الغداء، وبعد الغد استمروا في تتبع
من بقي في الأطراف، حتى انتهوا إلى النهرين، وكان مقدار ذلك
من كل جوانب أليس. وكان المقصود أن تتجمع الدماء. وقال
له القعقاع بن تميم وأشباهه، بحسب ما ينقل:

«لو أنك قتلت أهل الأرض لم تجر

دماؤهم»^(١).

أي إنك حتى لو أخذت أهل الأرض كلهم وقتلتهم فلن تجري الدماء على الصورة التي تريدها. ثم تذكر الرواية أن الدماء لم تكن تسيل بالقدر المطلوب، وأن الماء أرسل عليها حتى اختلط بالماء، فتكون ما سمي «نهر الدم».

ويُنقل في ذلك تفسير متعلق بنشف الدماء وسيلانها، ثم قيل له: افتح القناة، ودع الماء يسيل ويختلط بدمائهم، فيتكون لك هذا النهر من الدم وتبر يمينك.

وهذا ما حصل، فتكون نهر الدم، واستمرت هذه التسمية قرونًا إلى زمن الطبري، أو إلى زمان من روى عنه. وهنا ترد ملاحظة مهمة حول ما يذكره بعض المؤرخين عن «نهر الدم». فبعض الغربيين أرخوا لهذه الواقعة وسموها «واقعة نهر الدم» أو «معركة نهر الدم».

وفي المقابل، نجد المسلمين الذين يعيبون على المغول والتتار ما ارتكبهوه من الفضائع، ومنها قتل الناس في بغداد،

(١) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ٣٨٧.

يذكرون في كتب التاريخ أن دجلة تغير لونه إلى الحمرة من كثرة القتل وسفك الدماء.

وهنا تظهر مشكلة الكيل بمكيالين: يكون الإنسان شديداً في ذم المغول والتتار بسبب ما ارتكبهوه، فإذا ارتكب شخص آخر فعلة مشابهة سكتوا عنه، بل ربما مجدوه وعظموه.

الطعام على الدماء

يقول الطبري عن المغيرة:

«كانت على النهر أرحاء فطحنت بالماء وهو

أحمر، قوت العسكر ثمانية عشر ألفاً أو يزيدون

ثلاثة أيام».

أي كانت هناك أرحاء تدور بهذا الماء الأحمر، وجعلوا منها ما يطحنون به طعامهم.

تخيلوا هذه الأرحاء وقد اختلط الماء فيها بالدم، وصار لون الماء أحمر من الدماء، ثم استمر الجيش ثلاثة أيام في تناول الطعام.

وهنا لا بد أن يسأل الإنسان نفسه: كيف لا تعاف النفس مثل هذا الطعام؟ حتى لو قيل إن الدم لم يدخل الطعام مباشرة،

فمجرد وجود الدماء البشرية والأشلاء حول الإنسان، ومشهد القتل والدم في المكان، ألا يمنع الإنسان من الطعام؟ ثم يأتي من ينظر إلى هذه الوقائع بمنظار التقديس، في حين أن الفطرة الإنسانية نفسها تستقبح هذا المشهد.

موقف أبي بكر من وقائع خالد

قد يقول قائل: هذا من فعل خالد، فما شأن أبي بكر؟ أبو بكر كان في المدينة. والجواب هو ما رواه الطبري:

« بعث خالد بالخبر خبر فتح أليس معرجل يدعى جندلاً من بني عجل وكان دليلاً صارماً ، فقدم على أبي بكر بالخبر ، وبفتح أليس وبقدر الفياء وبعده السبي ، وبما حصل من الأخماس وبأهل البلاء من الناس ، فلما قدم على أبي بكر فرأى صرامته وثبات خبره ، قال : ما اسمك ، قال : جندل ، قال: ويها جندل، نفس عصام سودت عصامًا، وعودته الكر والإقدام»^(١).

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٥٨

واستشهد بهذا البيت، ثم أمر له بجارية من ذلك السبي.
فإذا كان الأمر كما ينقل التاريخ، فهذه ليست قضية أن
القائد فعل شيئاً ثم تبرأ منه الخليفة أو أنكر عليه، وإنما هناك
تعامل آخر مع الخبر.

ثم يبلغ النص أن قتلى أليس بلغوا سبعين ألفاً، وأن أكثرهم
من أهل المنطقة.

وهنا ينبغي أن نتوقف عند الرقم؛ لأن بعض المصادر تنقل
هذه الأعداد على نحو مختلف، لكن النصوص التاريخية التي
استند إليها البحث تذكر سبعين ألفاً.

ثم إن الطبري ينقل في واقعة أمغيشيا أن خالدًا أمر بهدمها
وكل شيء كان في حيزها.

أمغيشيا: التدمير بعد انقضاء القتال

فيقول الطبري:

« لما فرغ خالد من وقعة أليس، نهض فأتى
أمغيشيا، وقد أعجلهم عما فيها، وقد جلا
أهلها، وتفرقوا في السواد، ومن يومئذ صارت
السكرات في السواد فأمر خالد بهدم أمغيشيا

وكل شيء كان في حيزها وكانت مصر
كالحيرة، وكان فرات بادقلى ينتهي إليها، وكانت
أليس من مسالحها، فأصابوا فيها ما لم يصيبوا
مثله قط».

وهذه مدينة كانت من المدن الكبيرة، وكان الفرس وأهل
المدائن معروفين بالعمران، وكانت أمغيشيا من المدن
المهمة. فإذا فرّ أهلها وفزعوا وتفرقوا، فلماذا تهدم مساكنهم
ودورهم كلها؟

إذا كنت متقيًا وتعمل بوصايا نبي الرحمة (صلى الله عليه
وآله)، فلماذا لا ترسل إليهم أولًا وتطمئنهم وتدعوهم إلى
الإسلام؟

وحتى لو افترضنا أنهم فزعوا من غير قصد، فالواجب أن
تنتظر وتتلث حتى تطمئنهم، وأن ترسل إليهم برسالة طمأنة
حتى يرجعوا إلى بلدتهم، ثم تتلو عليهم آيات الله عز وجل
وترغبهم في الإسلام.

لكن بدل ذلك، هُدمت البلدة وترك المكان قاعًا صفصًا،
حتى لا يعود لأحد دار. فكيف يتصور الإنسان أن هذا يجعل
الناس يحبون الإسلام؟

كيف تتصور أن دينًا عادلًا رحيماً يرضى بأن تهدم مساكن قوم فروا من الفزع، ثم يقال بعد ذلك إن هذه هي الفتوحات الإسلامية؟

الغنائم والدافع إلى القتال

أما الغنائم يومها، فالنصوص تذكر أنها كانت عظيمة. يقول الطبري، ويروي عن بحر بن الفرات العجلي عن أبيه:

«لم يصب المسلمون فيما بين ذات السلاسل وأمغيشيا مثل شيء أصابوه في أمغيشيا».

أي إن الثروة التي حصلوا عليها من أمغيشيا كانت عظيمة. وكان سهم الفارس يبلغ ألفاً وخمسمائة، سوى النفل الذي نُقِلَ أهل البلاء.

ويُروى أن أبا بكر حين بلغه ذلك قال:

«يا معشر قريش، يخبركم بالخبر الذي أتى

عدا أسدكم؟»

يعني أن خالدًا عُذَّ أسدًا من أسود قريش، وأنه غلب أسد المشركين واستولى على خراذيله، أي قطع لحمه وما بقي منه.

ثم قال:

«أعجزت النساء أن ينسلن مثل خالد؟»^(١).

أي: ألا يوجد في قريش مثل خالد؟

وهنا نعود إلى أصل المسألة: إذا كان الدافع هو الطعام والريف والثروات والغنائم والنساء، فأين الدافع الإسلامي الخالص الذي تحدثنا عنه في بداية البحث؟

إننا نلاحظ من مجموع هذه الوقائع غياب الدعوة إلى الله، وغياب الوصايا النبوية التي قدمناها، وتحول الأمر إلى حرب تتلو حربًا، والمهم هو الثروات والطعام والشهوات والجواري، بل واستلذاذ الدم وتكوين أنهار منه.

من التاريخ إلى مفهوم الفتوحات

هذا الذي سقناه ليس إلا نموذجًا من عهد أبي بكر، وما صنعه أحد قادته العسكريين البارزين، خالد بن الوليد.

ولذلك نجد أن بعض من يقرأون هذا التاريخ، من قوميات وبلدان مختلفة، يعترضون ويقولون: أنتم تقولون إنكم جئتم لتقنعوا آبائنا وأجدادنا بالإسلام، بينما الذي نراه في تاريخكم هو الحرب والدماء والمقابر الجماعية والإبادات والجرائم.

(١) تاريخ الطبري ج ٣ ص ٣٥٩.

ويقولون: أنتم فرضتم علينا دينكم بالقوة والسيف، ولذلك انتشر الإسلام بالسيف.

هذه المقولة تحتاج إلى تفصيل؛ لأن إطلاقها على الإسلام بإطلاقه غير دقيق.

يمكن أن يقال: إن بعض السلطات والحركات التي رفعت شعار الإسلام استخدمت القوة والسيف، وهذا لا يعني أن ذلك يمثل الإسلام الذي جاء به رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولا الثقافة التي قررها أهل البيت (عليهم السلام).

ونحن بحاجة إلى إعادة النظر في هذه التي تسمى «فتوحات إسلامية»، لأن الشعوب عانت من بعض هذه الحروب، ولأن كثيراً مما يروى عنها لا ينسجم مع القرآن ولا مع وصايا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولا مع منهج أئمة أهل البيت (عليهم السلام).

وقد شرحنا في الفصول الماضية أن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) كانوا ضد هذا النمط من الحروب، وذكرنا موقف الإمام الباقر (عليه السلام) والإمام الرضا (عليه السلام). هذه ليست فتوحات إسلامية إذا كانت جرائم ضد الإنسانية ارتكبت باسم الإسلام.

وكما ترتكب في زماننا جرائم باسم شعارات مختلفة، فقد ترتكب الجرائم في زمان سابق باسم شعارات دينية. إن بعض القوى قد ترتكب جرائم باسم «مقاومة الإرهاب»، وأخرى باسم «نشر الديمقراطية»، وهكذا يتلاعب الناس بالألفاظ والشعارات.

وفي ذلك الزمان كانت عبارة «الفتوحات الإسلامية» سوقاً رائجة، فاتخذها بعضهم ذريعة وحجة، بينما تكشف الوقائع التاريخية التي استعرضناها عن دوافع أخرى.

هذه هي الحقيقة التي ينبغي بحثها: هل كانت تلك الحروب فعلاً فتوحات إسلامية بالمعنى الذي قرره القرآن والسنة، أم أنها كانت في كثير من مواردنا حروباً سياسية وعسكرية اتخذت الإسلام عنواناً لها؟

وهذا هو السؤال الذي نريد أن نعيد طرحه على بساط البحث، بعيداً عن التقديس المسبق للمصطلحات.

عمر بن الخطاب.. عهد
التخبط والإبادة الجماعية
واستباحة الأعراض

منهج السيرة التيمية والتخبط في إدارة الدولة

استعرضنا في المبحث السابق صورةً جليّة من صور الانتهاكات والمجازر الوحشية التي ارتكبت تحت غطاء ما يُسمى بـ «الفتوحات الإسلامية» على عهد الطاغية الأول أبي بكر بن أبي قحافة (عليه لعنة الله)، تلك الجرائم الموجهة ضد الإنسانية التي باشر تنفيذها المجرم الإرهابي الكبير خالد بن الوليد (لعنه الله).

وفي فصلنا هذا، نعطف لنأخذ صورةً معادلة لها في الإجرام والفظاعة؛ تلك الجرائم ضد الإنسانية التي وقعت في عهد الطاغية الثاني عمر بن الخطاب (عليه لعنة الله).

والملاحظ كمقدمة منهجية لهذه الوقائع التي سنعرض بعض تفاصيلها، أنها ناشئةً بنحو أساسي من التهور، والتخبط،

والطيش، والأهمال؛ إذ كان هذا اللون الأسلوبى طابعاً وهيمنةً طبعت حكومة الطاغية الثانى ابن الخطاب. فالرجل فى تركيبته النفسية وشخصيته الذاتية كان رجلاً طائشاً متهوراً لا اتزان له؛ ومن الطبيعى والضرورى وفق الموازين النفسية والاجتماعية أن تنعكس هذه النفسية المضطربة على حاشيته وأعوانه وقواده الميدانيين. ولا سيما إذا أضفنا إلى ذلك ما سبق شرحه بإسهاب وتبيان فى هذا الكتاب: وهو أن القوم حينما كانوا يغزون البلدان ويفتتحون الأقاليم -كما يزعمون- لم تكن حوافظهم ودوافعهم الباطنية قائمة على غايات نبيلة أو مقاصد دينية، وإنما كانت تحركهم المطاعم الدنيوية، والشهوات الحيوانية، واقتناء الغنائم، وسباء الجوارى والحسناوات.

ومن البين والواضح أن الطمع والجشع متى ما استوليا على مجريات التحرك العسكرى، شلبت البصيرة، واندفع القائد أو الجندى بتهور أعمى؛ لأنه يبتغى حيازة اللذة العاجلة -لذة المال ولذة النساء- دون أدنى تفكير فى القواعد الشرعية، ودون اعتبار للشرائط والقوانين والأحكام الإسلامية.

فهو يندفع اندفاعاً هائلاً ونزقاً لنيل مآربه؛ وهذا المنهج هو المفسر لرقوع وتكرار خرق الشريعة الإسلامية وقواعدها

الصارمة، وارتكاب هذه الجرائم الفظيعة التي لا تصنف علمياً وقانونياً إلا في خانة "الجرائم ضد الإنسانية" و"الإبادة الجماعية".

واقعة فتح "رام هرمز" وسبي النساء الحوامل

نعرض نموذجاً لواقعة ارتكبت في عهد عمر بن الخطاب في حق أهل مدينة لا تزال قائمة ومعروفة إلى يومنا هذا، بخلاف المدن الثلاث التي تطرقنا إليها بالأمس والتي مُحيت تماماً من الوجود. وهذه المدينة هي مدينة "رام هرمز" (وُثِّلَفَ خَقَّةً على الألسن بـ "رامز")، وهي واقعة في إقليم خوزستان بالاهواز.

هذه المدينة تم فتحها -كما يزعمون- في عهد عمر، بيد أن هذا الفتح جرى بلا أي مقدمات شرعية؛ وقد تقدم منا مراراً أن من الشروط الأساسية والحاكمة في شريعة الإسلام وجوب تقديم الدعوة إلى الإسلام وإبلاغ الرسالة قبل التورط في الحرب وشن القتال.

فإذا تقدم الجيش الإسلامي إلى بلدة ما، وجب عليه أولاً أن يرسل إليهم سفراء ورسلاً يعرضون عليهم قيم الإسلام، ويتلون

عليهم آيات الكتاب، ولا يجوز مباغتتهم أو مفاجأتهم بالحرب والقتل. هذا الشرط لم يُراعَ هاهنا مطلقاً.

ثم جرت أحداثٌ أدت إلى أن يقع الصلح بين أهل هذه البلدة والمسلمين، فصاروا بوجب العقد داخليـن في ذمة الإسلام وذمة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأمنوا بناءً على ذلك العهد على نفوسهم وأموالهم وأعراضهم. غير أنه جراء تداعيات وتصرفات هوجاء، لم يُحترم هذا العهد، وتهور المتهورون مجدداً حتى استباحوا المدينة قسراً، واستباحوا أعراض نساؤها من غير وجه شرعي ولا مجوّز فقهي.

وقد مرّ بنا سالفاً كلام أئمتنا (عليهم السلام) في أن شرط الجهاد في أصله أن نكون مظلومين فنجاهد دفاعاً، لا أن نكون ظالمين باغين كاشحين، وهو ما نص عليه إمامنا الصادق (عليه السلام) في حديثه الطويل الذي ذكرنا مساحةً واسعةً منه.

من القائد الذي تولى فتح هذه البلدة؟

إنه ذلك الرجل الذي سبق وأن تسالمنا على ترجمته وتفصيل حاله في غير ما موضع من أبحاثنا السابقة، وأحسب أن اسمه غير بعيد عن أذهانكم: جرير بن عبد الله البجلي.

هذا الرجل الذي انخرط أولاً في أعوان أمير المؤمنين (عليه السلام) في إبان حكومته الظاهرية، ثم انشق عنه والتحق بمعاوية بن أبي سفيان. وكانت إحدى الذرائع والمبررات التي طرحها لتسويغ انشقاقه وخيانتة قوله:

«لا أقيم في بلدة يشتم فيها عثمان»^(١)!

وقد بينا لكم أن الكوفة المقدسة -عاصمة الخلافة العلوية- شهدت ظاهرةً شعبيةً عارمةً تتمثل في تكفير عثمان بن عفان، وثلمه، وسبه، ولعنه، والنيل منه، وهجائه على رؤوس الأشهاد. وكان المنهج جارياً على الألسن، حتى إذا تصدى أحد من المدافعين عن عثمان واعتصم ببدعة أنه "شهيد من أهل الجنة"، بادرت "شرطة الخميس" بحكم القانون والدولة إلى القبض عليه وإحضاره بين يدي أمير المؤمنين (عليه السلام) للمحاسبة والمحاكمة.

وهذا أمر معلوم بالضرورة التاريخية ولا ينكره إلا مكابر، وقد تضافرت به المصادر التاريخية بما فيها مصادر المخالفين من العامة (ومن أراد الاستزادة فليراجع سلسلتنا البحثية الموسومة بـ: "عثمان بن عفان حمال الخطايا").

(١) التاريخ الكبير ج ٢ ص ٢٩٣.

فجرير بن عبد الله البجلي ادعى هذه الذريعة السخيفة وقال: لا أقيم ببلد يُشتم فيه عثمان! فنقول له: لقد التحقت بمعاوية بن أبي سفيان، وهناك على منابرهِ كان يُلعن ويُعاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)!

فلم تكن هذه الذريعة هي السبب الحقيقي للانشقاق، بل المبعث الواقعي هو اشتداد أمير المؤمنين (عليه السلام) في محاسبته المالية والإدارية؛ فلما ضُيق عليه ولم يجد نعيماً ولا أثرة -كما هو حال عامة المنشقين عن أمير المؤمنين (عليه السلام) الذين طمعوا في الدنيا فلم يجدوا عند علي محاباةً ولا كيل بمكيالين- شق العصا وخرج.

ولكي يظهر بمظهر شريف المبدأ، اعتصم بهذه الذريعة الواهية. ألم تكن معاصرة لعقودٍ تُشتم فيها عثمان؟ ألم يكن كبار رجال دولة أمير المؤمنين وقادة جيوشه وعمال أقاليمه هم بالذات من قتلة عثمان؟ فما الذي استجد حتى تدعي أنك لا تقيم ببلد يُعاب فيه عثمان؟!

جرير بن عبد الله البجلي هذا كان في زمن الطاغية الثاني عمر بن الخطاب مجرم حرب بالمعنى الدقيق، وتفصيل ما ارتكبه في "رام هرمز" مسطور في المصادر؛ فقد جاء في كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي ما نصه:

«وفتح جرير بن عبد الله مدينة رام هرمز

بالسيف قسراً».

فهذه أول ملاحظة منهجية: أين الدعوة إلى الإسلام؟ وأين الإنذار والتمهيد؟ كل ذلك أُلغي ولم يُرَع. ثم يستطرد ابن أعثم في بيان جنايته فيقول:

«فاحتوى على أموالها، ونسائها، وذريتها».

ماذا يُفهم فقهياً وتاريخياً من هذه العبارة؟

١. **الاستيلاء على الأموال:** أي أن جرير بن عبد الله مصمّ

ومصادر لجميع ثروات المدينة وأموال أهلها بالكامل.

٢. **سبي النساء والأطفال:** أخذ كافة النساء سبايا، واحتوى

على الذرية من الألباب والصبيان.

٣. **إبادة الرجال:** عدم ذكره للرجال إطلاقاً يدل بالمفهوم

القطعي على أنه أباد المقاتلة والرجال عن آخرهم؛ إذ لو

أبقاهم أسرى لذكر حيازتهم مع السبي والغنيمة.

هذه الجريمة النكراء جرت مباشرة عبر جرير بن عبد الله

الجبلي، وكان أميره المباشر الذي بعثه هو المنافق الكبير أبو

موسى الأشعري (لعنه الله). فلما بلغ الخبر أبا موسى، خرج

يتنصل من المسؤولية مستنقراً أهل البصرة ومصرحاً بالواقعة؛
إذ ينقل ابن أعثم:

«وبلغ ذلك أبا موسى الأشعري، فقال لأهل
البصرة: ويحكم! إني كنت أعطيت أهل رام
هرمز الأمان وأجلتهم ستة أشهر إلى أن يروا
رايهم، فعجل جرير بن عبد الله وأهل الكوفة
فتفتحوا مدينتهم قسراً وقسموا السبايا، فهاتوا
ما عندكم من الرأي».

تأملوا في هذه الفاجعة! أبو موسى الأشعري يعترف صراحةً
بوقوع الخرق والافتراس القسري لبلدة ذات عهد وأمان،
موضحاً أنه منحهم أماناً رسمياً لمدة ستة أشهر ليتأملوا في
خياراتهم (هل يدخلون في الإسلام، أم يلتزمون بالجزية
والصلح والعهد).

وجاء جرير بن عبد الله ومعه أهل الكوفة فتسرعوا
متهورين واقتحموا البلدة قسراً، وقسموا النساء سبايا بين
الجنود! فافتسم كل رجل امرأة. ثم يستشير أصحابه عما ينبغي
صنعه أمام هذه الكارثة الأخلاقية والشرعية!

فقال أهل البصرة لأبي موسى:

«الرأي في ذلك عندنا أن تكتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وتخبره بذلك إلى أن يرد عليك الخبر من عنده، فتعمل بحسب ما يأمرك».

فرفع أبو موسى الكتاب إلى عمر ينقل له تفاصيل الواقعة كما جرت، فكان جواب عمر بن الخطاب متضمناً آلية النظر والحل؛ إذ كتب إلى صلحاء العسكر في جند أبي موسى (كحذيفة بن اليمان، والبراء بن عازب، وأنس بن مالك، وسعيد بن عامر الأنصاري وغيرهم) ينص فيه:

«أن ينظروا في ذلك، فإن كان أبو موسى قد أعطى رام هرمز من الأمان قبل ذلك كما زعم، وأعطاهم عهداً وكتاباً مكتوباً، أن يُردّ ما في أيدي الناس من السبي».

وهنا تظهر الفضيحة والكارثة في كتاب عمر بن الخطاب؛ حيث يواصل متلفظاً بما يُندى له الجبين:

«وإن كانت امرأة حاملاً، أن تحبس في موضع ويوكل بها وتجري لها النفقة حتى تضع

ما في بطنها، ثم تُخَيَّر بعد ذلك بين الإسلام
والمقام مع صاحبها، فإن اختارت الإسلام
فذلك، وإن أبت رُدَّت إلى بلادها».

ما الذي تكشف عنه هذه الفتوى والفقرة التنظيمية من
عمر؟ إنها تكشف عن أمر شنيع للغاية: وهو أن جند الصحابة
والتابعين المقتحمين تحت قيادة جرير بن عبد الله البجلي لما
سبوا نساء البلدة المعاهدة، لم يصبروا حتى يستبرئوا الأرحام،
بل بادروا فوراً واعتدوا على الأعراض ووطئوهن جميعاً، حتى
شاعت ظاهرة «الجبالي والحوامل» في العسكر! لقد تحركوا
بالدافع الشهواني والغريزي الخالص لا بدافع الدين.

وبعد أن انكشف أن أولئك النساء كنَّ داخلات في ذمة الله
وذمة رسوله وذمة الإسلام ولهن الأمان الشرعي، وأن ما وقع
عليهن هو عين الاغتصاب وهتك الأعراض المحرمة، يجيء
حكم عمر بن الخطاب ليرسخ الباطل؛ حيث يقرر إبقاء الحامل
حتى تضع مولودها الناشئ من الوطء المحرم، ثم يُخَيَّر
المغتصبة بين أن تسلم وتبقى مع الشقي الذي هتك عرضها
واستعبدها، أو تُرد إلى بلادها إن أبت! وهذا الحكم المنحرف

باطل بطلاناً مطلقاً في الشريعة الإسلامية ولا أصل له في كتاب ولا سنة.

ويستكمل عمر بن الخطاب كتابه فيقول:

«وأن تستحلفوا أبا موسى الأشعري أنه قد كان أعطى أهل رام هرمز عهداً وأماناً وضرب لهم أجلاً ستة أشهر كما زعم، فإذا حلف بذلك فَيُرَدِّ السبي، ولا سبيل عليهم إلى انقضاء المدة والأجل».

فإن لم يوجد كتاب مكتوب، يُطلب اليمين الاستحلافية من أبي موسى؛ فإن حلف على إعطائه الأمان غُطِّل السبي ورُدَّت النساء. يقول المؤرخ:

«فاستحلف المسلمون أبا موسى، فحلف أنه قد أعطى أهل رام هرمز أماناً وعهداً مؤكداً وضرب لهم أجلاً وكانوا في مواعده ستة أشهر، فلما حلف أبو موسى بذلك رد المسلمون السبي إلى بلادهم، ووضعت الحوامل ما في بطونهن فحُيِّرْنَ بعد ذلك؛

فمنهن من اختارت الإسلام فأقامت مع

صاحبها، ومنهن من أبت فرُدت إلى بلادها».

ثم تأتي الفضيحة الأخرى المعبرة عن واقع القوم

وصراعاتهم الكاذبة، حيث يُنقل:

«وكتب بعض أصحاب جرير بن عبد الله إلى

عمر بن الخطاب أبياتاً يذكرون فيها فعل جرير

بأهل رام هرمز، وأنه لم يفعل ما فعل إلا بأمر

أبي موسى، وأن أبا موسى هو الذي أمره

بالنزل عليهم وبمحاربتهم»^(١).

تأملوا هذا التكاذب والتنصل بين القادة والفتاحين

المزعومين! أبو موسى يدعي أن جريراً جرّ الجيش بتهوره

وعصيانه للعهد، وجند جرير يكتبون الأشعار والكتابات لعمر

يؤكدون أن أبا موسى هو الذي أصدر الأوامر المباشرة بالنزول

والقتال والسبي! فلما رأى أبو موسى ضخامة الفضيحة وهتك

الأعراض وظهور حوامل السبي، خاف على موقعه وتبرأ وسكب

اللائمة على جرير!

(١) الفتوح ج ٢ ص ٢٧٦.

وهذه المراسلة تكشف أيضاً أن أبا موسى الأشعري لم يكن موثقاً حتى لدى عمر بن الخطاب نفسه؛ إذ لو كان صادقاً معتمداً عنده للزم قبول خبره وإعادة السبي بمجرد كتابه، دون الحاجة إلى تحليفه وإقامة الاستحلاف الإجرائي عليه من قبل العسكر.

فأي فتح إسلامي هذا الذي يجري على خلاف شريعة محمد (صلى الله عليه وآله) وبلا مقدمات دعوية؟! وأي قيم هذه التي يستباح فيها العهد والميثاق وتُهتك بها الأعراض لتُعالج بمثل هذه المهاترات الباطلة؟

إن ما وقع لفي العرف الإنساني فضيحة كبرى ومجزرة يستحق مرتكبوها الإقالة والمحاكمة، بل وإسقاط الحكومة بأكملها. فمن يتحمل مسألة هتك أعراض نساءٍ كُنَّ في ذمة رسول الله وفي جوار الشريعة؟ إنها الصور البشعة التي ارتكبت تحت لافتة "الفتوحات الإسلامية" في زمن عمر بن الخطاب.

إبادة مدينة «عرب سوس» والتخبط الإداري

قد يتصدى أحد السكارى بعمر دفاعاً عنه بالقول: إن هذه الجريمة في رام هرمز وقعت بمباشرة جرير بن عبد الله البجلي أو بتدبير أبي موسى الأشعري، وعمر كان بادي الرأي في

المدينة المنورة فلم يباشر الانتهاك بنفسه. ولرد هذا التوهم وتفنيده، نورد هذه الواقعة الثانية التي تشهد بالإدانة المباشرة لعمر بن الخطاب، حيث أصدر أمراً شخصياً صريحاً بإبادة مدينة كاملة وتدميرها، ثم نسي أمره بعد سنة وعاقب القائد المنفذ، حتى ذكره القائد بكتابه!

وتفصيل هذه الجريمة الموجهة ضد الإنسانية مسطور في كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم؛ حيث يروي بسنده عن محمد بن سيرين (وهو من كبار التابعين وثقات العامة ومصادر مذهبهم):

«أن عمر بن الخطاب استعمل عمير بن سعيد (أو سعد) على طائفة من الشام، فقدم عليه قدمه فقال: يا أمير المؤمنين، إن بيننا وبين الروم مدينة يقال لها "عرب السوس"، وإنهم لا يخفون على عدونا من عوراتنا شيئاً، ولا يظهروننا على عوراتهم».

يعني أن عمير بن سعد حرض عمر على أهل تلك المدينة، واتهمهم بالتخابر مع العدو (الروم) ونقل الثغرات الأمنية لهم، وعدم التعاون مع المسلمين. فماذا كان جواب عمر بن

الخطاب؟ لقد أصدر أوامره المباشرة قاطعة بالتدمير والتهجير القسري؛ إذ قال لعمير:

«فإذا قدمت فخيرهم بين أن تعطيهـم
مكان كل شاة شاتين، ومكان كل بعير بعيرين،
ومكان كل شيء شيئين؛ فإن رضوا بذلك
فأعطهم وخربها! فإن أبوا فانبذ إليهم وقاتلهم
وأجلهم سنة، ثم خربها».

فهنا يطرح عمر خيار التعويض المالي المزدوج للتهجير وتخریب الديار، أو القتال والإمهال سنة ثم المحو والتخريب الشامل!

فقال له القائد العسكري عمير بن سعد (معرفةً منه بطبيعة عمر المتقلبة وتصرفاته الهوجاء الشبيهة بأسلوب دونالد ترامب في تغيير القرارات المفاجئة):

«اكتب لي عهداً بذلك».

فكتب له عمر عهداً ورسالة رسمية بذلك مكتوبة. فلما قدم عمير على أهل المدينة عرض عليهم الخيار، فأبوا الجلاء، فأمهلهم سنة ثم خرب المدينة ودمرها عن بكرة أبيها وشرد أهلها!

وفي طريق آخر يرويهِ ابن العديم بسنده عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين:

«أن عمير بن سعد كان يعجب عمر بن الخطاب، فكان من عجبه به يسميه "نسيج وحده"».

(وهي لفظة عربية تُقال للفريد الذي لا نظير له). فبعثه عمر على جيش من قبل الشام، فجاء وافداً إلى المدينة وحرّضه على أهل "عرب سوس"، فأمره عمر بتهجيرهم وتدمير مدينتهم. فلما نفذ عمير الأمر المباشر وخرّب المدينة، قيل لعمر بن الخطاب:

«إن عميراً قد خرب عرب سوس وفعل وفعل! فتغيّظ عليه عمر»!

تأملوا الاستخفاف والتخبُّط! غضب عمر على قائده ونسب إليه الجريمة والفضاعة نسكاً وألسنةً، ونسب أنه هو الذي كتب له الخرب والدمار قبل سنة! ثم لما قدم عمير بن سعد وافداً إلى المدينة ومعه طائفة من أصحابه، بادر عمر وعلاه بـ "الدرة" ضرباً وسيطاً على رأسه فور دخوله، وقال له متغشماً: «خربت عرب سوس»! وعمير ساكت لا يتكلم ولا يبدي حجة ولا كتاباً.

ثم نظر عمر إلى أصحاب عمير، فرآهم يرتدون "البرانس" (وهو اللباس المشتمل على غطاء للرأس كالثوب المغربي)، فقال بغشم ومزاجية مريضة:

«مُبرنسين مُبرنسين! ضعوا برانسكم»!

فقال عمير لأصحابه: «برانسكم ثكلتكم أمهاتكم، إنكم والله ما أنتم بهم!»، فوضعوها. فظهرت تحتها العمام، فقال عمر بنظرائه المتردية:

«معَممين معَممين! ضعوا عمامكم»!

فقال عمير: «ضعوا عمامكم فإننا والله ما نحن بهم»، فوضعوها. فظهرت تحت العمام "الكمام" (غطاء ملاصق للرأس)، فقال عمر:

«مكَممين مكَممين! ضعوا كمامكم»!

فأزالوا الكمام، فتبين أن شعر رؤوسهم طويل ومجموع على هيئة "الجمام". فلما رآهم عمر محتفظين بشعورهم طويلة ملمومة، قال متوعداً بالقتل والصلب:

«أما والله الذي لا إله إلا هو، لو وجدتكم

محلّقين لرفعتُ بكم الخشب»!

أي لو وجدتكم قد حلقتم رؤوسكم لصلبتكم أجمعين على
جذوع النخل والأخشاب!

ما هذه الجريمة في حلق الشعر حتى يُعاقب فاعلها
بالصلب والإعدام على الخشب؟! أي قانون هذا وأي شريعة؟!
إن عمر بن الخطاب رجل مزاجي، مريض نفسياً، ممتلئ
بالاعتلال العائلي والعقلي.

فالشخصية العُمرية تمثل نموذج الطاغية المختل الذي
يتسلط فيحكم بمزاجيته البحتة (كما نرى في زماننا بعض
الوزراء والممتدحين للبطش والجهل ممن موقعهم الحقيقي
مصحات الأمراض العقلية والنفسية).

ويتدخل في شؤون الناس وأسرهم، ويدخل المسجد فيرى
سعد بن أبي وقاص فيضربه بالدرّة، فيقول سعد: ما ذنبي؟
فيجيبه عمر:

«إنك أقبلت لا تهاب سلطان الله في الأرض.

فأحببت أن أعلمك أنّ سلطان الله لا يهابك»^(١)!

ويضرب ابنه ويضيق عليه لمجرد أنه أكتنى بـ "أبي عيسى"
ببدعة أن عيسى لا أب له! ويضرب طفله الصغير الذي تألق

(١) تجارب الأمم وتعاقب الهمم ج ١ ص ٤١٤.

وتنظف وتعطر لمجرد أنه رأى منه إعجاباً بنفسه في شبابة السن! إنها شخصية هائلة ككلب مسعور، والناس سكارى يمتدحون هذا الجنون والاعتلال!

وبعد أن نال عمير بن سعد هذا الضرب والتوبيخ والمسخرة، دخل على عمر في بيته خالياً به، وأخرج له وثيقة العهد الرسمية وقال:

«يا أمير المؤمنين، اقرأ عهدك إليّ في عرب

سوس»!

فقرأ عمر الكتاب، وتبين له أنه هو الذي أصدر الأمر المباشر بتخريب المدينة ومحوها قبل سنة ونسبي أمره! فقال عمر متأسفاً:

«رحمك الله! فهلا قلت لي ذلك وأنا

أضربك؟»!

فقال له عمير بمنطق العبد المطيع المتملق:

«كرهت أن أوبخك يا أمير المؤمنين»!

فقال عمر:

«غفر الله لك، ولكن غيرك لو كان لم يصبر

على ذلك»^(١)!

فالأجل هذا الصبر على الخسف والضرب والسكوت عن فضائح عمر الإدارية، حظي عمير بن سعد بهذه المكانة عند عمر وسماه "نسيج وحده"!

التحليل الفقهي والاستدلال بدليل الأوزاعي

إن هذا الخبر التعيس يشتمل على عدة تخطبات وإدانات صريحة لعمر بن الخطاب ينبغي إبرازها وترتيبها منهجياً:

أولاً: التخطب في عدم التثبت والتحقيق الشرعي

كان الواجب الشرعي المباشر يقتضي من عمر التثبت والتبين الدقيق من صحة التهمة الموجهة لأهل مدينة "عرب سوس"، باستدعائهم، أو سؤالهم، أو استخلافهم، أو إرسال لجان تقصي محايدة.

ولا يجوز في الشريعة إيقاع العقوبة بمجرد نقل خبر أحادي من قائد عسكري قد يكون متحاملاً أو مشتبهاً. فأين التثبت الشرعي قبل الحكم بتخريب مدينة كاملة؟

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب لابن العديم ج ١ ص ٢٣١.

ثانياً: شمول العقاب للبيغاء والأبرياء (أخذ العامة بجرم الخاصة)

لو فرضنا ثبوت التآمر والتخابر الأمني من بعض أهل المدينة مع الروم، فإن الواجب الشرعي والقانوني يفرض التفكيك والفرز بين المتآمرين وغيرهم.

فالمدينة تشتمل حتماً على أطفال، ونساء، وشيوخ، ومرضى، وأناس لا علم لهم بالتآمر. فهل يصح في دين الله عموم العقاب وتدمير البيوت وتهجير الجميع بجريرة أفراد؟ إن هذا لعين الجور والعدوان.

وهنا نلزم المخالفين بما دونه أئمتهم؛ فقد أخرج أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال هذه الواقعة بسنده، ثم علّق عليها بقوله:

«وهذه مدينة بالثغر من ناحية الحدث يقال

لها عرب سوس... وقد كان لهم عهد... وإنما

نرى عمر عرض عليهم ما عرض من الجلاء...

لأنه لم يتحقق ذلك عنده من أمرهم، أو أن

النكت كان من طوائف منهم دون إجماعهم».

فتأملوا كيف يعترف أبو عبيد (وهو من كبار أعلام العامة) بأن عمر بن الخطاب لم يتحقق من الجريمة، وأن النكث -إن وقع- إنما كان من أفراد وطوائف لا من الجميع!

ثم يستشهد أبو عبيد بحديثه قريبة وقعت في زمان الإمام الأوزاعي بـ "جبل لبنان"، حيث خرجت طائفة من أهل العهد وحدث منهم حدث، فقام والي الشام صالح بن علي العباسي بحربهم وإجلائهم أجمعين (كما فعل عمر وعامله عمير بن سعد). فقام الإمام الأوزاعي ثائراً ومعتزلاً شديداً الاعتراض، وكتب رسالة تاريخية إلى صالح بن علي العباسي جاء فيها:

«كيف تُؤخذ العامة بعمل الخاصة؟!»

فيخرجون من ديارهم وأموالهم؟ وقد بلغنا أن من حكم الله عز وجل أنه لا يأخذ العامة بعمل الخاصة... وأحق الوصايا أن تحفظ وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقوله: (من ظلم معاهداً أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه)^(١).

فهذا الأوزاعي -وهو من أعظم أئمة العامة- يقرر بضرر قاطع أن إجلاء أهل العهد وتدمير ديارهم بسبب فعل أفراد

(١) الأموال للقاسم بن سلام برقم ٤٦٦.

منهم هو خرق لحكم الله، ومخالفة لصريح وصية رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأن النبي (صلى الله عليه وآله) سيكون خصماً وحجيجاً لفاعل ذلك يوم القيامة!

وبما أن عمر بن الخطاب ارتكب عين هذه الفتنة والفاعلة في "عرب سوس"، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) سيكون خصمه وحجيجه يوم القيامة بموجب القواعد الفقهية التي قررها الأوزاعي وأبو عبيد!

ثالثاً: تدمير العميرة والبيئة بدون وجه شرعي

لو افترضنا (على سبيل فرض المحال والامتناع) أن كل أفراد المدينة من رجال ونساء وأطفال كانوا مجرمين ومتآمرين، فلا يجوز شرعاً ولا عقلاً إصدار الأمر بتخريب الأبنية، وهدم الدور، وإحراق الأسواق، وتدمير الأشجار؛ لأن هذا هدمٌ للعمورة وإفساد في الأرض.

بل كان الواجب إجلاء المجرمين وإسكان قوم آخرين صالحين في تلك الأبنية. غير أن عمر أمر قائده صراحة فقال: "وخرّبها"! فهو تخريب شامل وإبادة للبيئة والعمران.

رابعاً: التناقض في الخيارات المطروحة (المكافأة أو الإمهال)

يطرح عمر خياراً متناقضاً: فإذا كان أهل المدينة مجرمين متآمرين، فكيف يعرض عليهم مكافأة وتعويضاً يقضي بإعطائهم عن كل شاة شاتين وعن كل بعير بعيرين؟! فإن كانوا مجرمين فهم يستحقون العقاب لا المكافأة المزدوجة! وإن اختاروا العدم، كيف يمهلهم سنة كاملة يستمرون فيها بالتآمر ونقل ثغرات الجيش الإسلامي للعدو؟ إن هذا إلا تخبط ظاهر واستهتار بالأمن والسياسة الشرعية.

خامساً: التعدي والضرب والتهديد بالصلب بلا حق

لقد ضرب عمر عامله عميراً بالدرّة وأهان وأهان أصحابه وتهدهم بالصلب على الأخشاب لمجرد أنهم وفروا شعورهم ولم يحلقوها!

فأي شرع هذا يُجيز للحاكم أن يضرب الرعية ويهدد بالقتل والصلب لأجل أمور شكلية ومزاجية شخصية؟! ثم يثبت أنه هو الذي أمر بالخراب والدمار، ومع ذلك لم يُقد من نفسه، ولم يعرض أهل "عرب سوس" عما لحقهم من الدمار والجلاء الباطل!

مسؤولية إسقاط الرموز وتنزيه الإسلام

إننا حينما نقارن هذه السيرة العُمرية المترعة بالتخبط والظلم بسيرة النبي الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله)، نجد البون شاسعاً كالبعد بين المشرق والمغرب! فالرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) كان إذا أرسل سرية أو جيشاً أوصاهم بالتقوى وقال:

«سيروا بسم الله وبالله وفي سبيل الله
وعلى ملة رسول الله لا تغلوا ولا تمثلوا ولا
تغدروا ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبيّاً، ولا
امراًة ولا تقطعوا شجراً إلا أن تضطروا إليها
وأئماً رجل من أدنى المسلمين أو أفضلهم نظر
إلى أحد من المشركين فهو جار حتى يسمع
كلام الله فإن تبعكم فأخوكم في الدين، وإن
أبى فأبلغوه مأمنه واستعينوا بالله»^(١).

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٤٢.

لم يكن هم النبي الغنائم أو البطش، وإنما افترى النواصب والبكرية عليه الأحاديث المكذوبة (كحديث: "جعل رزقي تحت ظل رمحي") لتسويغ أطماعهم وسيرتهم.

لقد كتبت سيرة النبي (صلى الله عليه وآله) في مصادر العامة عن طريق المضللين والمنافقين والمنافقات (كعائشة، وأنس بن مالك، وأبي هريرة الكذاب)، فموهوا السيرة النبوية ومهدوا للحكام الطغاة ارتكاب الجرائم ضد الإنسانية تحت اسم "الفتح الإسلامي".

وبسبب هذه السيرة العوجاء لزمت الشبهة بالإسلام، وصار الغربيون والباحثون ينظرون للإسلام كدين إرهاب ووحشية وإبادة جماعية. ولذلك، فإن جهادنا الفكري الصريح قائم على تصحيح هذا الأعوجاج؛ إذ لا سبيل للدفاع عن الإسلام ونبيه الأعظم (صلى الله عليه وآله) وتنزيهه عن الشوائب إلا بإسقاط أولئك الطغاة والمنافقين!

نعني بوضوح: لا بد أن نسقط أبا بكر، ونسقط عمر، ونسقط عثمان، ونسقط طغاة بني أمية وبني العباس، ونعلن للعالم أجمع: إن هؤلاء لا يمثلون الإسلام، وحروبهم لم تكن فتوحات إسلامية، وأفعالهم خروج عن منهج محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم).

فإذا سألنا الغربي: كيف تدعون أن الإسلام دين سلام وهذه سيرة عمر وأبي بكر أمامكم؟

نقول له بكل شجاعة ورفض: إن هؤلاء ظالمون طغاة ونحن نبرأ منهم ومن أفعالهم المخالفة لكتاب الله وسنة نبيه، ومستندنا في ذلك قواعد العدل والشرع المأخوذة عن أهل البيت (عليهم السلام).

أما من أصر على المداهنة والتغني بـ "عدل عمر"، فإنه يلزم نفسه بجميع هذه القاذورات والجرائم الموثقة في كتبه، ولا يملك جواباً علمياً إلا العاطفيات والإنشائيات والأغاني الخاوية. نسأل الله تعالى أن يعيننا على الدوام لبيان الحق وإعلاء كلمة أهل البيت (عليهم السلام)، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

عمر بن الخطاب.. عهد التخييط والإبادة الجماعية واستباحة الأعراض ■ ٣٣٩



لجنة حفظ ونشر آثار الشيخ ياسر الحبيب

تأسست: صفر الأحزان ١٤٤٥ هـ

Committee for Preserving and Publishing the
Works of Sheikh Yasser al-Habib